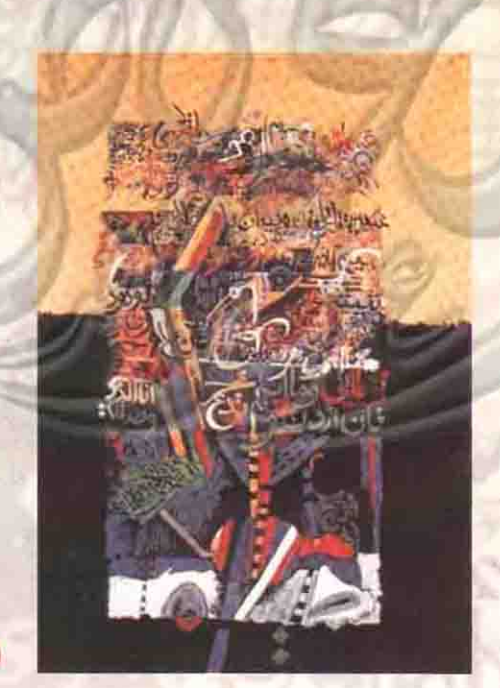
كتابُ
الدَّعوات والفُصُول

المزيف عنوانه في الأصل المخطوط إلى
«تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا»
والمعزو غلطاً للثعالبي

وهو
للواحدي، علي بن أحمد النيسابوري



تحقيق
د.عادل الفريجات





كتاب

الدعوات والفصول

- المزيَّف عنوانه في الأصل المخطوط إلى

«تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا» والمعزو غلطاً للثعالبي -

وهو

للواحدي، عليّ بن أحمد النيسابوري

« ٤٦٨ هـ »

تحقيق

الدكتور عادل الفريجات

اسم الكاتب: الواحدي علي بن أحمد النيسابوري

اسم الكتاب: الدعوات والفُصُول

تحقيـــــق: د. عادل الفريجات

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م

نور للطّباعة والنشر والدراسات



دمشق – سوريا ص.ب (٥٦٥٨)

E. mail: nour-p@scs-net.org

موبايل: ٠٠٩٦٣ ٩٣٣ ٣٢٩٥٥٥

هاتف: ٠٠٩٦٣ ١٥ ٧١٠٣٢٥

المقدمة

قصّة طمس الحقيقة واكتشافها

قصة تزوير عنوان الكتاب الى: تحفة الظرفا وفاكهة اللطفاء وعزوه، غلطاً، للثعالبي

من بين مخطوطات عارف حكمت، في المدينة المنورة، مخطوط ذكره عمر رضا كحالة في كتابه «**المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة**» (دمشق، ١٩٧٣، ص ٦٩) وسماه «**تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا**»، وعزاه لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٤٢٩هـ). وقال إن عدد صفحاته ١٠٣ صفحات، وهو نسخة مضبوطة بالشكل. وهذه المعلومات، جلها مغلوط ومضلل. وقد انحدر إليها الغلط والتضليل، وخاصة في عنوان المخطوط واسم مؤلفه، من السيد (محمد سعيد مولوي)، وهو باحث سوري معاصر، كتب بخط يده، على صفحة الغلاف الأولى غير الأصلية، وبخط مغاير لخط المخطوطة، ودون أي دليل، العبارات التالية:

كتاب في المحاضرات والمحاورات، هذا كتاب «تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا، لأبي منصور الثعالبي وقد اكتشفت اسمه وحقيقته وصورته»

ثم وقع اسمه وهو (محمد سعيد مولوي)، كما ذكرنا من قبل.

وكذلك وجدت هذا الخطأ يمتد إلى مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، فقد طلبت معلومات عن هذه المخطوطة، حين قمت بزيارة إلى هذا المركز، في نيسان من العام ٢٠٠٤. وإذا بالقيّم على مخطوطات هذا المركز يزودني بالمعلومات التي سطرها عمر رضا كحالة، والمذكورة من قبل، مع ذكر لبداية المخطوط ونهايته، وتصحيح لعدد أوراقه

فهي (١٠٤) وليست (١٠٣)، وتحديد لتاريخ النسخ بالقرن التاسع الهجري، واسم الناسخ، وهو إبراهيم غلام الله الماريني، وذكر لعدد الأسطر في كل صفحة، وهو ١٥ سطراً. مع إشارة إلى أن النسخة كاملة، وإن كانت بعض العبارات فيها غير واضحة، وعليها أختام وقف في أولها وآخرها باسم أحمد عارف حكمت. ويوجد على الصفحة الأولى أيضاً إشارات إلى من تملكه، فقد دخل في نوبة العبد... أحمد بن يوسف، وانتظم في عقد الفقير الخاطئ والساهي محمد الشهيرشابي (كذا) حف باللطف الإلهي. وهناك ختمان لا يمكن قراءة ما كتب عليهما، إضافة إلى دوائر دوّن في إحداها نمرة ٧٠٢، ودائرة دوّن عليها ٧٩٧، وعبارة بخط مغاير لخطوط العبارات السابقة تقول: من كتب الدواوين، ثم إشارة مآلها: نمرة ٦٧٩.

وقد جذبني عنوان هذه المخطوطة منذ سنوات، فطلبت الحصول على صورة ورقية عن (الفيلم) الدقيق الخاص به، والموجود في مكتبة الأسد الوطنية، فأجبت لطلبي، وشرعت في نسخ المخطوطة، تمهيدا لتحقيقها، ونشرها. وفي أثناء النسخ، وبعده، اكتشفت أن نسبتها إلى الثعالبي خطأ محض، كما شككت في عنوانها، لأن محتوياتها لا تدخل في باب الظرف والظرفاء، ولا تختص بسننه التي ذكرها أبو الطيب الوشّاء (٣٢٥هـ) في كتابه «**الظرف والظرفاء**»، إذ يقول: «إعلمْ أن عماد الظرف عند الظرفاء وأهل المعرفة والأدباء: حفظ الجوار، والأنفة من العار، وطلب السلامة من الأوزار، والوفاء للذمار». ويضيف في موضع آخر: «وأخبرني أحمد بن عبيد قال: قال الأصمعي وابن الأعرابي: لا يكون الظرف إلا في اللسان». وفي موضع ثالث: «وقال بعض المشيخة: الظريف الذي قد تأدب وأخذ من كل العلوم، فصار وعاء لها، فهو ظرف». وفي موضع رابع قال بعض الأدباء: «الظرف ظلف النفس ورقة الطبع وصدق اللهجة وكتمان السر» (**الظرف والظرفاء**، للوشاء، بيروت ١٩٨٥ ص١١٢و١١٣). ونصوص كتابنا، الذي نتحدث عنه، لا تدخل في إطار هذه التعريفات، إلا عرضاً، ولماما، وان كان للثعالبي كتب أخرى تقترب في موضوعاتها من اللطف واللطفاء، والظرف والظرفاء، كما سنرى. ونظراً لما تقدم، أحجمت عن نشر هذه المخطوطة فترة طويلة من الزمن.

والحقيقة أن السبب في نفيي عزو تأليف هذا الكتاب للثعالبي، يعتمد على أدلة خارجية، وأدلة داخلية، وفيما يلي بسط لذلك:

آ - **الأدلة الخارجية:**

لقد راجعت ما كتبه فؤاد سزكين عن آثار الثعالبي المطبوعة والمخطوطة، فلم أعثر بينها على كتاب بعنوان «**تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا**» (تاريخ التراث العربي، الرياض، ١٤١١/١٩٩١ مجلد ٨ ج١و٢ ص٤٣٠ و٤٤٣). وكذلك راجعت القائمة التي أدرجها (صادق النقوي) وهو محقق كتاب «**خاص الخاص**» للثعالبي، وهي أكمل قائمة لمؤلفات الثعالبي، فلم أعثر على كتاب للثعالبي بعنوان «**تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا**». وقائمة النقوي تربو على قائمة حبيب الراوي وابتسام مرهون الصفار، الواردة في مقدمة تحقيقهما لكتاب الثعالبي «**تحفة الوزراء**»، البالغة مئة كتاب وكتاباً. وتزيد كثيراً على قائمة عبد الفتاح الحلو المثبتة في مقدمة تحقيقه لكتاب الثعالبي: « **التمثيل والمحاضرة** ».

ثم إنني طالعت ما نشره الدكتور (شاكر الفحام) من ترجمة للثعالبي، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، في العام ١٩٨٦ (مج ٦١ ج ٣ ص ٤٤٣- ٤٦٥)، وقد نقله عن كتاب «**الوافي بالوفيات**»، للصفدي، فلم أقع بين كتب الثعالبي المذكورة في ذاك الموضع والبالغة (٦٧) كتاباً، على كتاب بعنوان «**تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا**»، وإن كانت تحوي عناوين قريبة من العنوان المفتعل الموضوع لمخطوطتنا التي نتحدث عنها، مثل: **الظرائف واللطائف، ولطائف الظرفاء، والملح والطرف**. وقد نبه الدكتور(الفحام) إلى أن من عادة الثعالبي أن يعيد تأليف كتبه، ويختار لها أسماء جديدة، فكتابه «**فقه اللغة**» هو ذاته «**سر الأدب في مجاري كلام العرب**»، وكذلك فان كتابه «**نسيم السحر**»، هو جزء مقتطع من كتابه «**فقه اللغة**» (انظر مجلة المجمع بدمشق، مج ٦١ ج٣ ص ٤٥٠).

ومما ينسب إلى الثعالبي، غلطاً، مخطوط بعنوان «**الشكوى والعتاب**» (من مخطوطات دار الكتب المصرية - رقم ١٦٧٣) . وقد ضلل هذا العنوان كلاً من (كارل بروكلمان) و (جرجي زيدان) فنسباه إلى الثعالبي. وحين نهضت الدكتورة (الهام عبد الوهاب المفتي) لتحقيق هذا المخطوط، حررت نسبته، وكشفت حقيقته، فإذا هو قطعة من كتاب «**ربيع الأبرار**»، للزمخشري، وليس

«**الشكوى والعتاب**» للثعالبي (انظر مقدمة كتاب الشكوى والعتاب، تحقيق الهام المفتي، الكويت، ٢٠٠٠).

وكذلك عزي للثعالبي كتاب بعنوان: «**المنتخب في محاسن أشعار العرب**». و أصله المخطوط في مكتبة المتحف البريطاني. وبعد أن فحصه ومحصه الدكتور الباحث (عادل سليمان جمال) اكتشف أنه ليس للثعالبي. وكان سبب الخطأ في نسبته إليه، هو أن أحد مالكي المخطوطة المعنية كتب على هامشها عبارة تقول: «صاحب اليتيمة أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي توفي ٤٢٩ هـ». وكان غرض هذا المالك أن يحدد اسم مؤلف كتاب «**اليتيمة**»، لا أن يذكر اسم مصنف كتاب «**المنتخب**»، الذي أخرجه الدكتور(جمال) في القاهرة في العام ١٩٩٤. وقد أوهم هذا بعضهم، فنسبوا الكتاب، خطأ، إلى الثعالبي. وقد كان لهذا المحقق أدلته المقنعة في نفي تلك النسبة بسطها في مقدمة التحقيق.

ووقعت على إشارة إلى كتاب للثعالبي، بعنوان «**تحفة الأرواح وموائد السرور والأفراح**» وردت في كتاب إسماعيل باشا البغدادي «**إيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون**»(٣/ ٢٤٠). ولكن عنوان هذا الكتاب مختلف عن عنوان كتابنا، ولا علاقة له بمضمونه كما سنرى. كذلك حصلت من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة على صورة لكتاب للثعالبي، عنوانه: «**التحف والأنوار**»، وطالعته، فوجدته مقطوع الصلة بالمخطوط الذي نتحدث عنه.

ولم أغفل عن أن الباحث في مؤلفات الثعالبي، ومخطوطات كتبه، يقع على كثير من الخلط في نسبتها إليه، وإلى غيره من المؤلفين، فقد وهم (لويس شيخو) عندما نشر كتاباً بعنوان «**مكارم الأخلاق**» في بيروت في العام ١٩٠٠ ونسبه إلى الثعالبي. وهو في حقيقة الأمر، للأهوازي المتوفَّى في السنة ٤٢٨ هـ. والمعروف أن كتاب «**الفرائد والقلائد**»، المطبوع على هامش كتاب الثعالبي «**نثر النظم**» في القاهرة العام ١٣٢٧ هـ قد نسب، غلطاً، إلى الثعالبي. وهو للأهوازي المذكور سابقاً.

وورد في مجلة (المورد) البغدادية (مج٢١ ج١ ص٤٧) أن الثعالبي ينقل في كتابه «**سحر البلاغة وسر البراعة**»(٢٣) نصا عن أبي الحسين محمد بن الحسن

الأهوازي، وكلها موجودة في كتاب «**الفرائد والقلائد**»، للأهوازي نفسه. وهذا يشير إلى مقدار الخلط الذي وقع في بعض الكتب المنسوبة إلى الثعالبي. وها هنا يبرز السؤالان الأساسيان، وهما: من هو مؤلف المخطوط الذي نتحدث عنه ؟ وإن لم يكن عنوانه «**تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا**» فما هو عنوانه الحقيقي ؟

والجواب الذي نطلقه بملء الفم، وعلى وجه اليقين، هو: إن الكتاب الذي نتحدث عنه، والموصوف سابقا، هو: كتاب « الدعوات والفصول ». ومؤلفه هو: الواحدي علي بن أحمد، المتوفى في العام (٤٦٨هـ). وهذا ينقلنا إلى الأدلة الداخلية على مزاعمنا السابقة.

ب - الأدلة الداخلية:

ومن هذه الأدلة ما يدفع نسبته إلى الثعالبي من جديد، ومنها ما يقدم نوافذ للبحث عن اسم مؤلفه الحقيقي.

فمن الأدلة الأولى أن مؤلف الكتاب يقول في الورقة (٥٠ ب): «قرأت على الشيخ أبي منصور الثعلبي» (والصواب الثعالبي) قوله:

هُنِّئتَ هذا العيدَ يا من غدتْ — أيامُهُ في الحُسْنِ أعيادا

فلا تزلْ ترفلُ في نعمةٍ — تأتيكَ أزواجاً وأفرادا

وكذلك يعزو شعراً لأبي منصور الثعالبي، وهنا لا يخطئ الناسخ، فيرسمه على الصواب (الثعالبي)، وهو قوله(الورقة ٦١ ب) :

صحَّتْ بصحتك المكارم والعلى — وتباشرتْ بك مهجة الإسلام

فلنشكرنَّ الله جلَّ جلالُه — مدَّ الكلام وطاقةَ الأقلام

وفي الورقة (٦٨ ب) يقول المؤلف: « وأنشدني أبو منصور الثعلبي (والصواب الثعالبي) في تهنئة الأمير محمود:

نثرت عليك سعودها الأفلاك — وعنت لعزة وجهك الأملاكُ

زُوِّجت بالدنيا لأنك كفوها — فاسعدْ بها وليهنك الأملاكُ

فالأرض دارك والورى لك أعبد — والبدر نعلك والسماك شراكُ

ودفعاً للبس قد يقع بين الثعلبي، والثعالبي، فإننا نشير إلى أن هذه الأبيات الثلاثة قد وردت في ديوان الثعالبي، الذي أخرجه محمود الجادر (ص ١٠٠).

وجاء في الورقة (٩٨ أ) مما استشهد به المؤلف: «... ثم قول الشيخ أبي منصور الثعالبي:

أوفى على شرف الزمان بمجده والله يصرف عنه عين كماله»

ويضيف المؤلف في الورقة ذاتها «وله»، أي للثعالبي، ويسوق هنا أربعة أبيات على الراء، منها بيتان جاءا في ديوان الثعالبي (ط الجادر، ص ٦٧).

وذكر كنية الشاعر في عزو الأبيات السابقة جميعها، وهي أبو منصور، ينفي كونها للثعلبي (أبي اسحق) المتوفى في العام ٤٢٧ هـ. وهذا الأخير هو أستاذ الواحدي الحقيقي، الذي لازمه زمنا طويلا، كما أن الثعالبي كان شيخا من شيوخ المؤلف، كما يصرح المؤلف بذلك .

وكل ما تقدم يعني أن مؤلف المخطوط، الذي نتكلم عنه، ليس الثعالبي أبا منصور، إذ لا يعقل أن يقول الثعالبي عن نفسه «وأنشدني الثعالبي» أو أن يقول: «قرأت على الشيخ أبي منصور» . وقد كان من عادة الثعالبي حين يسوق بعض أشعاره، في كتبه، أن يقول : «وقال بعض أهل العصر » أو « قال مؤلف الكتاب».

وفي ضوء ما تقدم، لا ندري ما هي مرجحات السيد (محمد سعيد مولوي)، ولا على ماذا اعتمد في عزوه هذا الكتاب للثعالبي، ونستغرب أيضا إصراره على هذا العزو المثبت في كتاب السيد (إسماعيل إسماعيل مروة)« **في المخطوطات العربية** » (دمشق ١٩٩٧). فقد كان السيد(مروة) أجرى حوارا معي حول هذا المخطوط، في العام ١٩٩٦، وبثه في إذاعة دمشق ضمن برنامج (مع المخطوطات العربية)، ثم أدرجه في كتابه المذكور. وكنت قلت للسيد مروة، في حينه، أن الكتاب، الذي تحاورني فيه، ليس للثعالبي. ولكن السيد (مروة) ذهب بعدئذ إلى السيد (مولوي)، وناقشه فيما قلته، فأصر(المولوي) على رأيه، وقال للسيد (مروة)، ويا للعجب، إن نسبة المخطوط إلى الثعالبي تقوم على أدلة علمية يعرفها كل من يتعمق في دراسة المخطوطات العربية، وأن نفيه عن الثعالبي لا يقوم على دليل علمي، وهو يؤكد ذلك من خلال المقارنة النصية بين نصوص الكتاب، ونصوص الثعالبي في الكتب الأخرى. (انظر «**في المخطوطات العربية**، لمروة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص ٣٠٣ /حا ١).

وكل ما قاله السيد (مولوي)، من مزاعم سابقة، خطأ مبين وضلال محض. والدليل فيما يأتي مباشرة.

ذكرنا من قبل أن في المخطوط، الذي نعنى به، صوى عامة، ونصوصا محددة، تشير إلى زمن مؤلفه، وتعين على معرفة صاحبه. ومن تلك الصوى، سماعه عن الثعالبي (٤٢٩هـ) أولا، وثانيا: إن الأعلام الذين نقل عنهم المؤلف نصوصاً معينة، سواء كانت نثرا أم شعرا، لا تتجاوز وفاة أكثرهم حداثة، العام ٤٦٠هـ. وقد عرفت ذلك بعد أن فهرست أولئك الأعلام، وعرفت سني وفياتهم. ثم إن المؤلف يقول في الورقة (٦٢أ): «أنشدني الحسن بن أبي الطيب الباخرزي لنفسه:

إذا شئتَ أن لا تبتلى بالدمامِلِ

فعنْ كل شيء مفسد للدمامِلِ

والحسن الباخرزي المذكور هنا، هو والد علي الباخرزي أبي الحسن (أو أبي القاسم) مؤلف كتاب:«**دمية القصر وعصرة أهل العصر**»، وقد توفي في العام (٤٢٧هـ). أما ابنه علي فقد توفي في العام (٤٦٧ هـ).

ويقول المؤلف أيضا في (الورقة٦١أ): «سمعت عبد الصمد بن علي الطبري يقول للإمام الموفق رحمه الله عند فصده: «فصدت، فصدت العافية».

وجاء في **معجم الأدباء** لياقوت الحموي (٤/ ١٦٨٥) أن الشيخ علي بن الحسن الباخرزي والكندري كانا في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري، في السنة أربع وثلاثين وأربعمائة.ولما كان الشيخ الكندري، وهو أبو نصر منصور بن محمد، قد توفي في العام (٤٥٩هـ) (انظر **دمية القصر**، تحقيق العاني ١٣٨/٢)، أي قبل وفاة الباخرزي بثماني سنوات، فهذا يعني أن صاحب كتابنا، الذي سمع عبد الصمد بن علي الطبري، والإمام الموفق، الذي التقاه الكندري، وحضر مجلسه، كان من رجال القرن الخامس الهجري. يضاف إلى ذلك سماعه عن الشيخ أبي منصور الثعالبي، المتوفى في العام (٤٢٩هـ). وبناء عليه، فإنَّ المؤلف هو من تلاميذ الثعالبي، ومن رجال القرن الخامس الهجري يقينا.

ولكن النافذة الأقوى، التي نفذنا منها إلى معرفة اسم مؤلف الكتاب، جاءت من خلال قصيدة للمؤلف وردت في الورقتين (٥ب و٦ أ)، فهو يقول ها هنا:

«ومن جيِّد ما قُلْتُهُ نَظْماً في هذا الباب قَوْلي:

١- أيا قادماً مِنْ مصرَ أهلاً ومرْحبا ... بقيتَ على الأيّامِ ما هبّتِ الصَّبا

٢- لعمري لقدْ أحيا قدومُكَ مُدْنفاً ... بحبِّكَ صبّاً في هواكَ مُعذَّبا

٣- يظلُّ أسيرَ الوجْدِ نهْبَ صبابةٍ ... ويُمسي على جمْرِ الغضا مُتقلّبا

٤- وكمْ فاضَ من عيني لبعدك أدْمعٌ ... حكت غزرُها جُوْدَ الربيعِ وصيّبا

٥- وعاد النهارُ الطلْقُ أسودَ مظلماً ... وعاد سنا الإصباح بعدَكَ غَيْهبا

٦- وأقسمُ لو أبصرتَ طرفي باكياً ... لشاهدْتَ دمعاً بالدماءِ مُخضّبا

٧- مسالكُ لهوٍ سدَّها الوجدُ والجوى ... وروضُ سرورٍ عادَ بعدكَ مُجْدِبا

٨- فداؤك روحي يا ابنَ أكرمِ والدٍ ... ويا من فؤادي غيرَ حُبِّيْهِ قد أبى

٩- عليكَ دليلٌ للنجابةِ ماثلٌ ... وإنَّ أباً أنتَ ابنُهُ بكَ أنجبا

١٠- ولا زِلْتَ تسمو في معاليكَ دائباً ... إلى أنْ تُرَى في بُعْدِ مجدكَ

وقد صار جلُّ وكدي، أن أعثر على القصيدة، أو على بعض منها، وقد عزيت لقائل بعينه. فإنْ وقعتُ على ذلك، عرفت أن مؤلف الكتاب، هو قائل القصيدة البائية، التي ساق منها عشرة أبيات في كتابه، الذي بقي عنوانه مجهولا، قبل اكتشافي، الذي سعيتُ إليه، ووقعتُ عليه.

وهكذا ضاقت الدائرة شيئا فشيئا، وبدأ اسم المؤلف يتبرقع، ولكنه لم يسفر. ففي القرن الخامس الهجري شعراء ومصنفون كثيرون جداً جداً. ومن حسن الحظ أن بعض معاصريهم قد ترجموا لهم، مثل الثعالبي في كتابيه: **يتيمة الدهر**، **وتتمة اليتيمة**، والباخرزي في: **دمية القصر وعصرة أهل العصر**. وهما كتابان وصلا إلينا، وطبعا في زماننا. و مثل الحسن بن المظفر (٤٤٢هـ) في كتابه **ذيل تتمة اليتيمة**، والبيهقي في كتابه **وشاح الدمية**.وهما كتابان لم يصلا إلينا كاملين. زِدْ على ذلك ما صنفه الأسلاف في كتب التراجم والرجال، وهو كثير كثير، يكاد لا يقع تحت حصر. وبعضه نقل عن كتب ضاعت، ولم تصل إلينا.

والحقيقة أنني بعد أن تفحصتُ كتاب **يتيمة الدهر** للثعالبي، وخرجت بنتيجة سلبية، ركزت اهتمامي على كتاب **دمية القصر** للباخرزي، فطالعته صفحة صفحة، ولا أقول كلمة كلمة. وكانت عيني على الأشعار التي يسوقها الباخرزي لمن يترجم لهم. ومرت ترجمة الواحدي في هذا الكتاب (**الدمية** ٢/٢٥٨- ٢٥٩)، وذكرت له هناك أشعار، ولكنها لم تكن تمت بصلة للقصيدة البائية السابقة المذكورة في كتابنا . لكن، والحق يقال، استنتجت أن بعض الكتب، عند معاينتها وتمحيصها، لغرض من الأغراض، تصدر ذبذبات خاصة ينبغي على الباحث أن يلتقطها. ومن هذه الذبذبات أن كثيرين ممن ترجم لهم الباخرزي، مدحوا الوزير السلجوقي (نظام الملك) المتوفى (٤٨٥هـ). فافترضت أن يكون مؤلف الكتاب، الذي ما زال مجهولاً لدي، قد امتدح هذا الوزير، مثله مثل معاصريه. فاتجهت في فجر يوم ما إلى استكشاف ما ذكره ياقوت الحموي عن (نظام الملك) في جميع صفحات كتابه «**معجم الأدباء**»، فوجدته يذكره في عشرين موضعا . وهنا بزغ الفجر، وانجلت الظلمة، وشعرت بنشوة الاكتشاف، إذ عرفت اسم مؤلف المخطوط. فقد وجدت ياقوت يقول في **معجم الأدباء** (١٦٦١/٤)، في معرض ترجمته للواحدي علي بن أحمد بن محمد بن علي: «وقعد للإفادة والتدريس، وتخرج به طائفة من الأئمة، سمعوا منه وقرأوا عليه، وبلغوا محل الإفادة، وعاش ملحوظا من **النظام** وأخيه بعين الإعزاز والإكرام، وكان حقيقاً بكل احترام وإكرام». ويضيف ياقوت في الترجمة ذاتها: «ذكره الحسن بن المظفر النيسابوري، فقال: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري هو الذي قيل فيه:

قد جُمِعَ العالمُ في واحدٍ ... عالِمِنا المعروفِ بالواحدي

ويتابع ياقوت ترجمته للواحدي فيقول (ج٤ص١٦٦١): «قال: ومن غرر شعره:

١- *أيا قادماً من طوسَ أهلاً ومرحبا ... بقيتَ على الأيامِ ما هبّتِ الصَّبا*

٢- *لعمري لئن أحيا قدومُكَ مُدْنفاً ... بحبّكَ صَبّاً في هواكَ مُعذَّبا*

٣- *يظلُّ أسيرَ الوجدِ نهبَ صبابةٍ ... ويمشي على جمرِ الغضا مُتَقلّبا*

٤- *فكمْ زفرةٍ قد هجتُها لو زفرتُها ... على سدّ ذي القرنين أمسى مُذوّبا*

٥- وكمْ لوعةٍ قاسيتُ يومَ تركتَني | ألاحظُ منكَ البدرَ حين تغيَّبا
٦- وعادَ النهارُ الطلْق أسودَ مظلماً | وعادَ سنا الإصباحِ بعدَكَ غَيْهبا
٧- وأصبحَ حُسْنُ الصبرِ عَنّيَ ظاعناً | وحدّدَ نحوي البينُ ناباً ومِخْلبا
٨- فأقسمُ لو أبصرتَ طرفيَ باكياً | لشاهدْتَ دمعاً بالدماءِ مُخَضَّبا
٩- مسالكُ لَهْوٍ سدَّها الوجدُ والجوى | وروضُ سرورٍ عادَ بعدكَ مُجْدِبا
١٠- فداؤك روحي يا ابنَ أكرمِ والدٍ | ويا من فؤادي غيرَ حُبِّيْهِ قد أبى

وواضح هنا أن الأبيات: ١و٢و٣و٦و٧و٨ في قصيدة مخطوطتنا، غير المعزوة لشخص بعينه، قد وردت في قصيدة **معجم الأدباء**، معزوة للواحدي. وهذا دليل قوي، وبرهان ساطع، على أن صاحب القصيدتين واحد، وهو في الوقت نفسه مصنف المخطوطة التي نفحص شأنها، وهو: **الواحدي علي بن محمد، المتوفى في العام (٤٦٨هـ).**

ولا يجوز أن تحول الخلافات الطفيفة في رواية الأبيات الستة، المشتركة بين القصيدتين، دون وصولنا إلى النتيجة التي وصلنا إليها. فهذا شأن كثير الشيوع في روايات الشعر العربي القديم. وقد كانت بعض روايات **المخطوط** أفضل أحيانا ، وكانت بعض روايات **معجم الأدباء** أفضل أحيانا أخرى. والراجح لدينا أن يكون المخاطب في البيت الأول قادما من (طوس)، وليس من (مصر). كما نرجح أن يكون المخاطب في هذا البيت هو(نظام الملك) - الوزير السلجوقي الذي عاش الواحدي في كنفه « ملحوظا بعين الإعزاز والإكرام، وحقيقاً بكل احترام وإِعظام» . ومرجحات ذلك، سياق النص الذي وردت فيه ترجمة الواحدي، وكون نظام الملك من (طوس). وكان بين طوس ونيسابور عشرة فراسخ، كما يقول ياقوت الحموي في كتابه: **معجم البلدان** (طوس). وقدومه من(طوس) الى نيسابور، أكثر توقعاً، وأقوى احتمالاً، من قدومه من (مصر) الى نيسابور. ثم إن (نظام الملك) كان وزير السلطان ألب أرسلان لعشرين عاماً، وكانت أيامه دولة أهل العلم. وقد توفي في السنة (٤٨٥هـ). وهو من أولياء نعمة الواحدي. والواحدي من أصحاب الحظوة لديه. ولا غرابة في أن يرحب به الواحدي، ويمتدحه، حين يأتي من (طوس) إلى (نيسابور) حيث يقيم الواحدي.

ويدعم هذه الترجيحات حاشية سطرها ناسخ المخطوط، أو غيره، بموازاة البيت الأول من القصيدة البائية تقول: (طوس).وفوقها كلمة (صح). وهي بديل كلمة (مصر).

وقد أبعد اكتشافي هذا، الافتراض الذي تصورته، بداية، لعنوان الكتاب، ولاسم مؤلفه، وهو: كتاب «**جونة الند**» للأديب أبي يوسف يعقوب بن أحمد الكردي النيسابوري (٤٧٤هـ). وهو المختص بكتب شيخه الثعالبي، والمأخوذ عليه فرط عنايته بها (انظر **دمية القصر**، تحقيق العاني ٤٧٣/٢). ولكني عرفت، فيما بعد، أن «**جونة الند**» كتاب في الاختيارات الشعرية (انظر معجم الأدباء ٢١٦٦/٥- ٢١٦٧)، والكتاب الذي بين يدي يحوي شعراً ونثراً معاً. كما استبعد هذا الاكتشاف أن يكون مخطوطنا واحداً من كتب أبي عامر الجرجاني (كان حيا سنة ٤٥٨هـ) وهي: **سلوة الغرباء**، و **قلائد الشرف**، و**عروق الذهب** (معجم الأدباء ٢١٦٦/٥ فما بعدها) . أو أحد كتب البارع الزوزني (٤٩٢ هـ)، وهو من أصحاب الباخرزي ... الخ.

وسهل علي، بعد معرفة صاحب مخطوطتي، أن أعرف عنوانها. فكتب الواحدي معروفة مشهورة. منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط. وكتابنا هذا هو أحد كتب الواحدي المخطوطة التي ظلمت زمنا. ونسخته هذه فريدة لا ثانية لها، في حدود علمي. ولكنها لحسن الحظ، لم تفتقد. وقد قطعنا بأن عنوانه هو «**الدعوات والفصول**»، لأنه لا يوجد أي كتاب للواحدي، ينطبق عنوانه على مضمون مخطوطتنا، مثل كتابه هذا «**الدعوات والفصول** ».

وعلى الرغم من كون ناسخ مخطوطتنا، قد وقع في أخطاء كثيرة في نسخها، جهلاً وسهواً، وتصرف في بعض المواضع فيها، دونما سند من رواية أو دراية، وأن بعض المعاصرين قد جنى عليها، فها هي ذي تبعث حية من جديد، وتقدم إضافة معرفية للمهتمين بآثار الواحدي خاصة، وكنوز التراث عامة.

والحقيقة أن ما أصاب هذه المخطوطة، في رحلتها التي استمرت ستمائة عام، وهو فقدان الورقة الأولى فيها، التي تحمل العنوان واسم المصنف، هو ذاته ما أصاب مخطوطة لأسامة بن منقذ عنوانها «**المنازل والديار**». ولكن مع الفارق، فالأخيرة لم ينتحل لها عنوان، في حين أقحم على المخطوطة الأولى عنوان ليس

لها، فعقَّد أمرها. ولما عاين (كراتشكوفسكي) مخطوطة ابن منقذ، ومحص مقدمتها، عرف اسمها، واسم مؤلفها، الذي كان قد أشار في مقدمته إلى زلزال ضخم خرب ديار ذويه في منطقة شيزر في العام (١١٥٧م). فربط (كراتشكوفسكي) بين تاريخ وقوع ذاك الزلزال، وتاريخ حياة ابن منقذ، وخلص، إضافة إلى مرتكزات أخرى، إلى أن اسم مخطوطه القابع في إحدى خزائن مدينة (لينينغراد) في روسيا، هو «المنازل والديار». (انظر قصة هذا المخطوط في كتاب كراتشكوفسكي: **مع المخطوطات العربية** ص ص١٠٣-١٠٩). ولكن كراتشكوفسكي، اعترف بموضوعية وأمانة، أنه اعتمد في اكتشافه هذا على إشارة، سبق إليها قبل مئة عام من إنجازه السابق، وهي إشارة (فرين) إلى أن هناك مؤلفاً بخط أسامة بن منقذ هو كتاب **المنازل والديار** مخزون مع مخطوطات المتحف الآسيوي، في لينينغراد، المعروفة سابقا باسم (سان بطرسبورغ). وقد افتقدنا نحن مثل هذه الإشارة في عملنا هذا، بل وقفنا على إشارة مضللة ومناقضة، تخطئ في اسم المخطوط، وفي اسم مؤلفه.

ولو عدنا إلى مخطوطتنا، نزيح عنها بعض أسداف الظلمة المحيطة بها، أمكننا أن نستنتج، ترجيحا، مما نقله ياقوت الحموي في ترجمة الواحدي، عن الحسن بن المظفر النيسابوري من معلومات، التاريخ الذي ألف فيه الواحدي كتابه «**الدعوات والفصول**». فياقوت ينقل نص القصيدة التي كانت مفتاح الأبواب الموصدة دون حقيقة المخطوطة، عن أحد كتب الحسن بن المظفر النيسابوري. والراجح أنه ينقلها عن كتاب هذا الأديب المعروف بـ «**ذيل تتمة اليتيمة**». ولما كان الحسن بن المظفر قد مات في السنة (٤٤٢هـ) (**معجم الأدباء** ١٠١٦/٣)، فإنَّ كتاب «**الدعوات والفصول**» الذي حوى هذه القصيدة المفتاح، يكون مؤلفا قبل العام (٤٤٢ هـ). ويقوي هذا الترجيح، الشبه القوي بين تقديم الواحدي لقصيدته، ونصه: «ومن جيد ما قلته» (المخطوطة ورقة ٥ب)، وتقديم الحسن بن المظفر للقصيدة ذاتها، ونصه: «ومن غرر شعره»(معجم الأدباء ١٦٦١/٤)

وقد ذكرهذا الكتاب للواحدي ياقوت الحموي في **معجم الأدباء** (١٦٦٠/٤) وسماه هناك «**الدعوات والمحصول**». ولكن المحقق المرحوم إحسان

عباس أشار في الحاشية الخامسة من الصفحة ذاتها إلى أن (لمحصول) في (ك): هي (الفصول). و(ك) عند عباس، هي رمز لـ (كوبريللي). أي أن العنوان الوارد في مخطوطة كوبريللي لمعجم الأدباء، هو «**الدعوات والفصول**». ونحن ملنا إلى ذلك ، لأن الكتاب الذي بين أيدينا قائم على الدعوات المتباينة والفصول المتنوعة .وعنوانه في مخطوطة كوبريللي، أليق ما يكون بمضمونه، وفصوله، ولهذا اعتمدناه.

وقد ذكر كتابنا هذا بعنوان: «**الدعوات**» فقط. وهو اختصار شائع لأسماء الكتب القديمة، في مصادر متعددة، فهو«**الدعوات**» في **سير أعلام النبلاء** (٣٤١/١٨) للذهبي (٧٤٨ هـ)، **وطبقات الشافعية** (٢٧٨/١) لابن قاضي شهبة (٨٥١هـ) **وطبقات المفسرين** (٣٨٧/١) للداودي (٩٤٥هـ)، **وكشف الظنون** (ص١٤١٧) لحاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، **وشذرات الذهب** (٢٩١/٥) لابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ).

ولا غرابة في أن يؤلف الواحدي كتابا بعنوان «**الدعوات**». فهو حين فعل ذلك، جرى على ما جرى عليه سابقوه ولاحقوه. فقد ذكر حاجي خليفة في **كشف الظنون** بضعة كتب، عنوان كل منها «**الدعوات**» ونسبها إلى كل من: الحسين بن إسماعيل المحاملي(٣٣٠هـ)، والطبراني (٣٦٠ هـ)، والإمام جعفر بن محمد المستغفري الشافعي (٤٣٢هـ)، والإمام البيهقي (٤٥٨هـ)، وأبي داود الحافظ، وشمس الأئمة الحلواني (انظر **كشف الظنون** ص ١٤١٧). وثمة فصول (للأدعية) وردت في كتب أدبية كثيرة، مثل: كتاب **زهر الآداب** للقيرواني، **ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء** للراغب الأصفهاني، **والتذكرة الحمدونية**، لابن حمدون ... الخ.

وكتاب **الدعاء (الدعوات)** للمحاملي وصل إلينا، وطبع في مكتبة ابن تيمية، وكذلك طبع كتاب الطبراني «**الدعاء**» في دار الكتب العلمية ببيروت. ومن كتب الأدعية المطبوعة: **الدعوات المستجابة** لأبي حامد الغزالي (ط - مكتبة القرآن)، **والدعوات المستجابة** لابن القيم الجوزية (ط - مكتبة التراث)، **وسهام الإصابة في الدعوات المستجابة** (ط - دار البشير). وثمة إشارة

إلى مخطوطة أخرى بعنوان « **أدعية مختارة** » لأحمد بن محمد بن محرز (٥١٦هـ) في **فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - المجاميع** (ق ١ص٢٠١- ٢٠٢).

وبعد، فما هو منهج هذا الكتاب، وما هي أهم مزاياه؟

إن كتاب الواحدي هذا «**الدعوات والفصول**» من كتب الأدب العامة التي شاع تأليفها بدءاً من القرن الثالث الهجري، **كعيون الأخبار** لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، **والعقد الفريد** لابن عبد ربه (٣٢٢هـ) **وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء** لأبي حاتم البستي (٣٥٤)، **وتحفة الوزراء** للثعالبي، **وسر البلاغة وسحر البراعة** المنسوب إلى الثعالبي (٤٢٩هـ)، **وأدب الدنيا والدين** للماوردي (٤٥٠هـ)، **ومحاضرات الأدباء** للراغب الأصبهاني (٥٠٢هـ)، **ولباب الآداب** لأسامة بن منقذ (٥٨٤هـ). **والتذكرة الحمدونية** لابن حمدون (٥٦٢ هـ) **وطرف الأصحاب وتحف الأحباب** لليافعي (٧٦٨هـ)، **والمستطرف** للأبشيهي (٨٥٤هـ)، **والمحاضرات والمحاورات** للسيوطي (٩١١هـ).

والطابع العام لهذه الكتب، مع تفاوت فيما بينها، هو التعويل على أركان الثقافة العربية، تمتح منها، وتستشهد بنصوصها. وأركان الثقافة العربية، عامة، هي: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي القديم، والمأثور من أقوال الحكماء والكتاب. ولما كان الواحدي، قد عرف بأنه مفسر للقرآن وعالم بالحديث، فقد غلب على كتابه الاستشهاد بآيات من القرآن، ونصوص من الحديث الشريف. ولكنه لم يهمل الشعر القديم، ولا نثر الكتاب الذين سبقوه أو عاصروه.

فالواحدي مثلا تحت عنوان «فصول التهنئة بالعيد، وما تختص به من الأدعية» في (الورقة ٤٩ أ) يقول: «قال أنس: قدم النبي ﷺ المدينة، ولهم يومان من السنة، فقال النبي ﷺ: قدمت عليكم، ولكم يومان تلعبون فيهما. وإن الله أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر ويوم النحر». ويسوق بعد ذلك ما كتبه أبو الفرج بن هندو مما يناسب المقام. وينشد بعد ذلك أبياتا في هذا المعنى للصابي، كقوله:

عيدٌ إليك بما نحبُّ يعودُ بطوالع أوقاتهن سعودُ
متبارياتٍ كلُّ طالعِ ساعةٍ يوفي على ما قبله ويزيدُ

قد صمتَ شهرَ الصومِ بالنسكِ الذي هـو منـك معـروفٌ لـه معهـودُ

ويضيف: وقرأت على الشيخ أبي منصور الثعالبي قوله:

قـدمَ العيـدُ صـاحبا مـودودا ومضى الصومُ صاحبا محمودا

ويلي ذلك فصل يختص بالأضحى، فيه شرح لمعنى الأضحاة و الأضحية. وحديث شريف يناسب المقام، ثم ألفاظ صالحة للتهنئة بهذا العيد.

وتحت عنوان « فصول الأدعية » في (الورقة ٩٩ ب) يذكر ما يلي: فصل في فضل الدعاء، ويستشهد هنا بالآية الكريمة﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾. ويأتي بفصل من كلام البلغاء في الدعاء، ومن أولئك البلغاء: أبو بكر الخوارزمي، والشيخ أبو بكر القهستاني. ثم يسوق بعد ذلك أبياتاً في الأدعية، منها قول البحتري:

كـان لـه الله حيث كـان، ولا أخـلاه مـن عـزه ومـن نِعَمِـهْ

حاجاتنـا أن تطـول مـدته وسـؤلنا أنْ يعـاذ مـن عَدَمِـهْ

ويعقبها بأبيات أخرى، في المعنى ذاته، لكل من أبي فراس الحمداني، وابن المعتز، وعلي بن حسن الكاتب ... الخ.

ومن الجدير ذكره أن أهمية هذا الكتاب تكمن في احتوائه على نصوص شعرية ونثرية لا توجد في غيره من كتب الأدب، في حدود علمي. ومنها نصوص شعرية لكل من: أبي منصور الثعالبي، وابن المعتز، والصاحب بن عباد، وابن الرومي، وكشاجم، وأبي الفضل الميكالي ... الخ. ومنها نصوص نثرية لكل من: القاضي منصور بن أبي منصور الأزدي، وبديع الزمان الهمداني، وأبي العلاء حسول، وأبي اسحق الصابي، والصاحب بن عباد، وابن هندو، وأبي بكر القهستاني ... الخ. والملاحظ أيضا أن ظاهرة السجع قد شاعت في ثنايا النصوص النثرية الواردة في هذا الكتاب.وهي ظاهرة طبعت الكثير من كتب الأدب التي ألفها علماء من القرنين الرابع والخامس الهجريين أمثال الصاحب بن عباد في كتابه «**الفصول**» وبديع الزمان الهمداني في «**مقاماته**»، وابن العميد فيما أثر عنه من نثر، والثعالبي في كثير من كتبه ... ومن أمثلة ذلك ما ساقه الواحدي في فصل« التهنئة بتعليم الولد الأدب» (ق٤٤ أ) ونصه: «الأدب أشرف مكسب، وأفضل منتسب، وأقوى سبب إلى أشرف رتب، وأرفع علم لأصحابه،

وأزينه لأربابه، وأعلاه لصاحبه إلى معالي الأمور، ورفع محله فوق الجمهور. به يتقرّب إلى الأكابر، ويرام صعود المنابر. يسمو بصاحبه فوق النظراء، ويطرّق له مجالس السادة الكبراء، والملوك والأمراء، ويحظّيه عند الكتاب والوزراء ».

وعلى الرغم من أن الواحدي معروف للكثيرين من المعنيين التراث، وأعلامه، فلا بد من تقديم تعريف وافٍ به، وبكتبه التي تركها.

الواحدي:

ترجم للواحدي مجموعة كبيرة من العلماء، بدءاً من معاصريه: «الحسن بن المظفر النيسابوري» في «**ذيل تتمة اليتيمة**» (انظر **معجم الأدباء** ٤/١٦٦١)، والباخرزي في «**دمية القصر**» (تح العاني ٢/ ٢٥٨- ٢٥٩). وانتهاءً بمعاصرينا مثل: الزركلي في «**الأعلام**» (٢٥٥/٤)، وكارل بروكلمان في «**تاريخ الأدب العربي**» (الهيئة العامة للكتاب ق ٤ ج ٧و٩ ص٢٠٠- ٢٠٢)، وعمر رضا كحالة في «**معجم المؤلفين**» (٢٦/٧- ٢٧). ومروراً بعبد الغافر (٥٢٩هـ) في السياق (المنتخب من السياق، للصريفيني ص ٥٨٥) والقفطي (٦٢٤هـ) في **إنباه الرواة على أنباه النحاة** (٢٢٣/٢)، وياقوت الحموي(٦٢٦ هـ) في **معجم الأدباء** (١٦٥٩/٤ فما بعدها)، وابن خلكان(٦٨١هـ) في **وفيات الأعيان**(٣٠٣/٣- ٣٠٤)، والذهبي(٧٤٨ هـ) في **سير أعلام النبلاء**(٣٣٩/١٨- ٣٤٢)، واليافعي (٧٦٨هـ) في **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**(٧٤/٣)، وابن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في **طبقات الشافعية** (٢٦٤/١) وابن تغردي بردي (٨٧٤ هـ) في **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (١٠٥/٥)، والسيوطي (٩١١هـ) في **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** (١٤٥/٢) وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ) في **شذرات الذهب** (٢٩١/٥)، و علماء آخر كثيرين.

تناولت المعلومات المتصلة به اسمه وكنيته وأسرته ومولده ومكان عيشه وعلمه وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته.

فقد ولد الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي النيسابوري الشافعي في السنة ٣٩٨هـ في نيسابور ونشأ بها. وحددنا هذه السنة تاريخاً لمولده، لأن الذهبي يقول في أحداث السنة (٤٦٨ هـ): وفيها مات الواحدي، وكان من أبناء السبعين (**العبر في خبر من غبر** ٣٢٤/٢).

وأصل الواحدي من ساوة، وساوة بين الري وهمدان. وأهله من التجار. وعرف بـ (الواحدي) نسبة إلى جده الواحد بن مهرة - كما في **وفيات الأعيان** (٣٠٣/٣). أما اسم جده (متويه) فيشير إلى أصوله المسيحية الآرامية الإيرانية - كما يقول (بروكلمان) في **تاريخ الأدب العربي** (٨٠٧/٤). وكان للواحدي أخ يدعى عبد الرحمن، توفي في العام ٤٨٧ هـ. أما أبو الحسن علي بن أحمد، فثمة ما يشبه الإجماع على أنه توفي في العام ٤٦٨هـ. وهناك من يمد في عمره عاما آخر، فيجعل وفاته في العام ٤٦٩هـ. يقول الذهبي: «مات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربع مئة، وقد شاخ» (**سير أعلام النبلاء** ٣٤٢/١٨).

كان الواحدي متعدد جوانب المعرفة، فهو مفسر ومحدث ونحوي ولغوي وأديب وشاعر، وأستاذ عصره وواحد دهره. و« قد أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة، فتلمذ لأبي الفضل العروضي الأديب، وقرأ النحو على أبي الحسن الضرير القهندزي، وسافر في طلب الفوائد، ولازم مجلس الثعلبي في التفسير، وأدرك الزيادي وأكثر عن أصحاب الأصم (**معجم الأدباء** ١٦٥٩/٤- ١٦٦٠). وذكر الحسن بن المظفر النيسابوري أن الواحدي هو من قيل فيه:

قد جُمع العالَمُ في واحدٍ عالِمِنا المعروفِ بالواحدي

ووصفه القفطي بأنه أستاذ عصره في النحو والتفسير (**إنباه الرواة** ٢٢٣/٢). وقال عنه ابن خلكان: «كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ورزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها» (**وفيات الأعيان** ٣٠٣/٣). وقال عنه ابن قاضي شهبة: إنه كان فقيها وإماما في النحو واللغة، وإمام عصره في التفسير (**طبقات الشافعية** ٢٧٧/١). ووصفه الذهبي بـ«انه إمام علم التأويل» (**سير أعلام النبلاء** ٣٣٩/١٨). ونعته ابن العماد الحنبلي بـ: انه أحد من برع في العلم، وكان شافعي المذهب ... ورأسا في اللغة العربية (**شذرات الذهب** ٢٩١/٥).

وانتقل الواحدي، بعد أن حفظ كتاب الله، في كتّاب أبي عمر بن الموفق، إلى معاهد العلم الأخرى، فدرس في دار السنة بنيسابور، وهي مدرسة الحديث التي أنشأها في السنة (٣٤٢ هـ) الإمام أبو بكر بن إسحق الصيفي النيسابوري. وأخذ العلم في هذه المدرسة عن أبي بكر الحيري، وذكر ذلك في كتابه

«أسباب النزول». ولكن الواحدي رحل كثيراً في طلب العلم، وبلغ شيوخه في ميادين الحديث والفقه والتفسير والقراءات واللغة والنحو وغيرها، حداً جعله يحجم عن استقصائهم خشية الإملال (انظر مقدمة كتابه: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق عادل عبد الموجود وصحبه ص ٢٣). والمعروف أن الواحدي قد مارس القريض. وهناك أبيات له وردت في بعض المصادر. ومنها قصيدته البائية، التي هدتنا إلى كشف سر المخطوطة، التي ننشرها اليوم. بيد أن أعظم علم شهر به الواحدي كان علم التفسير، إذ لا يوجد مفسرٌ، غير الواحدي، فسَّرَ القرآن ثلاث مرات، وجعل كل تفسير في عنوان، وهي: التفسير البسيط، وهو أكبرها وأقدمها تأليفا، والتفسير الوسيط، وهو مطبوع، والوجيز، وهو مطبوع أيضا. يضاف إلى ذلك تبحّره في علم النزول. وكتابه «أسباب النزول» من أشهر المؤلفات في بابه. وقيل فيه: كان مُنْطَلِقَ اللسان في جماعة من العلماء، ما لا ينبغي، وقد كفر من ألّف كتاب:حقائق التنزيل . ووصف أيضا بأنه من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وبأن له شعراً رائقاً (**سير أعلام النبلاء** ١٨/ ٣٤١).

ونذكر هنا، بغية استكمال ترجمته، بعضا من أساتيذه، وبعضا من تلاميذه:

آ - **فمن شيوخه**: في علوم اللغة والأدب أبو الفضل أحمد بن محمد العروضي الصفار (٤١٦هـ)، وفي علم النحو أبو الحسن علي بن محمد القهندزي، وأبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي (٤٣٠هـ). وفي القراءات أبو القاسم البستي، وأبو عثمان سعيد بن محمد الحيري الزعفراني (٤٢٧هـ)، وأبو الحسن علي بن أحمد الفارسي (٤٣٠هـ). أما أشهر شيوخه وأبرزهم في التفسير، فهو الإمام العلامة أبو اسحق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧هـ). زد على ذلك الثعالبي أبا منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ)، الذي نعت بأنه جاحظ نيسابور. وقد وصفه الواحدي في كتابه هذا، بأنه شيخ من شيوخه، كما مر من قبل.

ب- **ومن تلاميذه**: عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (٥٢٩ هـ) وهو الذي أجاز له الواحدي بجميع مسموعاته وتصنيفاته، والإمام عبد الجبار بن محمد

الخواري (٥٥٣هـ)، وأبو نصر محمد بن عبد الله الأرغياني مفتي نيسابور في عصره (٥٢٩هـ)، و عمر بن عبد الله شقيق أبي نصر السابق (٥٣٤هـ)، وأبو القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي (٤٦٥هـ)، وعلي بن سهل بن العباس النيسابوري (٤٩١هـ)، والميداني أحمد بن محمد (٥١٨هـ).

وترك الواحدي مجموعة كبيرة من المؤلفات، هي:

أولاً - في التفسير:

١- **البسيط في تفسير القرآن**، ويقع هذا التفسير في ستة عشر مجلدا (انظر: **شذرات الذهب** ٣/ ٣٣٠، **وطبقات الداودي** ١/ ٣٩٤)، وذكر (د. عفيف عبد الرحمن) أن أبا حيان الأندلسي قد اعتمد عليه في كتابه **ارتشاف الضرب**. وبعض أجزائه في مكتبة (جستر بيتي)، وفي الخزانة العامة بالرباط، ودار الكتب المصرية، والمدينة المنورة (**الوسيط في الأمثال** ص١٤).

٢- **الوسيط في تفسير القرآن الكريم**، وقد حققه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وصحبه، ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤١٥هـ /١٩٩٤.

٣ - **الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، وطبع بمصر سنة ١٣٠٥هـ.

٤- **معاني التفسير**، وذكره الواحدي في مقدمة كتابه «التفسير الوسيط». إضافة إلى كتابيه الآخرين:

٥- **مسند التفسير**

٦- **مختصر التفسير**.

٧- **الحاوي لجميع المعاني في التفسير**، وذكره حاجي خليفة في(كشف الظنون، ط بغداد ١/ ٢٤٥) تحت عنوان (تفسير الواحدي)، فقال: تفاسير الواحدي ثلاثة البسيط والوسيط والوجيز. وتسمى هذه الكتب الثلاثة: الحاوي لجميع المعاني (انظر مقدمة تحقيق تفسير الوسيط ص٢٩).

٨- **جامع البيان في تفسير القرآن**، وذكر أنه يوجد في مكتبة داماد زاد باستنبول رقم ١٩١ (مقدمة تحقيق الوسيط ص ٢٩)

ثانياً في علوم القرآن:

٩- **أسباب النزول**، وقد حققه أحمد صقر، ونشر بالقاهرة في العام ١٩٧٠.

١٠- **نفي التحريف عن القرآن الكريم.**

١١- **فضائل القرآن الكريم**، ويذكره د.عادل عبد الموجود باسم «مقاتل». ولعل في ذلك تحريفاً. وقد ذكر بعنوان علم فضائل القرآن في كشف الظنون (١٢٧٧/٢). واختصره شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي، فأخذ أربعين حديثاً منه (**كشف الظنون** ٣٥٥/١، ومقدمة عفيف عبد الرحمن **للوسيط في الأمثال** ص ١٥).

١٢- **رسالة في شرف علم التفسير**، وذكر د. عادل عبد الموجود أنها مخطوطة بدار الكتب الوطنية تحت رقم (٢٢٠ مجاميع) (انظر: **مقدمة تحقيق الوسيط** ص ٢٩) .

ثالثاً - في النحو:

١٣- **الإغراب في علم الإعراب**، ولا أثر لهذا الكتاب إلا في مراجع التراجم مثل **طبقات الشافعية** (٢٤٠/٥) **وسير أعلام النبلاء** (٣٣٩/١٨) **وبغية الوعاة** (١٤٥/٢) **وشذرات الذهب** (٣٣٠/٣).

رابعاً - في الأدب والعلوم الأخرى:

- **شرح ديوان المتنبي**، طبع ببرلين في العام ١٨٦٠. وقيل عنه: ليس في شروح ديوان المتنبي مثله في الجودة. وطبع هذا الشرح، حديثا ، في خمسة مجلدات بدار الرائد العربي بتقديم ياسين الأيوبي، وقصي حسين، مع ضبط وتعليق وفهرسة.

- **التحبير في أسماء الله الحسنى**، وقد اندثر هذا الكتاب. وثمة إشارات إليه في **سير أعلام النبلاء** (١٨/ ٣٣٩) **وطبقات الشافعية** (٢٤٠/٥) **ووفيات الأعيان** (٣٣٠/٣).

- **تفسير أسماء النبي**، وذكر في **طبقات النحاة** (١٣٥/٢) **وشذرات الذهب** (٣٣٠/٣).

- **كتاب المغازي، أو مغازي النبي**. وذكر في **معجم الأدباء** (ط مرجليوث ٩٧/٥) **وطبقات المفسرين** للداودي (٣٨٧/١- ٣٨٨).

- **كتاب الدعوات والفصول**: وهو الكتاب الذي زيف عنوانه إلى «تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا». وقد كشفنا سره، وعرفنا حقيقته. وهنا نحن ننشره اليوم صحيح العنوان والنسبة.

- **الوسيط في الأمثال**: وله مخطوطة في خزانة الرباط، ناقصة الآخر، وفيها خرم من وسطها. وقد ذكره الواحدي في كتابه «**التفسير الوسيط**» (٢٤/١).

والمعروف أن هذا الكتاب قد أخرجه، محققا، الدكتور عفيف عبد الرحمن، ونشرته مؤسسة دار الكتب الثقافية بالكويت، في العام ١٣٩٥ هـ /١٩٧٥م. وفي مقدمة هذا التحقيق يضيف الدكتور عبد الرحمن كتباً أخرى للواحدي لم ترد فيما سبق، وهي:

- **بانت سعاد**، وهذا كتاب لم تذكره المصادر التي ترجمت للواحدي، ولكن توجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة (جستر بيتي)، كتبت في القرن التاسع الهجري (انظر **مقدمة عفيف عبد الرحمن للوسيط في الأمثال** ص ١٤).

ويضيف محقق الوسيط في الأمثال من مؤلفات الواحدي أيضا: **البسيط في الأمثال**، **والوجيز في الأمثال**، **والوسيط في الأمثال**، **والمترجم المنيح في شرح كتاب الفصيح**، **ونزهة الأنفس**، **وإيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن**، **وشرح مقصورة ابن دريد**، **والإيضاح والبيان لأسباب نزول آي القرآن**. وربما كان هذا الكتاب الأخير، هو ذاته كتاب الواحدي المعروف بـ «**أسباب النزول**» المذكور سابقاً. والراجح لدينا أن عناوين عديدة قد أعطيت لكتاب واحد، مثل كتاب الواحدي: «**الحاوي لجميع المعاني في التفسير**» الذي ذكره حاجي خليفة في **كشف الظنون** (١٤٥/١). فكأنه نسخة ضمت بعض كتب الواحدي في تفسير القرآن، والله أعلم.

ومما ذكره (بروكلمان) من كتب الواحدي المخطوطة كتاب (حرار المعاني)، ولعله (جرار المعاني)، وأشار إلى أن مخطوطته توجد في (قازان)، مُحيلاً على (كراتشكوسكي) ١٩٢٤/١٧٠ (تاريخ الأدب العربي ق٤ ج٧ و ٨ ص٢٠٠- ٢٠٢).

أما كتاب «**الدعوات والفصول**»، الذي نخرجه للناس، فلم يرد في ثناياه أية إشارة إلى أي كتاب من كتب الواحدي المذكورة آنفا. وهذا يقوي الترجيح أن هذا الكتاب قد ألف قبل العام ٤٤٢هـ كما ذكرنا. وربما كان السبب أن الواحدي لم يقطع شوطاً بعيداً في ميدان التأليف حتى ذلك التاريخ.

وخلاصة القول أن كتاب «**الدعوات و الفصول**» للواحدي، هو الكتاب السادس له الذي يرى النور، بعد كتبه الخمسة المطبوعة، وهي: **أسباب النزول**، و **شرح ديوان المتنبي**، **والوجيز في التفسير**، **والوسيط في تفسير القرآن المجيد**، **والوسيط في الأمثال**.

عملنا في المخطوط:

هذا المخطوط، كما ذكرنا، نسخة فريدة، في حدود علمنا، ونشرنا له، عنها وحدها، ليس غريباً، فقد نشر المحبَّر لابن حبيب عن نسخة وحيدة له، وكذلك الشأن بخصوص مجالس ثعلب لثعلب، والوحشيات لأبي تمام، والمسائل المنثورة لأبي علي الفارسي، وآداب الملوك للثعالبي، والذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير، وأنس المسجون وراحة المحزون لأبي الفتح عيسى بن البحتري، والأوائل لأبي بكر تقي الدين بن زيد الجراعي الحنبلي.

ومر بنا من قبل وصف هذه المخطوطة، فلا حاجة لنا لإعادة وصفها من جديد، ولكننا نشير إلى أننا قمنا، هاهنا، بما يقوم به المحققون، عادة، من حيث:

١- ضَبْط النص ضبطاً شبه كامل، ملاحظين أن الناسخ قد وقع في أوهام عديدة في أثناء ضبطه له، كما وقع في أخطاء أخرى كثيرة، صححناها، وأشرنا إلى ذلك في الحواشي.

٢- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة. ولكننا -والحق يقال- لم نخرج بعض الأحاديث، لأننا لم نهتدِ إلى مظانها.

٣- تخريج الأشعار والأخبار والأقوال المأثورة والنصوص الأخرى من مصادرها، ما أمكننا ذلك. وقد صحح ما جاء في مخطوطنا صوابا بعض ما صار مطبوعاً منها مغلوطا ، وصحح ما هو مطبوع منها صوابا، ما جاء في مخطوطنا مغلوطاً.

٤- ولاحظنا أن كتابنا هذا حوى بعض الأشعار التي لا توجد في غيره من المصادر، ولا توجد في الدواوين المطبوعة لبعض الشعراء. ومن هؤلاء: ابن

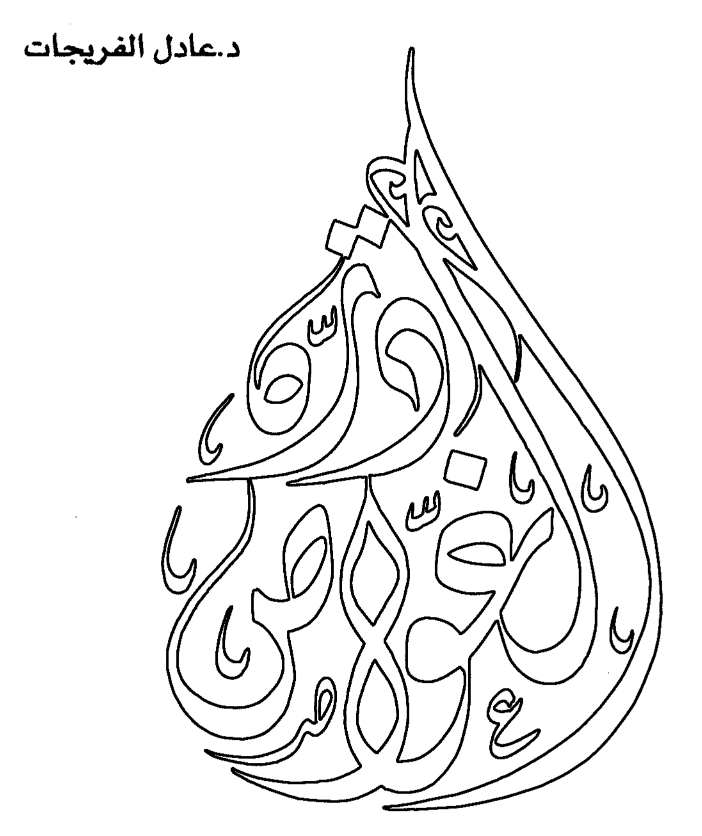
الرومي، وابن المعتز ، والثعالبي، والصاحب بن عباد، وأبو الفضل الميكالي، والبحتري، والفرزدق، وكشاجم، والسري الرفاء.

٥- صُنْع الفهارس اللازمة التي تخدم الباحثين، وتفصل في عناصر الكتاب ومحتوياته.

وبعد، فلستُ أزعمُ أني بلغتُ ما لم يبلغ غيري في هذا الميدان، ففوق كل ذي علم عليم، ولكني بذلتُ الجهد الكافي، لأقدِّمَ نصاً تراثياً إلى المكتبة العربية المعاصرة، كان بعض الناس قد ظلمه حين زيَّف عنوانه، ونحله إلى غير صاحبه، فصيَّره «**تحفة الظرفا وفاكهة اللطفا**» ، للثعالبي، وإنّما هو، يقيناً، **الدعوات والفصول**، للواحدي.

دمشق في ٢٠/٥/٢٠٠٧

د.عادل الفريجات

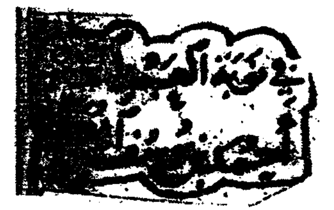


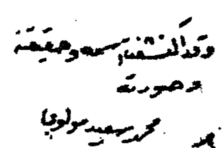


كتاب في المحاضرات والمحاورات

هذا كتاب تحفة الظرفاء وفاكهة اللطفاء

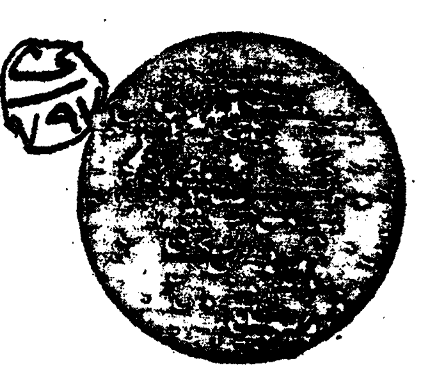
لأبي منصور الثعالبي











٢ اليوم قابلنا الزمان بوجهه طلقاً ونلنا عزنا المفقودا

بقدوم من نطق الحسود بفضله وبنى على الكرمات عيدا

السيد الفرد الذي أثنت عليه المآثر شاردها ومعهودا

٢ لله غرته التي مذ أشرقت غدت الوجوه من الأعادي سودا

لا زال في ظل المسرة رافلاً يغدو ويمسي نجمه مسعودا

ومن جيد ما قلته نظماً في هذا الباب قولي

٢ أيا قادماً من مصر أهلاً ومرحباً بقيت على الأيام ما هبت الصبا

٢ لعمري لقد أحيا فؤادي ومهجتي ثناءٌ نحيّك صبًّا في هواك معذبا

بظل أسير الوجد يشكو صبابة ويمشي على جمر الغضا متقلبا

٢ وكم فاض من عيني لبعدك أدمع حكت غزرها جود الربيع وصيبا

وعاد النهار الطلق أسود مظلماً وعاد بنا الإصباح بعدك غيهبا

٢ وأقسم لو أبصرت طرفي باكياً لشاهدت دمعاً بالدماء مخضبا

فمسلك لهوٍ سدّها الوجد والجوى وروض سرور عاد بعدك مجدبا

(ق ٥/ب)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله أولى من حمده الحامدون وأعلى من عبده العابدون وسجد له الساجدون والمصلى عليه المبعوث بالرسالة محمد وآله الأكارم الأماجدون وبعد فقد سألني بعض إخواني لا بل سادتي وأئمتي الخلان ممن أوجب له حق الوفاء وأوثقه من بنوة الاصطفاء أن أجمع له [illegible] ولا تنشأ [illegible] الألفاظ تعز وكنايات رأيتها تحتاج إليها في المحاضرة وما يجري بين الناس من المحاورة في حوادث السراء والضراء ونوائب الشدة والرخاء من أنواع التهنئة وضروب التعزية وما يجري من الكلام في هذا النظام موشحا بما يليق به من آي الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه جامعة بين طرفي النثر والنظم فأجبته إلى ذلك مبادرا إلى ما ابتغاه متحريا هواه بعد أن شرطت عليه الإيجاز وترك الإكثار والاختصار على ما خف

أيامه التي هي أعياد الدهر ومواسم الأمن واليمن ومطالع النجح والسعد وزاد دولته شباباً ونمواً كلما زاده في السن علواً حتى تكون السنوات وقد أبت والبشائر قوى شمسه والمسار تغذ انفسه ويرأى نمو الإقبال الى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه أجل وأنا أسأل الله تعالى مسألة المبتهل لديه أن يديم أساس الدنيا باتصال أيامه ولا يعطلها عن التحلي بنضارة زمانه وأن يجمع جميع آثار الدعوات الصالحة الداعية المستجابة له ولا يعدم المعالي والمكارم ظله بمنه وقدرته وسعة رحمته ٥

تم الكتاب والحمد لله

رب العالمين وصلواته على سيدنا ومولانا

خاتم النبيين محمد النبي وآله وعترته الطاهرين

وحسبنا الله وحده ونعم المعين



[أ / ب] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبهِ نَستعين

الحمدُ للّهِ، أَوَّلِ مَنْ حَمِدَهُ الحامدون، وأعْلى مَنْ عَبَدَهُ العابدون، وسَجَدَ لهُ السَّاجِدون، والْمُصلَّى عليهِ المَبْعوثُ بالرِّسالةِ، مُحمَّدٌ وآلُهُ الأكارمُ الماجدون، وبعدُ. فقدْ سألَني بعضُ إخواني، لا بلْ سادتي وأماثلُ خُلاَّني، مِمَّن أُوْجبُ لهُ حقَّ الوفاءِ، وأُوْثرهُ بمزيَّةِ الاصْطفاءِ، أنْ أجمعَ له فصولاً تَشْتملُ على ألفاظٍ بارعةٍ، وكلماتٍ رائعةٍ يُحْتاج إليها في المحاضرةِ، وما يجري بينَ الناس من المحاورةِ، في حوادث السَّرَّاء والضَّرَّاءِ، ونوائبِ الشِّدَّة والرخاءِ، من أنواع التهنئةِ، وضروبِ التَّعْزيةِ، وما يَنْخرطُ منَ الكلامِ في هذا النظامِ، مُوَشَّحاً بما يليقُ مِنْ آيِ الكتابِ، وأخبارِ الرسولِ ﷺ، جامعةً بين طَرَفَي النَّثْرِ والنَّظْمِ، فأجَبْتُهُ إلى ذلك مُبادراً إلى ما ابْتَغاهُ، مُتَحرِّياً لِهواهُ، بعدَ أنْ شرطْتُ عليه الإيْجازَ، وتَرْكَ الإكثارِ، والاختصار على ما يَخِفُّ [٢/أ] ويقربُ، دونَ ما يثقلُ ويَبْعُدُ، واسْتَخَرْتُ اللّهَ جلَّ ذكرُهُ، وابتدأتُ بما يُذْكرُ

في التهنئة بالقُدُوم

قالَ اللّهُ تَبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾[١]- الآية. قال مُقاتِلٌ[٢] والكلبيُّ[٣]: لَمَّا نَزَلَ النبيُّ ﷺ الجُحْفَةَ[٤] في مَسيْره مِنْ مكَّةَ لَمَّا هاجَرَ، اشتاقَ إليها، وذَكَرَ مولدَهُ ومولِدَ آبائِهِ، فأتاهُ جبرائيلُ عليهِ السلامُ، فقال: أَتَشْتاقُ بلدَكَ ومولدَكَ؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: نَعَمْ، فقال جبرائيلُ: فإنَّ اللّهَ تعالى يقولُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ يعني إلى مكَّةَ، ظاهراً عليهم، فنزلتْ هذهِ الآيةُ بالجُحْفةِ، وليستْ مكيّةً ولا مدنيَّةً.

---

(١) سورة القصص ٢٨/٨٥.

(٢) مُقاتِل: هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، من أعلام المُفسِّرين أصله من بَلْخ، ودخل بغداد وحدَّث فيها، وتوفي بالبصرة عام ١٥٠هـ، من كتبه: التفسير الكبير – الأعلام ٧/٢٨١.

(٣) الكلبي: هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أبو المنذر، مؤرِّخ، كثير التصانيف، من أهل الكوفة، له نيف وخمسون كتاباً، منها "جمهرة النسب" و "الأصنام" –توفي سنة ٢٠٤هـ، الأعلام ٨/٨٧- ٨٨.

(٤) الجُحْفة: قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وسمِّيتْ بذلك لأنَّ السَّيْلَ اجتحف أهلها في بعض الأعوام. وكان اسمها من قبل مَهيعة –معجم البلدان (الجحفة).

وعن مُجاهِدٍ[1]: لَرادُّك إلى مَعادٍ، إلى مولدِكَ- مكة ومعنى الآية: أنَّ الذي فَرَضَ عليكَ أحْكامَ القرآنِ، وأكرمَكَ بهِ بعدَ أنْ كُنْتَ أُمِّيّاً لا تكتبُ ولا تقرأُ، فخصَّكَ بالوحيِ ورفَعَ مَحلَّكَ بالرسالةِ [٢/ب] وألْبَسَك الإجْلالَ بما أنزلَ عليكَ منَ الآياتِ، وأهَّلَكَ من أنواعِ الكراماتِ، لرادُّكَ إلى مَعادٍ، عزيزاً منيعاً قويّاً رفيعاً غالِباً ظاهراً قاهِراً ظافِراً، مُتكثِّراً بالعَدَدِ، مُستَظْهِراً بالعُدَدِ، منيعاً بالمهاجرين الذين نَصَروا الدين، وجاهدوا أعداءَ رَبِّ العالمين، مُتَحصِّناً بالأنصار الكُماةِ، الذّابّةِ عنْ بَيْضةِ الإسلامِ، الحُماة حِزْبَ اللهِ، وأنصارِ دينِ اللهِ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، إذْ أخْرَجَهُ الذينَ كفَروا، فَرْداً خَرَجَ ﷺ مِن مكّةَ، وهي مَوْلِدُهُ ومَنْشَؤُهُ، ومسقطُ رأسِهِ، وبها أقاربُهُ وأصحابُهُ، وهي أوَّلُ مكانٍ مَسَّ جِلْدَهُ ترابُهُ. شِعْر: [من الطويل]

بِلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تمائِمي وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدي تُرابُها

رُوي عن عبد الله بن عَدِيّ، وهو رجل من بني زُهْرةَ: أنّهُ قالَ رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وهو على [٣/أ] راحلته بالحَزْوَرَةِ[2]، وهو يقول لمكّةَ: «واللهِ إنّكِ لخيرُ أرْضِ اللهِ، وأحَبُّ أرْضِ الله إلى اللهِ، ولولا أنّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خرجْتُ»[3].

وقالَ اللهُ تعالى لنبيِّه عليه السَّلام: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾[4] فأخْبَرَ عن مكرهم بهِ، حينَ اجتمعُوا في دارِ النَّدوةِ ليحتالوا في حَبْسِهِ احتيالاً، أو يقتلوهُ اغتيالاً، أوْ يخرجوهُ نَكالاً[5]، فحاقَ بهم مَكْرُهم، وعاد عليهم أمرُهُمْ، فقُتِّلوا ببَدْرٍ عن قريبٍ، وأُلْقيتْ جِيَفُهمْ في قليبٍ.

---

(١) مجاهد: هو مجاهد بن جبر، مولى بني مخزوم، تابعي مُفسِّر من أهل مكة، نُعِتَ بأنه شيخ المفسِّرين، أخذ تفسيره عن ابن عباس. توفي سنة ١٠٤هـ –الأعلام ٥/ ٢٧٨.

(٢) الحزورة: هي سوق مكّة. وما قاله الرسول فيها هنا، ذكره ياقوت الحموي أيضاً بتصرف في معجم البلدان: (حَزْوَرَة).

(٣) الحديث رواه أحمد في المُسْنَد ٣٠٥/٤، والترمذي في المناقب رقم ٣٩٢٥. والحاكم في المستدرك ٨/٣

(٤) سورة الأنفال: ٣٠/٨.

(٥) النَّكال: العِبْرة.

ووعَدَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ أنْ يردّه إلى مكّة بقوله عزّ مِنْ قائلٍ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[1] فصَدَق في ميعاده، وردّه إلى مكّةَ بميلاده عزيزاً منصوراً محميّاً موفوراً، سالِماً طَرْفُهُ، عالياً كعْبُهُ، شديداً شوكتُهُ[2] كثيراً شُكّتُهُ[3]، قريراً عينُهُ، قويّاً أمْرُهُ، في أُلُوفٍ من الصناديد، فعَلَتْ كلمةُ الإسلام، وآلَ الأمرُ إلى النّظام صلّى الله عليه وعلى [٣/ب] آلِهِ وأصحابِهِ -أنجُمِ الظلامِ. فهذه قصّةُ حبيبِ اللهِ عليه السّلامُ في خروجِهِ منْ مكّةَ مُستَخْفياً مَسْتوراً، وعودُهُ إليها مُستَعْلياً منصوراً.

ومنَ الألفاظِ المُنْتخبةِ في هذا المعنى: أُهنِّئُ سَيِّدي ونفسي بما يسَّره اللهُ من قدومِهِ سالِماً، وأشكُرُ اللهَ على ذلك شُكراً دائماً، قد أُعْفيتْ ظهورُ ركبانِهِ، وآبَتِ البركةُ بإيابِهِ، غيبةُ المكارمِ مقرونةٌ بغَيْبتكَ، وأوْبَةُ النِّعمِ مَوْصولةٌ بأوبتِكَ، فوَصلَ اللهُ قدومَكَ مِنْ الكرامة، بأضعافِ ما قَرَنَ به مسيرَكَ. هنَّأكَ اللهُ إيابَكَ، وبلَّغَكَ محابَّكَ، مازِلْتُ أيّامَ غيبتكَ بذكْرِكَ مُستَأنِساً، وللشوقِ إليكَ مجالِساً إلى أنْ مَنَّ اللهُ من أوْبتك بما عظُمَتْ عليَّ بهِ النِّعْمةُ، وجلَّتْ لديَّ منهُ المِنْحةُ. مازِلْتُ بالنِّيَّةِ مسافِراً إلى أنْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَ سُروري بأَوْبتِكَ، وسكَّنَ نافِرَ قلبي بعودتكَ، فأسْعَدكَ اللهُ بمقْدمِكَ، سعادةً تكونُ بها للإقْبال مُقابلاً، وبالأماني ظافراً، وباركَ [٤/أ] في مقدمِكَ بركةً تعمُّ مِنْ فَرْقِكَ إلى قَدَمِكَ، مُؤْذِناً بالْعِزِّ الواردِ، والعيشِ الباردِ، والروحِ الواصلِ، والأنْسِ الكاملِ.

ومن فَصْلٍ كَتَبْتُهُ إلى بعضِ الأكابِرِ:

بالجدِّ الأصعْدِ، والنّجْمِ الأسْعدِ، ما سهَّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ للشَّيْخِ منَ انكفائهِ إلى مقرِّ عزِّهِ ومقامِهِ، انكِفاءَ هامِي الغَيْثِ غِبَّ انْصرامِهِ، وإقْبالِهِ إلى مركزِ مَجْدِهِ وعلائِهِ، إقْبالَ الخَصْبِ بِشآبيبِ أَنْوائِهِ، مَحْفُوفاً بالبركاتِ الشاملةِ، والمسرَّاتِ الكاملةِ، والسَّعادات والخيرات المتراحمةِ، والنِّعم المُترادِفةِ، والمِنَحِ المُتضاعِفة من البَدْأةِ الحميدةِ، والعَوْدةِ السَّعيدة، المُوْذنةِ بالدَّوْلة الجديدة، والعِزَّة

---

[1] سورة القصص ٢٨/ ٨٥.
[2] الشَّوكة: شدَّة البأس.
[3] الشُّكَّة: الأنصار والفرق المحاربة.

الطريفة، المشيدة للعِزَّة التليدة. والحمْدُ للهِ على هذه الموهبةِ الجسيمةِ، والعارفةِ العميمةِ، والنِّعْمةِ الجليلةِ، والعائدة الجميلةِ، حَمْداً يكونُ كفاءً لأنْعامِهِ وأفضالِهِ، وصلواته على محمَّدٍ وآلِهِ.

ومن النَّظْم المختار في هذا الباب قول البحتري[1]: [من الكامل]

[٤/ب١] - اللهُ أَعْطانا المُنَى فقَدِمْتَ أَسْـ ـعَدَ مَقْدَمٍ ودَخَلْتَ أيْمَنَ مَدْخَلِ

٢- فالمَنُّ فيكَ وفي قُدُومِكَ سالِماً للهِ حينَ نَزَلْتَ أكْرَمَ مَنْزِلِ[2]

وقول ابن الرومي[3]: [من الطويل]

١- قَدِمْتَ قُدومَ البدْرِ بيْتَ سُعُودِهِ وأَمْرُكَ عالٍ صاعِدٌ كصُعُودِهِ

٢- لبِسْتَ سَناهُ واعتليْتَ اعْتِلاءَهُ ونأْمُلُ أنْ تَحْظَى بمِثْلِ خلُودِهِ[4]

وقول الصَّابي[5]: [من الكامل]

١- أهْلاً بأشْرَفِ أوْبَةٍ وأجلِّها لأَجَلِّ ذي قَدَمٍ يُلاذُ بنَعْلِها

٢- فُرِشَتْ لكَ التُّرْبُ التي باشَرْتَها بِشِفائِها مِنْ طِفْلِها أو كَهْلِها

٣- لم تَخْطُ فيها خطوةً إلاّ وقَدْ وُضِعَتْ لرِجْلِكَ قُبْلَةٌ مِنْ قَبْلِها

---

(١) البحتري: هو الوليد بن عبيد، أبو عبادة البحتري، عاش بين سنتي (٢٠٦ و ٢٨٤هـ) وكان ولد في بلدة منبج شرقي حلب. واتصل بالمتوكل ومدحه كثيراً. وكان صاحب طريقة في الشعر تخالف طريقة أبي تمام، فنشأت الموازنات بينهما. وعد أسلوب البحتري وديباجته الشعرية أقرب إلى الروح العربية. نشر ديوانه في هذا العصر حسن كامل الصيرفي في خمسة مجلدات، بالقاهرة.

(٢) البيتان في ديوان البحتري، (ط الصيرفي) ٣/ ١٧٩٨.

(٣) ابن الرومي: هو علي بن العباس بن جريج الرومي. شاعر عباسي ولد ونشأ في بغداد وعاش بين سنتي ٢٢١- ٢٨٣هـ. كان هجّاء. وقد هجا القاسم بن عبد الله وزير المعتضد فدسَّ له السم، فمات. وقد ألّف المعاصرون فيه، فلعباس محمود العقاد: حياة ابن الرومي، ولعمر فرّوخ: ابن الرومي. وديوانه مطبوع في القاهرة بتحقيق حسين نصار في خمسة مجلدات.

(٤) البيتان في ديوان ابن الرومي (ط نصار) ٦٧٨/٢.

(٥) الصابي: هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحرّاني، أبو إسحق، أوْحَدُ العراق في البلاغة كما وصفه الثعالبي في اليتيمة. ولد سنة ٣١٣هـ وتوفي سنة ٣٨٤هـ. تقلد دواوين الرسائل لمعز الدولة الديلمي، ولابنه عز الدولة. كان صابئياً متشدّداً، ولكنه حفظ القرآن، وصام رمضان. ونشر له شكيب أرسلان المختار من رسائل الصابي. انظر يتيمة الدهر ٢٨٧/٢ فما بعدها، ووفيات الأعيان ١٢/١، ومعجم الأدباء ٢٠/٢ فما بعدها.

٤- وإذا تَــذَلَّلتِ الرِّقــابُ تقرُّبــاً   منهــا إليــكَ، فعزُّهــا في ذلِّهــا

وقول الصَّاحب[١]: [من الكامل]

١- قدِمَ الرئيسُ مُقَدَّماً في سَبْقِهِ   وكأنَّما الدُّنيا سَعَتْ في طُرْقِهِ

٢- فجبالُها مِنْ حلمِهِ، وبحارُها   مِنْ جُودِهِ، ورياضُها من خَلْقِهِ

[٥/أ]٣- وكأنَّما الأفلاكُ طَوْعٌ   كالعَبْدِ مُنْقاداً لمالِكِ رِزْقِهِ

٤- قدْ قاسَمَتْه نجومُها، فنحوسُها   لِعَدُوِّهِ، وسُعُودُها في أُفْقِهِ[٢]

وقوله أيضاً في ابن العميد[٣]: [من مجزوء الكامل]

١- قــالوا: رَبيْعُــكَ قَــدْ قَــدِمْ   فَلَــكَ البِــشارةُ بــالنِّعَمْ

٢- قُلْــتُ: الرَّبيــعُ أخــو الــشِّتا   ءِ أمِ الرَّبيــعُ أخــو الكَــرَمْ

٣- قــالوا: الــذي بِنَوالِــهِ   يُحْيــي الفقــيرَ مِــنَ العَــدَمْ

٤- قُلْتُ: الــرَّئيسُ ابــنُ العميــ   ـدِ إذَنْ؟ فقــالوا: لــي نَعَــمْ(٤)

ومِنْ محاسِنِ منصور الهروي[٥] في هذا الباب قوله [من الكامل]:

---

(١) الصاحب: هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني وزير مؤيد الدولة بن بويه وأخيه فخر الدولة. ولد في الطالقان، من أعمال قزوين عام ٣٢٦هـ، وتوفي بالري عام ٣٨٥هـ. وهو شاعرٌ أديبٌ وناثرٌ كلف بالسجع. وقد ألف أبو حيان فيه وفي ابن العميد كتابه: أخلاق الوزيرين. وله مصنَّفات كثيرة، منها الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، والمختار من رسائله، وديوان شعره، الذي أخرجه محمد حسن آل ياسين ببغداد سنة ١٩٦٥. وانظر فيه يتيمة الدهر ٢٢٥/٣ فما بعدها، ومعجم الأدباء ١٦٨/٦ فما بعدها.

(٢) الأبيات الأربعة في ديوان الصاحب (ط بغداد) ص ٢٤٩- ٢٥٠. وقالها في ابن العميد بخلاف في الرواية.

(٣) ابن العميد: هو محمد بن الحسين أبو الفضل وزير من الكتّاب الشعراء. وكان وزيراً لركن الدولة البويهي، ومعلماً لعضد الدولة، وكانت وزارته ٢٤ سنة، وتوفي سنة ٣٦٠هـ. وقد قيل فيه "بدئت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد". وكان الصاحب يقول: "كُتَّابُ الدنيا وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحق الصابي، ولو شئت لذكرت الرابع يعني نفسه" اليتيمة ٢٩٢/٢. وانظر فيه يتيمة الدهر ١٨٣/٣ فما بعدها، وكتاب ابن العميد، لخليل مردم.

(٤) الأبيات الأربعة في ديوان الصاحب ص ٢٧٧- ٢٧٨، وهي في يتيمة الدهر ١٨٧/٣ بخلاف في الرواية.

(٥) منصور الهروي: هو القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي. من مدينة هَراة إحدى مدن خراسان، وهو أديب وشاعر. وله ديوان شعر قال فيه الباخرزي إنه يبلغ أربعين ألف بيت. وتوفي القاضي الهروي سنة ٤٤٠هـ.

١- أَلآنَ أطْلَعَتِ النُّجومُ سُعُوْدا ... والأُنْسُ أصْبَحَ مَنْهلاً مَوْرُوْدا
٢- وتَبَسَّمَتْ أيامُنا بعدَ العُبو ... سِ ووَرَّدَتْ وَجَناتُها تَوْريدا
٣- والدَّهْرُ أحْسَنَ بَعْدَ طُوْلِ إساءةٍ ... ففدا لسواءُ سُرورنا مَفْقُوْدا
٤- وأرَى الزَّمانَ اليومَ أنْضَرَ مَنْظراً ... وأرقَّ أوْراقاً وأرْطَبَ عُوْدا
٥- اليومَ أعطَتْنا السُّعودُ عِنانَها ... طَوْعاً، وأوْلَتْنا النُّحوسُ صُدُوْدا
[٥/ب] ٦- اليومَ قابَلَنا الزَّمانُ بوَجهِهِ ... طَلْقاً، ونِلْنا عِزَّنا المَنْشُودا
٧- بِقُدُوْمِ مَنْ نَطَقَ العدوُّ بفَضْلِهِ ... ومَنِ اغْتَدَى للمكْرماتِ عَتِيْدا
٨- السَّيِّدُ الفَرْدُ الذي أمْسَتْ عَلَيْـ ... ـهِ المآثراتُ سُرادِقاً مَمْدودا
٩- للهِ غُرَّتُهُ التي مُذْ أشْرَقَتْ ... غَدَتِ الوجوهُ مِنَ الأعادي سُوْدا
١٠- لا زالَ في حُلَلِ المَسَرَّةِ رافِلاً ... يَغْدُو ويُمْسِي نَجْمُهُ مَسْعودا

ومن جيِّد ما قُلْتُهُ نظْماً في هذا البابِ قولي: [من الطويل]

١- أيَا قادِماً مِنْ مَصْرَ أهْلاً ومَرْحبا ... بَقِيْتَ على الأيّامِ ما هبَّتِ الصَّبَا
٢- لَعَمْري لقدْ أحْيَا قُدومُكَ مُدْنَفاً ... بِحُبِّكَ صَبّاً في هَواكَ مُعَذَّبا
٣- يظلُّ أسيرَ الوَجْدِ نَهْبَ صَبابةٍ ... ويُمْسي على جَمْرِ الغَضا مُتَقَلِّبا
٤- وكَمْ فاضَ مِنْ عيني لِبُعْدِك أدْمُعٌ ... حَكَى غزْرُها جُوْدَ الرَّبيعِ وصَيِّبا
٥- وعادَ النهارُ الطَّلْقُ أسْوَدَ مُظْلِماً ... وعادَ سنا الإصْباحِ بَعْدَكَ غَيْهبا
٦- وأُقْسِمُ لوْ أبصرتَ طَرْفي باكياً ... لَشاهَدْتَ دَمْعاً بالدِّماءِ مُخَضَّبا
٧- مَسالِكُ لَهْوٍ سَدَّها الوجْدُ والجوى ... ورَوضُ سُرورٍ عادَ بعدَكَ مُجْدِبا

انظر تتمة اليتيمة ص ٢٣٢ فما بعدها، ودمية القصر (تح العاني) ٩٣/٢، ومعجم الأدباء (عباس) ٢٧٢٧/٦، وسيَر الذهبي ٢٧٥/١٧.

[٦/أ] ٨- فداؤكَ روحي يا ابنَ أكرمِ ... ويا مَنْ فؤادي غيرَ حُبِّيه قدْ أبى

٩- عليكَ دليلٌ للنّجابةِ ماثلٌ ... وإنَّ أباً أنتَ ابنُهُ بكَ أنجبا

١٠- ولا زلتَ تسمُو في معاليكَ دائباً ... إلى أنْ تُرَى في بُعْدِ مَجْدِكَ كَوْكَبا(١)

وليس في التبشير أحسنُ منْ قَوْلِ أبي الفَضْلِ المِيْكالي(٢): [من الكامل]

١- جاءَ البَشيرُ مُبَشِّراً بِقُدُومِهِ ... فَمَلأْتُ مِنْ قَوْلِ البشيرِ سُرُوْرا

٢- وكأنَّني يعقوبُ مِنْ فرحي بهِ ... إذْ عادَ مِنْ شَمِّ القميصِ بَصيْرا

٣- واللهِ لَوْ قَنِعَ البشيرُ بِمُهْجَتي ... أعْطَيْتُهُ، ورأيتُ ذاك يسيرا

٤- أوقالَ لي: هَبْ ناظريك فقُلْتُ: ها ... خُذْ ناظريَّ، فما سألْتَ كثيرا(٣)

وهذا المعنى مأخوذٌ مِنْ قولِ ابن طباطبا: [من الكامل]

لولا تَمَتُّعُ مُقْلَتي بجمالِهِ ... لَوَهَبْتُها لِمُبَشِّري بإيابِهِ(٤)

فَصْلٌ مُشْتملٌ على ما يُحتاجُ إليه في الوداع

قال عَبْدُ اللهِ بن عُمَر: وَدَّعَني رسولُ اللهِ ﷺ حينَ أرْسلني في حاجةٍ له، فقالَ: "أستودعُ اللهَ دينَكَ وأمانتَكَ [٦/ب] وخواتيمَ عملِكَ"(٥). والأصل في هذا الفصل الدُّعاءُ لمَنْ نودِّعُهُ بالخَيرِ والخِيْرة، والنجاحِ في الذهابِ، وسرعةِ الإيابِ، والمُنْقلب إلى الوطنِ بحصولِ المُراد، ونَيْلِ المُرْتاد.

أَخْبَرَنا أبو بكر أحمدُ بنُ محمّدِ بن الحارثِ، أخْبَرَنا عَبْدُ اللهِ بن محمَّدِ بن جَعْفرِ الحافظ، أَخْبَرَنا إسحق بن أحمد الفارسي، حدَّثنا محمَّد ابنُ إسماعيلَ

---

(١) الأبيات ١، ٢، ٣، ٦، ٧، ٨، إضافة إلى أبيات أخر، وبخلافات في الرواية طفيفة، معزوّة للواحدي علي بن أحمد في معجم الأدباء (تح عباس) ١٦٦١/٤. وهي التي أرشدتنا إلى معرفة اسم مؤلف هذا الكتاب على الصواب.

(٢) في المخطوط "ابن" والصواب "أبو". والميكالي هو أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل... بن ميكال أوحد عصره في خراسان، أدباً وفضلاً وعقلاً. وهو من أهل نيسابور، عقد له مجلس للإملاء في رجب سنة ٤٢٢هـ واستمر ذلك حتى وفاته سنة ٤٣٦هـ.

(٣) الأبيات الأربعة ليست في ديوان الميكالي (صنعة جليل العطية).

(٤) البيت في شعر ابن طباطبا العلوي، (تحقيق جابر الخاقاني) ص٢٨ برواية: "مقلتي بلقائه".

(٥) الحديث رواه أحمد في مسنده ٧/٢، وهو في عيون الأخبار ٣١/٣.

البُخاري، حدَّثنا أبو عاصمٍ عن أبي الجرَّاح عن جابر ابن صبيح، عنْ أمِّ شُرَحبيلَ عنْ أمِّ عطيَّةَ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ يقول: «اللهُمَّ لا تُمِتْني حتَّى تُريني علياً»[1]. خاف ﷺ حَضُوْرَ وفاتِهِ قبلَ قدومِ عليٍّ عليهِ السَّلام مِنْ غزاتِهِ، فَدَعا أنْ يُبَقِّيَهُ اللّهُ مَلِيّاً، حتَّى يرى علياً.

ومِمَّا انتخبتُهُ مِنَ الألفاظ الصالحةِ لِهذا المعنى: أُوَدِّعكَ وقد أَوْدَعْتني شَوْقاً يَجورُ حكمُهُ، وقَلَقاً ينفذُ سَهْمُهُ، سأُودِّعُ بوداعِكِ [٧/أ] العافيةَ، وأفارِقُ مع فراقِكَ العيشةَ الراضيةَ، ودَّعْتُ بوداعِكَ الدَّعةَ، وفارَقْتُ الرَّوْحَ والسَّعَة. ودَّعْتُ يومَ وداعكَ دُنيايَ التي كُنْتُ أستمتعُ بها، وحياتي التي كُنْتُ أنتفعُ بعوائدِ النِّعمِ معها.

مَلَكتْني لفرقتِكَ حرقةٌ تتردَّدُ بينِ اللهاةِ والتراقي. وخَنَقَتْني لوداعِكَ عَبْرةٌ تحيَّرتْ بينَ الجفونِ والمآقي، أَسْأَلُ اللّهُ تعالى أنْ يُعيدَ دَهْرَ الاجتماع، ويردَّ أيامَ الاستمتاع، فينجزَ مَوْعِدَهُ سريعاً، ويُطْلِعَ كوكبَهُ سعيداً، واللّه يُعينُ على تعجيلِ الأوْبةِ، وتخْفيفِ أيّام الغيبةِ، جمعَ اللّهُ شملَ سروري بكَ، وعمَّرَ عُمْري بالنَّظر إليكَ، واللّهُ يطيلُ مُدَّتَكَ، ويحرسُ مودَّتَك. إنَّ مَنْ أتاحَ لي ودَّك، وهو أكرمُ موهوبٍ، قادرٌ على أنْ يُيسِّرَ قربَكَ، وهو أنْفَسُ مطلوب. جَعلَ اللّهُ باقي عيشي معكَ، وأَبْعَدَ عَنِّي بُعْدَكَ، ولا أعاشني بَعْدَكَ. أعادَ اللّهُ الالتقاءَ، فما أرقَّ نسيمَهُ، وألذَّ شميمَهُ، عَيْنُ اللّهِ عليكَ مِنْ كلِّ لحظٍ عائنٍ، [٧/ب] وطَرْفٍ خائنٍ، وعليكَ السَّلامُ ما قام محتدٌ طاهرٌ، ومجدٌ أثيْلٌ، وفخارٌ غمْرٌ، وخُلُقٌ أثير. تركني فراقُك وأنا أشتاقُكَ، وغادرَني بَعْدك أُقاسي بُعْدَك، فرَّقتَ بتوديعكَ شَمْلَ صبري، واسْتَصْحَبْتَ في سفرِكَ فريقاً من قلبي، وتركْتَ الشوقَ سميرَ ذكري، ونديمَ فكري.

أنا في مُفارقتِكَ كبناتِ الماءِ نضَبَ عنها الغديرُ، ونبات الأرض أخْطأَهُ النَّوْءُ المطيرُ. لا تفارقُ نفسي إلاّ بعودِكَ أشواقُها، حتى تُفارِقَ الحمائمَ أطواقُها. وداعُكَ تَرَكَ القَلْبَ هائماً، والدمعَ هامياً، والكرْبَ دائماً، والجفْنَ دامياً. روحي منطلقٌ معك بانطلاقِكَ، وأتخلَّف عنك بنفسٍ في قَيْدِ اشتياقِكَ. شِعْرٌ: [من البسيط]

١- *جِسْمي معي غيرَ أنَّ الروحَ عِنْدَكُمُ ... فالرُّوْحُ في غُرْبَةٍ والجسْمُ في وَطَنِ*

---

[1] رواه الترمذي رقم ٣٧٣٨، وانظره في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، لمحمد السعيد بن بسيوني زغلول، مجلد ٢ ص٢٥٨.

٢- فَلْيَعجَبِ النَّاسُ منّي أنَّ لي بَدَناً   لا روحَ فيهِ، ولي روحٌ بلا بَدَنِ

ومن مُطْربات البحتريّ في هذا المعنى قولُهُ: [من الكامل]

١- سأودِّعُ الإحْسانَ بَعْدَكَ والنُّهى   إذ حَانَ مِنْكَ البَيْنُ والتَّوديعُ

[٢٢/أ/٨] ٢- وسأَسْتقِلُّ لكَ الدُّموعَ صَبابةً   ولَوَانَّ دِجْلَةَ لي عليك دُمُوعُ(١)

ومِمَّا يناسبُهُ في الإطْراب قولُ عَبْد الصَّمَد بن المُعذِّل[٢]: [من المتقارب]

١- أقولُ لهُ عِنْدَ تَوْديعِهِ   وكُلٌّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ:

٢- لئِنْ قَعَدَتْ عَنْكَ أجسامُنا   لَقَدْ سافرتْ مَعَكَ الأنْفُسُ(٣)

وأحسن أبو الطيّب المتنبي[٤] في قوله: [من الكامل]

١- سِرْ حيثُ شِئْتَ يَحُلُّهُ النُّوَّارُ   وأراد فيكَ مُرادَكَ المِقْدارُ

٢- وإذا ارْتَحَلْتَ، فَشَيَّعَتْكَ سلامةٌ   حيثُ اتَّجهْتَ ودِيمةٌ مِدْرارُ

٣- وأراكَ دَهْرُكَ ما تحاوِلُ في العِدى   حتَّى كأنَّ صُروفَهُ أنْصارُ

٤- وصدرْتَ أغْنَم صادرٍ عن مَوْرِدٍ   مَرْفُوعَةً لِقُدُومِكَ الأبْصارُ(٥)

---

(١) البيتان في ديوان البحتري (ط الصيرفي) ١٣١٥/٢.

(٢) هو عبد الصمد بن المُعَذَّل بن غيلان العبدي، أبو القاسم، من شعراء الدولة العباسية، ولد ونشأ في البصرة. وكان هجاءً سكيراً. وتوفي نحو سنة ٢٤٠هـ. وقد جمع شعره في هذا العصر د.زهير غازي زاهد، ونشره بالنجف الأشرف عام ١٩٧٠. وانظر الأعلام ١١/٤.

(٣) البيتان ليسا في ديوان عبد الصمد، وهما في الشوق والفراق ص٨٠- ٨١ بلا عزو. وفي ديوان البحتري ١١٢٩/٢ وفي العقد الفريد ٤٠٩/٥ لأبي الطيامير. وفي بهجة المجالس ٢٤٨/١.

(٤) أبو الطيب المتنبي: هو أحمد بن الحسين، شاعر العربية الأكبر، من قبيلة كندة، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ، وقتِل بالنعامية قرب دير العاقول في الجانب الغربي من بغداد سنة ٣٥٤هـ. أقام المتنبي الدنيا ولم يقعدها، فألِّفت حوله كتب كثيرة منها في القديم: الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني والرسالة الموضّحة في سرقات أبي الطيب وساقط شعره للحاتمي. ومنها في الحديث: مع المتنبي لطه حسين، والمتنبي لمحمود شاكر، والمتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس لشفيق جبري.

(٥) الأبيات في ديوان المتنبي (بشرح العكبري) ٨٥/٢. وفي المخطوط: "سِرْ حَلَّ حيث تُحلُّهُ النوار". وأثبتنا ما في الديوان.

ولا مزيد في الإحْسان على ابن الرومي[1] في قوله: [من الكامل]

١- وإذا عَزَمْتَ على الرحيلِ فلا تزلْ ... للمكرماتِ وللْعُلَى رحَّالا

٢- جعلَ الإلهُ لكَ النَّجاحَ مطيَّةً ... ولِما طلبْتَ منَ الأمورِ عقالا

٣- حتَّى تنالَ منَ الأمُورِ بعيدَها ... وقريبَها وتُحقِّقَ الآمالا

[٨/ب] ٤- لا كانَ هذا العهدُ آخرَ عَهْدِنا ... بِكُمُ ولا كانَ الزِّيالُ زَوالا(٢)

ولا على أبي فراس الحمداني[3] إذ قال: [من الوافر]

١- أراني اللهُ طَلْعَتَهُ سريعاً ... وأصحَبَهُ السَّلامَةَ حيثُ سارا

٢- وَبَلَّغَهُ أمانِيهِ جميعاً ... وكانَ لَهُ مِنَ الحَدَثانِ جارا(٤)

وأحْسَنَ البُحْتري في الدعاء للمودَّع: [من الخفيف]

١- حاطَهُ اللهُ حيثُ أمْسَى وأَضْحَى ... وتولاَّهُ حيثُ سارَ وحَلاَّ[5]

وقد أبدعَ الشعراءُ في توديع المحبوب فلمْ أُرِدْ أن أُخْلي هذا الفصل مِنْ نُكَتِهِا، فمن بدائعِ قولِ ابنِ المعتزِّ[6] في ذلك قولُه: [من مجزوء البسيط]

١- ودَّعتُ إلْفي، وفي يَدي يَدُهُ ... مِثْلَ غريقٍ بِهِ تَمَسَّكْتُ

٢- فَعُدْتُ عَنْهُ وراحتي عَطِرَتْ ... كأنَّني بَعْدَهُ تَمَسَّكْتُ(٧)

ولأبي المِطْواع بن ناصرِ الدولةِ أبياتٌ شواردُ في التوديعِ منها: [من الكامل]

---

(١) ابن الرومي ترجمته في ص٤٣.

(٢) الأبيات الأربعة ليست في ديوان ابن الرومي (ط نصَّار).

(٣) أبو فراس الحمداني: هو الحارث بن سعيد التغلبي، ابن عم سيف الدولة. كان أميراً وشاعراً قال الصاحب بن عباد: بُدئ الشعر بمَلِك وخُتِم بمَلِك، أراد امرأ القيس وأبا فراس.أسره الروم سنة ٣٥١، فنظم القصائد الروميات في أسره، وقتل في تدمر، وقيل في صدد قرب حمص، وذلك سنة ٣٥٧هـ.

(٤) البيتان في ديوان أبي فراس (تح سامي الدهان) ٢/٨٨٩.

(٥) البيت في ديوان البحتري (ط الصيرفي) ٣/١٦٥١.

(٦) ابن المعتز: هو عبد الله بن محمد المعتزّ بالله الخليفة العباسي ليومٍ وليلةٍ، ولد في بغداد، وأولع بالأدب والشعر. وكان شاعراً كبيراً، ومصنّفاً. ومن كتبه: البديع، وفصول التماثيل، وطبقات الشعراء، ومات سنة ٢٩٦هـ. ولعبد العزيز سيّد الأهل كتاب ابن المعتز أدبه وعلمه. وحقق محمد بديع شريف ديوان ابن المعتز ونشره في دار المعارف بالقاهرة في جزءين عام ١٩٧٨.

(٧) البيتان ليسا في ديوانه.

١- ومُفارقٍ، نفسي الفِداءُ لنفسِهِ وَدَّعْتُ صبري عنهُ في تَوْديعِهِ
٢- ورأَيتُ منهُ مِثْلَ لؤلؤِ عِقْدِهِ مِنْ ثَغْرِهِ وحديثِهِ ودموعِهِ

[٩/أ] ومنها: [من الطويل]

١- ولمّا اجْتَمعْنا لِلْوداعِ وسلّمتْ سلامَ فراقٍ، لا سلامَ تلاقِ
٢- فحلّيتُ مِنْ نَظْمِ الصبابةِ جيدَها فريدَ دُمُوعٍ في عقودِ عِناقِ
٣- فيا ليتَ رُوْحَيْنا جَرَتْ في دموعِنا تَسيلُ بأجفانٍ لنا ومآقِ

آخر: [من الكامل]

١- لو كنتَ ساعةَ بَيْنِنا ما بَيْننا وشَهِدْتَ حينَ نُكرِّرُ التَّوْديعا
٢- أيقَنْتَ أنَّ مِنَ الدُّموعِ مُحَدِّثاً وعلمْتَ أنَّ مِنَ الحديثِ دُمُوعا

وقال أبو بكر بن طاهر، وكان منْ مَشْيخَةِ الصُّوفيّة، رأيتُ رجلاً يودِّعُ البيت، وهو يبكي ويُنْشِدُ: [من الطويل]

١- ألا رُبَّ مَنْ يدنُو ويَزْعُمُ أنَّهُ يَوَدُّك، والنَّأْيُ أوَدُّ وأقْربُ

ونُعِيَ على أبي تمام[1] قولُه يذكرُ توديعَ الحبيبةِ: [من البسيط]

١- لمّا استحرَّ الوَداعُ المحْضُ وانصرمَتْ أواخرُ الصبْرِ إلاّ كاظِماً وَجِما
٢- رأيتُ أحسَنَ مَرْئيٍّ وأقْبَحَهُ مُستَجْمِعَيْنَ لِيَ: التوديعَ والعَنَما(٢)

[٩/ب] يقولُ لمّا قربَ الوداعُ المحْضُ، فلم يبقَ طَمَعٌ في الوصلِ، وانقطع عنّي أواخرُ الصبْرِ، فلم يبْقَ إلاّ أنْ أكونَ حزيناً كاتِماً للحزْنِ، رأيْتُ أحْسَنَ شيءٍ وأقْبَحَهُ قد جُمِعا لي، وهما: التوديعُ والعَنَمُ. وعِيبَ عليه بهذا، فقيل: باعَدَ بينَ قولِهِ: «التوديعَ والعَنَما». وهذا ليسَ بعيبٍ لأنَّها كانتْ تودِّعُ بأصابِعها التي تُشْبِهُ

---

(١) أبو تمام: هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي. ولد في قرية جاسم بحوران، ورحل إلى مصر، ثم قدم إلى بغداد، وولي بريد الموصل، وتوفي فيها سنة ٢٣١هـ. انظر فيه: أخبار أبي تمام للصولي، وأبو تمام الطائي حياته وشعره، للبهبيتي. وقد حقق ديوانه بشرح التبريزي محمد عبده عزام. ونشره في القاهرة في ٤ أجزاء.

(٢) البيتان في ديوانه ٣/١٦٧. والوَجِم: الذي أظهر الحزن والكراهية للشيء. والعَنَم: البنان المخضوب. والعَنَم: نَبْت أحمر.

العَنَمَ، فاسْتَقْبَحَ التوديعَ، واستحسنَ أصابعَها، وقدْ رآهما معاً في حالةٍ واحدةٍ مجموعَيْن له.

وكأنَّ المُوْصِلي سمعَ هذا المعنى، فألمَّ بهِ حيثُ يقولُ: [من الطويل]

١- مَحاسِنُ عمَّتْ في مَساوٍ مِنَ النَّوَى فَلِلَّهِ وِرْدٌ ما أَمَرُّ وأعْذَبا

استَحْسَنَ الحبيبَ عندَ الوداعِ، واستَقْبَحَ الفراقَ. يذكر أنَّهُ وِرْدٌ جَمَعَ المرارةَ والعذوبةَ. وقيلَ: هذا مِمَّا يُسْتَمْلَحُ من المعاني.

ولِشُعْبَةَ بنِ محمّدٍ البُستي، وكان يوصّي الصديقَ عند الوداعِ بمواصلةِ الكُتُبِ: [من الكامل]

[١٠/أ] ١- إنْ كنْتَ أَزْمَعْتَ الفِراقَ فلا تَدَعْ نفسي تعاجلني بوشْكِ فراقِ

٢- واصِلْ بِكُتْبِكَ ميّتاً يُحْيِيه ما يَلْقاهُ آياً مِنْ عِداتِ تَلاقي

ومِمَّا يُسْتَحْسَنُ لأبي الفَرَج[1] قولُهُ: [من البسيط]

١- يا سادَتي هذه نَفْسي تُوَدِّعُكُمْ إذْ كانَ لا الصَّبْرُ يُسْلِيها ولا الجَزَعُ

٢- قَدْ كُنْتُ أطمعُ في رَوْحِ الحياةِ لها فالآنَ إذْ بِنْتُمُ لم يَبْقَ لي طَمَعُ

٣- لا عَذَّبَ اللهُ روحي بالبقاءِ، فما أظنُّ بَعْدَكُمُ بالعيشِ أنْتَفِعُ

وأحْسَنَ البحتري في الاعتِذار عَنْ تَرْكِ التوْديعِ حيث يقولُ: [من مجزوء الكامل]

١- اللهُ جارُكَ في انطلا قِكَ تِلْقاءَ شامِكَ أَوْ عراقِكْ

٢- لا تَعْذُلَنّي في مَسِيـ ـري يَوْمَ سِرْتَ ولمْ أُلاقِكْ

٣- إنّي خَشِيْتُ مواقِفاً لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ مآقِكْ

٤- وعلِمْتُ أنَّ بُكاءَنا حَسْبَ اشْتياقي واشْتياقِكْ

٥- وذكَرْتُ ما يجِدُ المُوَدِّ عُ عِنْدَ ضَمِّكَ واعْتِناقِكْ

---

[1] أبو الفرج بن هندو: هو علي بن الحسين. من كتّاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة. توفي بجرجان عام ٤٢٠هـ. من كتبه: "الكلم الروحانية من الحكم اليونانية" وأنموذج الحكمة. انظر: اليتيمة ٤٥٩/٣، ويتيمة اليتيمة ١٥٥، ودمية القصر (العاني) ٣٦/٢، وفوات الوفيات ٤٥/٢ وحكماء الإسلام ٩٤.

٦- فتركْـــــتُ ذاك تعمُّـــــداً وخَرَجْتُ أَهْـربُ مِنْ فراقِكْ(١)

[١٠/ب] وفي قريب من هذا المعنى يقول الآخر: [من الخفيف]

١- صَـدَّني عـنْ حَـلاوةِ التَّـشييع حَـذَري مِـنْ مـرارةِ التَّوْديـع

٢- لم يَقُـمْ أُنْـسُ ذا بوحـشةِ هـذا فرأَيْـتُ الـصَّوابَ تَـرْكَ الجَميـع

ومِمَّـا كَتَـبَ القاضـي منـصورُ بـن أبـي منـصور(٢) في الفِـراقِ بـلا وداعٍ إلى صديقٍ لـهُ رحمهما الله تعالى: «فأمَّا السُّكونُ فما لا يكون. كيفَ؟ وهاهنا ما هو أَهَمُّ وأَطَمُّ، وأَعَمُّ ضَرَراً وأتمُّ. رحَلَ الشيخُ فغابَ كلُّ حُسْنٍ، وآبَ كُلُّ حُزْنٍ، فهو الطَّرْفُ بلا وَسَنٍ، والقلْبُ بـلا سَـكَنٍ. فقُلْ في المسْحُورِ والمَغْرورِ، والمَحْرورِ والمَقْـرورِ، والمَخْمورِ والمَغْمورِ، مـا يـأتي مـن هـذا البحـرِ المَسْحورِ، ممّـا يُخـالِفُ المَحْبُورَ والمَسرُورَ، وأكثرُ ما في القَصْدِ أنّه كانَ بلا وداعٍ، وقبل اجتماعٍ يَرْأَبُ(٣) ما في القلبِ من انصداعٍ، لكنَّه بُغِتَ فبُهِتَ، وقُصِدَ فأقْصَدَ، فها أنـا في عظيمٍ من الأمْرِ، أتقلّى على أحرَّ من الجمرِ». وأنشد:

«ذهب الخُمارُ بِلَذَّةِ الخَمْرِ»

ولولا التَّأسِّي بالوليدِ في [١١/أ] إتْبـاتِ الانطـلاقِ، وتلْقـاءِ الـشام أو العـراقِ، والخروجِ هرباً من الفراقِ، لعاتَبْتُ نفسي أوَّلاً، ثمَّ مَنْ هو أَحَبُّ إليَّ مِنَّا ثانياً، ولكنَّ الشُّغْلَ بهذا البيْنِ، المُسْخِنِ لِلْعَيْنِ، شَغَلَ عَنِ الهذيانِ، وحالَ بينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ، فلَسْتُ أدري ما أقولُ، ولي حديثٌ يمتدُّ ويطولُ، رَزَقني اللهُ قربَك، وعَطَفَ عليَّ قَلْبَك، ولا أراني فَقْدَكَ، ولا أَبْقاني بَعْدَكَ.

ووصف أبو نصر العتبي الوَداعَ بأبْلَغِ بيانٍ، فقال:

«الوداعُ محنةُ العُشَّاقِ، وسُخْنَةُ الآماقِ، وآخِرةُ العِناقِ، وصَكٌّ على السرورِ بالطَّلاقِ، مُصابٌ مِنَ غَيْرِ موتٍ، وهدَّةٌ من غير صوتٍ، وفِطامٌ على غير خديعةٍ، وفِراقٌ عن غيرِ قِلىً وقطيعةٍ، ووقفةٌ تحارُ عندها القلوبُ، وتؤوبُ معها النفوسُ، وهي تذوبُ. وصَدْعٌ في الكبدِ لا يُجْبَرُ انكِسارُه، ووَخْزٌ في الحشا لا يُغَلُّ غرارُه، فلا سَقَى اللهُ العِيْسَ سيَّارةً، ولا الحُدُوجَ صرَّارةً، ولا الأَكْوارَ مَرْحُولةً [١١/ب]

---

(١) الأبيات في ديوان البحتري ١٤٩٩/٣. وهي في كتاب الشوق والفراق ٧٦- ٧٧. وفيه أخطاء في توزيع الصدور والأعجاز.

(٢) منصور بن أبي منصور الهروي: ترجمته مرَّتْ من قبل.

(٣) في حاشية المخطوط: رأب يرأب: إذا أصلح.

ولا الأَنْساعَ مَضْفُورَةً ومَجْدُولَةً، فما قطعَ الأَقْرانَ غيرُ الجمالِ مَزْمومةً، تجتابُ بالأحباب ديمومةً فديمومةً».

شعر: [من الرجز]

١- ما فرَّقَ الأحبابَ بَعْدَ اللهِ إلاّ الإبلُ
٢- والنّاسُ يلْحونَ غُرابَ البينِ لما جَهِلوا
٣- وما على ظهْرِ غرابِ البينِ يُطْوَى الرَّحَلُ
٤- وما غرابُ البينِ إلاّ ناقةٌ أو جَمَلُ

آخر: [من الوافر]

١- وهوَّنَ وَجْدي أنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنا ... فِراقُ حَياةٍ لا فِراقُ مَماتِ(١)

آخر: [من السريع]

١- في كَنَفِ اللهِ وفي سِتْرِهِ ... مَنْ لَيسَ يَخلو القَلْبُ مِنْ ذِكْرِهِ(٢)

آخر: [من البسيط]

١- ارْحَلْ أبا حَسَنٍ بأيْمنِ طائرٍ ... وعلى السَّعادةِ والسَّلامةِ فانْزِلِ

وذُكِرَ في الدعاءِ للمسافِرِ بسهولة المطلبِ، ونجاحِ المُنْقَلَبِ، بِسَعْيٍ نجيحٍ، وأوْبٍ سريعٍ، رعاكَ اللهُ دانياً ونائياً، ووقاك ذاهِباً وجائياً.

وذكرَ بعضُهم حالةَ التوديع فقالَ: [من الكامل]

١- قلبي لِتَوْديعِ الأحبَّةِ مُوْجَعُ ... وَدَّعْتُ صَفْوَ العيشِ ساعةَ وَدَّعُوا
[١٢/أ] ٢- لي بعدَهُمْ كَبِدٌ تَشَعَّبَ صَدْعُها ... بِجَوى الفِراقِ، ومُقْلَةٌ لا تَهْجَعُ
٣- وصبابتانِ أبيتُ مِنْ بَلْواهما ... حتَّى الصَّباحِ مُرَوَّعاً أتَفزَّعُ
٤- فَصبابةٌ تَنْهلُّ منها الأدْمعُ ... وصبابَةٌ تَحْنُو عليها الأضلُعُ
٥- كانت دموعي مَفْزعي فَنَزَفْتُها ... يومَ الفِراقِ، فما لقلبي مَفْزَعُ

---

(١) البيت في الشوق والفراق ص٧٩ بلا عزو.
(٢) البيت في الشوق والفراق ص٤٨. وخرجه العطيَّة هناك من المحاسن والأضداد ص١٢٥.

فَصْلٌ يَلِيقُ بِما تَقدَّمَ فِي ذِكْرِ الشَّوْقِ وسوءِ أَثَرِ الفِراقِ بَعْدَ الوداعِ

الأصْلُ في هذا الفَصْلِ قصَّةُ يعقوب عليه السلام بعد فراق يوسفَ. وهي مشهورةٌ قدْ نَطَق بها التنزيلُ، ونزلَ بشرحِها التوراةُ والإنْجيلُ. قال اللهُ تعالى يذكر وَجْدَ يعقوبُ بيوسفَ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝﴾[1]. أي مكظوم. والأسف: أشدُّ الحزْن. بَلَغَنا أنَّ رجلاً قالَ ليعقوبَ عليهِ السَّلامُ: ما الذي أذْهبَ بصرَك؟ قالَ: حزني على يوسفَ، قال: فما الذي قوَّسَ ظهرَك؟ قال: حُزْني على أخيهِ. وقدْ أكثر الشُّعراء [١٢/ب] ذِكْرَ هذه القصَّةِ في فقدانِ الأعزَّة، وفراقِ الأحبَّةِ، والمَثَلِ بها. وتشبيهِ حالِهم بحالِ يعقوبَ، فمنْ ذلكَ قولُ الشاعر: [من البسيط]

١- *شوقي إليكَ فَدَتْكَ النَّفسُ يا سَكَني ... كَشَوْقِ يَعْقوبَ لَمَّا فاتَهُ البَصَرُ*

٢- *اللهُ يجمعُنا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِنا ... كجمْعِ يعقوبَ والأبناءُ قدْ حَضَرُوا*

وعامَّةُ أَهْلِ العِلْمِ على أنَّ قولَ يعقوبَ يا أسفي على يوسفَ، ليسَ منه جَزَعاً مَذْموماً يوجِبُ الإثْمَ، لأنَّ الحزْنَ معَ حِفْظِ اللِّسانِ من الشكوى يُحاسَبُ أجراً، ويُوْجِبُ مثوبةً. ولقدْ ملَّحَ مَنْ قال: [من الخفيف]

١- *أيُّها العاشقُ المُعَذَّبُ صَبْراً ... فخطايا أخي الهوى مَغْفُوْرَه*

٢- *زفرةٌ في الهوى أَحَطُّ لِذَنْبٍ ... مِنْ غَزاةٍ وحِجَّةٍ مَبْرُورَه[2]*

وكأنَّ هذا منْ قولهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم: «مَنْ عَشِقَ، فَعَفَّ وكَتَمَ، فماتَ، ماتَ شهيداً»[3].

وبَلَغَ مِنْ شدَّةِ وَجْدِهِ بيوسفَ أنَّه لم يَفْتُرْ عنْ ذكرهِ، ولا أوْرثَهُ طولُ العَهْدِ سلوةً ونسياناً، وكذلك المُحِبُّ لا يتسلَّى عنْ محبوبهِ بشيءٍ ولا يتناساه وإنْ [١٣/أ] طالَ العهْدُ، وإذا عُذِلَ فيهِ زادَهُ ذلكَ غراماً، كما قال: [من الكامل]

---

[1] سورة يوسف ٨٤/١٢.

[2] البيتان في الظرف والظرفاء للوشَّاء (تح فهمي سعد) ص١٦٢. ويُنسبان هناك إلى ابن الرومي.

[3] الحديث رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦٣/١٢، وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٣٩٦/٨.

١- لا تُطفِئنَّ جَوَىً بلومٍ إنَّهُ كالرِّيحِ تُغري النارَ بالإحْراقِ

وذكر البحتري هذا المعنى، فقال: [من البسيط]

١- تَرْجُو العوازلُ إقْصاري وفي كَبِدي نارٌ تزيدُ على الإطْفاءِ إيْقادا(١)

وهذا المعنى أرادَ مَنْ قال: [من الكامل]

١- فَدَعِ الملامةَ يا عَذُولُ على الهوى فالحبُّ نارٌ والملامُ زِنادُه

ومِمّا يُختارُ مِنَ الألفاظِ في هذا الفصل: عِشْتُ بعدَكَ عيشةَ الحوتِ على البَرِّ. وبقيْتُ، ولكن بقاءَ الثلْجِ في الحرِّ. حالي بعدَكَ حالَ غُصْنٍ ذوَى بَعْدَ ارتوائِهِ، ونجمِ هَوَى عندَ اعتلائِه. ما حالُ ذاوِي نَبْتٍ أَمْسَكَ مَطَرُهُ، وساري ليلٍ غاب قَمَرُهُ؟ قد تحمَّلْتُ مع يسيرِ الفُرْقةِ، كبيرَ الحرقةِ، ومع قليلِ البُعْدِ كبيرَ الوجدِ. قد انصرَفْتُ عنكَ بجسْمٍ ناحل، وصِرْتُ من صبري على مراحل. فارَقْتَني، فأَرَّقْتَني. فرَّقْتَ بينَ عيني والرقادِ، وبينَ جنبي والمهادِ، ولولا [١٣/ب] تأخُّرُ الأَجلِ لخرجتْ روحي على عجلٍ. لي إليكَ شوقٌ تزيدُهُ الأيَّامُ توقُّداً وتأجُّجاً وتضرُّماً وتوهُّجاً، أشتاقُكَ شوقَ الروضِ إلى الغيثِ، والملهوفِ إلى الغَوْثِ. ما الأعرابيةُ حنَّتْ إلى نَجْدٍ، وأنَّتْ مِنْ وَجَعٍ، بأشدَّ منِّي كلفاً، وأعمَّ مني شَغَفاً(٢): [من الطويل]

١- وما وَجْدُ أَعرابيَّةٍ قَذَفَتْ بها صرُوفُ النَّوى مِنْ حيثُ لم تكُ ظَنَّتِ

٢- تمنَّتْ أحاليبَ الرِّعاءِ وخيمةً بنَجْدٍ، فلم يُقْدَرْ لها ما تمنَّتِ(٣)

٣- بأكثرَ مِنْ وجدٍ بريًّا وَجَدْتُهُ غداةَ غَدَوْنا عزيةً واطمأنَّتِ

---

(١) البيت في ديوان البحتري ٦٠٧/١. والإقصار: الكفُّ عن الشيء.

(٢) الأبيات ١ و ٢ و ٣ و ٤ في المجتنى لابن دريد (تح محمد الدالي) ص ١٦١ بخلاف في الرواية. وعنه في أمالي الزجاجي ٢٤- ٢٥ وفي الزهرة ٢٧٩/١- ٢٨٠، و ١ و ٢ في الأغاني (ط دار الكتب) ٢٨٣/٩ و ٣٦٠/٥ لبعض الأعراب، مع اختلاف في الرواية. والأبيات ١ و ٢ و ٣ في الحماسة البصرية ١٤٣/٢ وقد عُزِيت لابن الدمينة. وهي في صلة ديوانه ص٢٠٢. وعزيت أبيات منها لمجنون ليلى، انظر ديوانه ق ٦١/ص ٨٥- ٨٦.

وتوهم الناسخ فأدرج البيت الأول نثراً، وهو شعر. وأثبتَ النون في (تكن) في البيت الأول، والصواب حَذْفها. وكذلك أثبت الياء في (وجدي) في البيت الثالث. والصواب حَذْفها.

(٣) في المخطوط: "أحاليب اللقاح". وأثبتنا ما في المجتنى وغيره.

٤- فإنْ يكُ هذا عَهْدُ ريًّا وأَهْلِها فهذا الذي كُنَّا ظَنَنَّا وظنَّتِ[1]

٥- وكانتْ رياحٌ تحملُ الحاجَ بَيْنَنا فقد عَميَتْ تلكَ الرياحُ، وصَمَّتِ[2]

وكتب أبو الفضل الميكالي[3]:

أنا في مقاساة حرّ الشوقِ إليكَ «كما اعتادَ محموماً بخيبرَ صالِبُ»

ومَنْ يذكر عَهْدَ الاجتماعِ مَعَكْ «كما اهتزَّ من صرْفِ المدامةِ شاربُ»

شوقُ غائبٍ أقاسيهُ، وامتنعَ عليه الصَّبْرُ فما يواسيه

[١٤/أ] كتبْتُ وللشوقِ عندي سُوْقٌ لا تباعُ فيها إلاَّ العيونُ هاميةً، والقلوبُ حاميةً، والأكبادُ صاديةً، والأَحْشاءُ صاليةً، والجزْعُ رخيصاً، والسلوةُ غاليةً، وأنا أَسْأَلُ اللّه تعالى أنْ يُطْلِعَ علينا سوالِفَ تلك الأيَّامِ السَّوالفِ، مُعَلَّقةَ الأصْداغِ بإعْتاب الزمانِ، مُعْجَمَةَ الأطْرافِ بخيلانِ الحُسْنِ والإحسان".

«خَرَجَ الأستاذُ، والقلْبُ بجناحِ الشوق نحوه يطيرُ، ولا أراه إلاّ وهو معه يسيرُ، مثْل صاعِ العزيز في أَرْحُلِ القوم، ولا يدرون ما في الرِّحال، أَسْتَنْشِقُ نسيمَ سلامتِهِ من كلِّ وادٍ، وأهْدي إليه سلامي مَعَ كُلِّ رائحٍ وغادٍ، وها أنا مُقْصَدٌ بسهمِ فراقِهِ، مُوْثَقٌ في قيدِ اشتياقِهِ، والسَّلامُ على العيشِ حتَّى أراه، ولا مرحباً بالحياه، أوْ أُحْيَا بِمُحيَّاهُ. وسقى اللّهُ أيامَنا في ظلِّهِ، واستسعادَنا بقربِهِ، وانتهازَنا فُرَصَ اللَّذَّةِ بهِ، إِذِ العيشُ غَضٌّ، والزمانُ غلامٌ، ولقاؤه بَرْدٌ على أكبادِنا وسلامٌ».

فراقُ الشيخ قَدْ لَذَعَ الفؤادَ، بلْ صَدَعَهُ، وآلَم الْحَشا [١٤/ب] بلْ أَضْرَمَهُ، على أنَّه لا يغيبُ عَنِّي، ومسكنُهُ في القَلْبِ، ولا يُزايلني. ومثالُهُ نَصْبُ العينِ، واللّهُ يَلْطُفُ في جَمْعِ شَمْلِنا، وصلةِ حَبْلِنا، اللهُمَّ يَسِّرْ ذلكَ وسُنَّه، واحفَظِ الشَّيْخَ في مقامِهِ وظعنِه، واسْقِهِ الغيثَ حيثُ كانَ غيْرَ مُفْسِدٍ ديارَهُ، وسلِّمْ رِكاباً تخبُّ[4] به، لاسيَّما إذا قرَّبَتَ مزارَهُ. منذ استقلَّتْ ركائبُ الفراقِ بمولاي لمْ أكحلْ بِمُؤْنسٍ طَرْفاً، ولم أشْرَحْ لِمُفْرِحٍ صدراً، وبقيتُ منادِماً لمثالِهِ، ومناسِماً

---

[1] في المخطوط جاء البيت: "فإنْ يكُ هذا وَجدُ ريا فتلك التي كُنَّا ظننا وظنَّتِ". وهو ناقص ومختل الوزن، وأثبتنا ما في سائر المصادر.

[2] الحاج: جمع الحاجات.

[3] في المخطوط (المكيال). والصواب ما أثبتنا. ونص الميكالي هذا في يتيمة الدهر ٤١٢/٤ وقد نقله الثعالبي من كتاب "المخزون" للميكالي.

[4] في هامش المخطوط شرحٌ يقول: "من الخبَب، وهو ضَرْب من العدْو".

لخيالِهِ، ومُتَعلّلاً بالذّكْرِ في حُسْنِ خَلْقِهِ، ولُطْفِ خُلُقِهِ، والفضائلِ التي لا يشمَل عليها شغافُ قَلْبٍ، ولا يتَّسعُ لها نطاقُ لُبٍّ، إلى اللهِ تعالى أرْغَبُ في أنْ يعيدَ الوصالَ غَضّاً، ويُرِضَّ الفِراق رضّاً، فلوْ أنَّ لي قوَّةً بالفِراقِ فَتَلْتُ الفراقَ في قلوبنا، ، فلم نفترقْ. قد صَحِبَتْهُ من نفوسِنا شُعَبٌ، وتخلَّفتْ عَنْه في قلوبنا كُرَبٌ، وأحْدَقتْ[1] بهِ دعواتُنا، فصارتْ عليهِ نطاقاً، وحفَّتْهُ مُخَبّآتُنا، فأضْحَتْ له وِثاقاً[2]. واللهُ عزَّ وجَلَّ يكنُفُهُ حيثُ توجَّهَتْ ركائبُه [١٥/أ] ويسقيه الغيثَ أينَ حطَّتْ رحالُه. نحنُ في الظاهر على افتراقٍ، وفي الباطنِ على تلاقٍ. ولئنْ تفارقتِ الأشْباحُ، لقد تعانقتِ الأرْواحُ.

وأوَّل هذا المعنى لِرُؤْبَةَ[3] حيثُ يقولُ: [من الرجز]

١- إنِّي وإنْ لم تَرَني كأنَّني ٢- أراكَ بالغَيْبِ، وإنْ لم تَرَني

ثم لابن المعتز في قولِهِ: [من الرَّجز]

١- إنّا على البعادِ والتَّفرُّقِ ٢- لنلتقي بالذكْرِ إنْ لمْ نَلْتقِ(٤)

ثم لأبي الطَّيِّب المتنبي في قوله: [من الوافر]

١- لنا ولأهْلِهِ أبداً قلوبٌ تُلاقي في جُسُومٍ ما تُلاقي(٥)

وقد أكثرُ الشعراءُ في هذا المعنى. وسيمرُّ بكَ في أثناء هذا الفصْلِ ما يناسبُهُ. ومثلُه من المَنْثُورِ: نحنُ نَتناجَى بالضَّمائرِ، ونتخاطبُ بالسرائرِ، إذا حصَلَ القُرْبُ بالإخْلاصِ، لم يَضُرَّ البُعْدُ بالأشْخاصِ. لقدْ لبثتُ بَعْدَك بقلْبٍ يَوَدُّ لو كانَ عيناً فتراكَ، وعينٍ تودُّ لو كانت قلباً فلا تخلو منْ ذكراكَ. قد خَيَّلَ التوهُّمُ إلى قلبي صورَتَك [١٥/ب] حتَّى كأنَّكَ بجمالِ حليتِك تُشاهدُني، وبحلاوةِ نِعْمتِك تحاورني، وبكرم شمائلك تُعاشرُني.

---

(١) في هامش المخطوط شرحٌ، يقول "أحْدَقتْ أي أحاطت".

(٢) في المخطوط: (وشاحاً). والسَّجْعة تستدعي(وثاقاً) لذا أثبتناها.

(٣) رؤبة: هو رؤبة بن عبد الله العجاج التميمي السعدي. أبو الجحَّاف، راجز من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة. ومات في البادية، سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. وله ديوان رجز مطبوع.

(٤) الشطران في ديوان ابن المعتز ٥٠٢/١.

(٥) البيت في ديوان أبي الطيب (شرح البرقوقي) ٣٩/٣.

شِعْرٌ: [من الطويل]

١- أَمَا والّذي لَوْ شاءَ لم يخلقِ النّوى لئنْ غِبْتَ عَنْ عيني لَما غِبْتَ عنْ قلبي

٢- يُوَهِمُنِيكَ الشّوقُ حتّى كأنّني أُناجيكَ منْ قُرْبٍ، وإنْ لمْ تكنْ قُرْبي

وممّا اخترناهُ نظماً لهذا الفصل قولُ المُهَلّبيّ[1]: [من الخفيف]

١- قالَ لي مَنْ أُحِبُّ والبينُ قَدْ جَدْ دَ، ودَمْعي مُواصِلٌ لِشَهيقي:

٢- ما الذي في الطريق تصنعُ بعدي قُلْتُ أبكي عليكَ طُولَ الطريقِ[2]

وقول المُفَجَّع البصري[3]: [من الخفيف]

١- وسُرُوري قَدْ غابَ عَنّيَ مُذ غِبْـ ـتَ فَهَلْ كُنْتُما على مِيْعادِ

٢- لَيْسَ لي مَفْزَعٌ سوى عَبَراتٍ مِنْ جُفُوْنٍ مكحولةٍ بِسُهادِ

٣- في سُهادي لِطُوْلِ أنسي بذكرا كَ اعْتياضٌ مِنَ الكرى والرُّقادِ

٤- وَيحَسْبي مِنَ المصائبِ أنّي في بلادٍ، وأنْتُمُ في بلادِ[4]

وقولُ ابنِ مَعْروف القاضي[5]: [من الطويل]

[١٦/أ] ١- وما سَرَّ صدري مُنذُ شَطَّتْ بكَ النوى أنيسٌ ولا كأسٌ ولا مُتَصرَّفُ

٢- ولم أشهدِ اللّذّاتِ إلاّ تكلُّفاً وأيُّ سرورٍ يقتضيهِ التكلُّفُ

---

(١) هو المهلبي الوزير، واسمه الحسن بن محمد، من نسل المهلّب بن أبي صُفْرة. وهو ناثر وشاعر. وكان وزيراً لمعز الدولة بن بويه، ووزيراً للخليفة العباسي المطيع. ولد بالبصرة سنة ٢٩١هـ، وتوفي في سنة ٣٥٢هـ. انظر فيه يتيمة الدهر ٢/٢٦٥، فما بعدها. والأعلام ٢/٢١٣.

(٢) البيتان للمهلبي الوزير في يتيمة الدهر ٢/٢٨٣.

(٣) المُفَجَّع البصري: هو محمد بن أحمد أبو عبد الله الكاتب، صاحب ابن دريد، والقائم مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء. انظر فيه يتيمة الدهر ٢/٤٢٤ فما بعدها، ومعجم الأدباء ٥/٢٣٣٦.

(٤) الأبيات الأربعة مع اثنين آخرين للمفجَّع البصري في اليتيمة ٢/٤٢٥- ٤٢٦.

(٥) ابن معروف القاضي: هو أبو محمد عبد الله بن أحمد. ناثر وشاعر امتدحه الصاحب بن عباد. ونادم الوزير المهلبي –انظر فيه يتيمة الدهر ٣/١٢٥ فما بعدها.

وقولُ القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني[1]: [من الخفيف]

١- يا نسيمَ الجنوبِ باللهِ بلِّغ ... ما يقولُ المُتيَّمُ المُستهامُ

٢- قُلْ لأحبابِنا فِداكُم فُؤادٌ ... لَيسَ يَسْلُو ومُقْلَةٌ لا تَنامُ

٣- كُلُّ أُنْسٍ ولَذَّةٍ وسُرورٍ ... قَبْلَ لُقْياكُمْ عَلَيَّ حَرَامُ

وقولُ أَبي الفَتْح البُسْتي[2]: [من البسيط]

١- ولا أصافِحُ أُنسي بَعْدَ فُرقتِكُمْ ... حتّى تصافحَ كفُّ اللامِسِ القَمَرا

٢- ولا أمَلُّ مَدَى الأيامِ ذِكْرَكُمُ ... حتّى يَمَلَّ نسيمُ الرَّوْضةِ السَّحَرا(٣)

ومن بدائع ما يُكْتَب في هذا الفصْل قول أبي منصور الثعالبي: [من الوافر]

١- كَتبْتُ إليكَ عن إملاءِ شوقي ... وزَنْدُ الوَجْدِ في جَنْبيَّ يُورَى

٢- ولَسْتُ أَخُطُّ سطراً منهُ حتّى ... يَخُطَّ الدَّمْعُ في خَدَّيْ سُطُورا

٣- لئنْ أصبَحْتَ ناراً في فؤادي ... لَقدْ أمْسَيْتَ في عينيَّ نُورا

[١٦/ب] ٤- فَلُقِّيتَ الكرامةَ والسرورا ... وَوُقِّيتَ النَّوائِبَ والشُرورا(٤)

وقولُ عَبيدالله[5] بن عبد الله بن طاهر: [من السَّريع]

١- لَوْ أنَّ نَفْسَ الحُرِّ في كفِّهِ ... رمى بها بعدَ أحبّائِهِ

٢- واسَوْأَةً للمرءِ مِنْ ساعةٍ ... يعيشُها بعدَ أخلائِهِ

وذكر المبرِّدُ أنَّ عمارةَ بنَ عقيلِ بنَ بلالِ بنَ جريرٍ، وردَ عليهم، فسألوه عن قول جدِّه جرير: [من الكامل]

---

(١) هو علي بن عبد العزيز الجرجاني، أبو الحسن قاضٍ وأديب وشاعر. كان قاضياً في الري، ثم أصبح قاضي القضاة. وهو مؤلف الوساطة بين المتنبي وخصومه. توفي سنة (٣٩٢هـ/١٠٠٢م). شذرات الذهب ٣/٥٦.

(٢) هو علي بن محمد بن الحسين أبو الفتح البُستي، وُلد في (بُسْت) قرب سجستان، وكان من كُتَّاب الدولة السامانية في خراسان. وكان شاعراً، وتوفي سنة (٤٠٠هـ/١٠١٠م).

(٣) البيتان في ديوان أبي الفتح (صلة الديوان) ص٢٤٩.

(٤) الأبيات الأربعة ليست في ديوان الثعالبي (ط الجادر) ولا في مستدركاته.

(٥) في المخطوط (عبد الله). والصواب ما أثبتنا.

١- لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدِهِمْ يومَ الفراقِ، فَعَلْتُ ما لمْ أفْعَلِ(١)

ماذا كانَ يفعلُ لو علمَ ذلكَ؟ فقالَ: كان يَفْقأُ عَيْنَيهِ فلا يرى موقفَ الفراقِ.

ورُئيَ الجُنيدُ(٢) يوماً متفكِّراً مهموماً، فقيلَ لهُ: ما الذي أحْزَنَكَ يا أبا القاسمِ؟

فقالَ: فَقَدْتُ أُنْسي في الخَلْوةِ، وفقدْتُ الإخوانَ الذين كنتُ آنَسُ بهم ودو هذا ما يَهُدُّ البَدَنَ، ويشغلُ القلْبَ. وأنشدَ: [من الكامل]

١- ذُمَّ المنازِلَ بَيْنَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى والعَيْشَ بعدَ أولئكَ الأقْوام

[١٧/أ] ومِنْ أملَحِ ما سمعْتُ في فراقِ المحبِّين قولُ أبي منصور الصُّوْري: [من الكامل]

١- نَثَرتْ لآلئَ دَمْعِها وَجْداً على ديباجِ خَدٍّ في الدياجي أَشْرقا

٢- ما هذه العبراتُ يا بَدْرَ الدُّجى لسْنا بأوَّلِ عاشقَيْنِ تَفَرَّقا

خَرَجَ السَّيِّدُ نَجْمُ العِلْمِ والأَربِ، وأفِلَتْ شَمْسُ الأدبِ والفهمِ، وبارتْ بضاعةُ المروءةِ، وخَمدَتْ نارُ الفتوَّةِ، وانهدمَ ركْنُ السَّخاءِ، وانْغلَّ سيفُ العطاءِ، وغارتْ عينُ الأَرْيَحيَّةِ، وانْثَلَمَ جانبُ الإنسانيةِ، وانهزمتْ عساكر الكرَمِ، واغبرَّ وَجْهُ السيفِ والقلمِ، ونَضَبَ(٣) ماءُ الحياءِ، وركدتْ ريحُ البهاءِ، وجَزَرَ بَحْرُ العَقْلِ وتضعْضعَ جبَلُ التوحيدِ والعدلِ، وأُخلِقَتْ ثيابُ الإفْضالِ والفضْلِ، وتهافَتَ(٤) نظامُ الفِعْلِ والقولِ، ومَرِجَ(٥) حَبْلُ السَّخاءِ والبذْلِ، وأنشدَ كلُّ مَنْ وَجَدَ مَسَّ بُعْدِهِ، ونَظَرَ إلى تلك المكارمِ مِنْ بَعْدِه: [من السريع]

ما حالُ مَنْ كانَ لهُ واحِدٌ يؤخَذُ مِنْهُ ذلكَ الواحدُ؟

وأنا مِنْ بين الجماعة كالوالِهِ الثَّكْلى، وكالفاقدة الحَسْرَى.

شعر: [من الطويل]

---

(١) البيت في ديوان جرير (تح نعمان محمد أمين طه) ٩٤٠.

(٢) الجُنَيْد: هو الجنيد بن عبد الرحمن المري الدمشقي والي السند في خلافة هشام بن عبد الملك. وهو أحد الشجعان المدوحين. وتوفي الجنيد سنة ١١٥هـ/٧٣٣ - الأعلام ١٤٠/٢.

(٣) في المخطوط هامش يقول: "نَضَبَ الماء إذا غار وسَفُل".

(٤) في المخطوط هامش يقول: "التهافُت: التساقط".

(٥) في المخطوط هامش يقول: "مَرِج: أي قلق واضطرب، والاسم المَرَج بالتحريك".

[١٧/ب] *أُقلّبُ طَرْفِي لا أرى من أُحبُّهُ ... وفي الدار مِمَّن لا أُحبُّ كثيرُ*

إذا نظرتُ إلى عَرَصاتِ المجدِ خاليةً، وإلى رِباعِ الفضلِ عافيةً، وإلى شدّةِ الشوقِ وقد خلا جنابُها، واصطفقتْ أبوابُها [قلتُ][1]: [لمن الوافر]

١- *واصْبَحَ بَطنُ مكّةَ مُقْشَعِرّاً ... كأنَّ الأرضَ ليسَ بها هِشامُ*[2]

فَصلٌ في التَّهْنِئة بالْقُدوْمِ مِنَ الْحَجِّ

الأصلُ في هذا الفصلِ أنْ نُثْبتَ أولاً فَرْضَ الحجِّ لقوْلِهِ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[3]. ولقوله عليه الصلاةُ والسلامُ: «بُنِي الإسْلامُ على خَمْس: على أن يُوَحَّدَ اللهُ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزكاة، وصيامِ رمضان، والحجِّ»[4]، ثم نقول: الحجُّ أحدُ أَرْكان الدينِ الحنيفي والشَّرْعِ المُحَمدي. والبناءُ بالأرْكان قيامُهُ، كذلكَ الدّين بالحجّ تمامُهُ. فاشكرْ مواهبَ الله لديكَ في الحجِّ، إذا أدَّيْتَ فَرْضَهُ، وحَرَمَ اللهِ وطئْتَ أرْضَهُ، والمقامَ الكريم قُمْتَهُ، والحجرَ الأسْوَدَ استلمتَهُ. وهنَّأكَ اللهُ ما أوْجَبَ لكَ على هذا السَّعْي المَشْكورِ، والحجِّ المَبْرورِ من الأَجْرِ الجميلِ [١٨/أ] والذُّخْرِ الجزيلِ. وهو جنَّةٌ، عرضُها السمواتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقين.

قالَ عليه السَّلام: «العُمْرتان تكفِّران ما بينهما»[5] والحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلاَّ الجنَّةَ. وأنتَ اليومَ مُهَنَّأٌ بما هَنَّأَ الملائكةُ أبانا آدمَ، حينَ حَجَّ البيْتَ، على بُعْدِ الديارِ ونواحي المزارِ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: حَجَّ آدمُ وطافَ بالبيتِ سَبْعاً، فَلَقِيَتْهُ الملائكة، فقالوا: بُرَّ حجُّكَ يا آدمُ، أما إنّا حَجَجْنا قَبْلَكَ هذا البيتَ بأَلْفَيْ عام. ولقد عظمتْ نعمةُ اللهِ عليكَ بتوفيقكِ لقِصْدِ حَرَمِ اللهِ وبَيْتِهِ الذي أوْسَعَهُ كرامةً، وجعَلَهُ للنَّاسِ مَثابَةً، وللخليلِ خِطَّةً، وللذَّبيحِ حِلَّةً، وللحبيب ﷺ قِبْلَةً، ولأُمَّتِهِ الهاديةِ كعبةً. وأمر

---

[1] أضفنا هذه الكلمة لإتمام المعنى.

[2] البيت في معجم الشعراء ٤٨٢ ونسب هنا إلى الحارث بن أسد الأصغر وينسب إلى آخرين، انظر المحبَّر ١٣٩ والاشتقاق ١٠١ وثمار القلوب ٤٦٣/١ وهشام فيه هو هشام بن المغيرة المخزومي.

[3] سورة آل عمران ٩٧/٣، وتتمة الآية: ﴿مَنِ استطاعَ إليه سبيلاً، ومنْ كفرَ فإنَّ اللّهَ غنيٌّ عنِ العالمين﴾.

[4] الحديث رواه أحمد في المسند ١٤٣/٢، وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٢٩٣/٤.

[5] الحديث رواه البيهقي في رقم (٤٠٩٣).

خليلَهُ، فدعا إليه حتَّى لُبّيَ من كلِّ طريقٍ سحيقٍ، وتُسرِّعَ نحوَهُ من كلِّ فجٍّ عميقٍ. والحمدُ للهِ على أنْ ردَّكَ إلينا مَقبولَ التَّوْبةِ، مَغْفورَ الحَوْبةِ، سعيدَ السَّفْرةِ، مُنْجَحَ الأوْبةِ، حميدَ السَّعْي مَقْبولَ الحَجِّ، موفورَ الأجْرِ، قدْ أسْقطْتَ عن ظهرِكَ [١٨/ب] الثِّقْلَ العظيمَ، وشهدْتَ الموقفَ الكريمَ، والمطافَ الشَّريفَ، والمُسْتَلْزَمَ النَّبيهَ، والمُسْتَلَمَ النَّزيهَ[1]، والمُعْرَّفَ العظيمَ، وزَمْزَمَ والحطيمَ. وسأخبرُكَ بِما جُعِلَ لك من الأجْرِ والبركةِ في هذه السَّفْرةِ والحركةِ.

عَنْ أنسِ بنِ مالكٍ[2] أنَّه قال: كنْتُ قاعِداً مع النبيِّ ﷺ في مَسْجِدِ الخَيْفِ[3]، فأتاهُ رجُلٌ من الأنصارِ ورجُلٌ منْ ثقيفٍ فَسَلَّما عليه، ودَعَوَا له بدُعاءٍ حَسَنٍ، ثم قالا: يا رسولَ اللهِ، جئْنا نَسْأَلُك قالَ عليه السلامُ: إنْ شِئْتُما أخَبْرتُكُما بِما جِئْتُما تَسْأَلاني عَنْهُ، وإنْ شئْتُما سألتُماني. قالا: أخبرْنا يا رسولَ اللهِ نزدَدْ إيماناً ويقيناً. قال الأنْصاريُّ: أخْبِرْني يا رسول اللهِ. قال عليه السلامُ: جِئْتَ تسألُني عن مخرجِكَ من بيتِكَ، تَؤُمُّ البيتَ الحرامَ ومالَكَ فيهِ، وعن طوافِك ومالكَ فيهِ، وعن ركْعَتَيْكَ بَعْدَ الطوافِ ومالك فيهما، وعن طوافِك بين الصَّفا والمروةِ ومالكَ فيهِ، وعَنْ وقوفِكَ بعَرَفةَ ومالكَ فيهِ، وعن رَمْيِكَ [١٩/أ] الجِمارَ ومالكَ فيهِ، وعنْ طوافِكَ بالبيتِ ومالكَ فيهِ، يعني حدَّ الإفاضةِ. قال: والذي بعثَكَ بالحقِّ ما جئتُ إلاَّ أسْألُكَ عَنْ ذلك. قالَ عليهِ السَّلامُ: أمَّا مخرجُكَ مِنْ بيتِكَ تؤُمُّ البيتَ الحَرامَ، فإنَّ ناقتَك لا تَرْفَعُ خُفّاً ولا تضعُهُ، إلاّ كَتَبَ اللهُ لكَ بها حَسَنةً، ومَحَا بها عنكَ خطيئةً، ورَفَعَ لكَ بها درجةً. وأمَّا ركْعَتاكَ بعدَ الطَّوافِ، فلعِتْقِ رَقَبةٍ من بني إسْماعيلَ. وأما طوافُكَ بينَ الصَّفا والمرْوَةِ، فلعِتْقِ سبعينَ رقبةً. وأَمَّا وقوفُكَ بعَرَفةَ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يهبطُ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيُباهِي بكم الملائكةَ، ويقولُ: انظروا عبادي جاؤوني منْ كلِّ فجٍّ عميقٍ شُعْثاً غُبْراً يرجونَ رَحْمتي ومَغْفرتي، فلَوْ كانتْ ذنوبُكُمْ مِثْلَ الرَّمْلِ وعَدَدِ القطْرِ، ومثلَ زَبَدِ البحْرِ، ومثلَ

---

(1) في المخطوط هامش يقول: "النزيه: الكريم".

(2) أنس بن مالك الخزرجي الأنصاري، من الصحابة، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً، ولد بالمدينة، ورحل إلى دمشق والبصرة، فمات فيها سنة ٩٣هـ.

(3) الخَيْف: الخَيْف أصلاً هو ما انحدر مِنْ غِلَظ الجبل وارتفع عن مسيل الوادي، ومنه سُمِّي مسجد الخيف من (منى) معجم البلدان (خَيْف).

نجومِ السماءِ، يغفرها لكم، ويقول: أفيضوا عبادي مغفوراً لكم، ولمَنْ شَفِعْتُمْ فيه. فأمَّا رميُكَ الجمارَ، فإنَّ اللهَ يغفِرُ لكَ بكُلِّ حصاةٍ رَمَيْتَها كبيرةً من الكبائرِ [١٩/ب] المُوبِقاتِ المُوجِباتِ. وأمَّا نحرُكَ، فمَذخورٌ لكَ. وأمَّا حَلْقُكَ رأسَكَ، فيكتُبُ اللهُ لكَ بكُلِّ شَعْرةٍ حَسَنَةً، ويمحو عنْكَ بها خطيئةً.

قيلَ: فإنْ كانتِ الذُّنوبُ أقَلَّ منْ ذلكَ؟ قالَ: يُدَّخَرُ لكَ عندَ ربِّكَ. فأمَّا طوافُكَ بالْبَيْتِ، يعني بعدَ الإفاضةِ، فإنَّك تطوفُ، ولا ذنبَ لكَ، ويأْتيكَ مَلَكٌ فيَضَعُ يَدَهُ بين كتفَيْكَ، ويقولُ: إعملْ لِما بقيَ فقدْ كُفِيْتَ ما مضى.

وقالَ عليهِ السلامُ: «مَنْ ماتَ بينَ الحرمَيْن حاجّاً أو مُعْتمِراً بَعَثَهُ اللهُ يومَ القيامةِ لا حسابَ عليهِ ولا عَذابَ. ومَنْ زارني بعدَ موتي، فكأنَّما زارَني في حياتي. ومَنْ جاوَرَني بعدَ موتي، فكأنَّما جاورني في حياتي. ومَنْ ماتَ بمكَّةَ فكأنَّما ماتَ في سماءِ الدُّنْيا. ومَنْ شربَ ماءَ زَمْزَمَ، فماءُ زَمْزَمَ لِما شَرِبَ لَهُ».

ومَنْ قبَّلَ الحَجرَ، واستَلَمهُ، شُهِدَ لهُ يومَ القيامةِ بالوفاءِ. ومَنْ طافَ حولَ بَيْتِ اللهِ سُبُوعاً، أعطاهُ اللهُ بكُلِّ عَشْرِ نَسْماتٍ من ولَدِ إسماعيلَ عِتاقَهُ.

ومَنْ سَعَى بين الصَّفا [٢٠/أ] والمَرْوَةِ، ثبَّتَ اللهُ قدمَيْهِ على الصراطِ يومَ تزولُ الأقْدامُ. فاجْتَهِدْ في أداءِ مَواجِبِ شُكْرِ اللهِ ذي الجَلالِ والإكْرامِ، إذْ أهَّلَكَ للطوافِ بالبيتِ الحرَامِ، وزيارةِ تلْكَ المشاعِرِ الكرامِ، وحطَّ عنْكَ بحجَّتِك ثِقْلَ الأجْرامِ، وغسَّلَكَ من وَقْرِ الأرْزامِ والآثامِ.

إدَّرِعْ، يا سيِّدي، اغتباطاً، واستَأنِفْ طرَباً ونشاطاً، فإنَّ اللهَ تَعالى لم يوفِّقْك لِزيارة بيتهِ إلاَّ لِسَعادةٍ لكَ سابقةٍ، ومحبَّةٍ لك عندَهُ ثابتةٍ. والمَرْجُوُّ من فَضْلِ رحمةِ اللهِ تعالى أنَّه قدْ قَبِلَ حجَّكَ وعُمْرتَكَ، وغفَرَ لكَ ذَنْبَكَ وحَوْبَتَكَ، وأقالَ عَثْرتَكَ، وتلافى برحمتِهِ فَرْطَتَكَ، وعفا عَنْكَ زَلَّتَكَ، وحينَ قُلْتَ: لَبَّيك لَبَّيك، أجابَ بكرمِهِ دَعْوَتَكَ. وكما قطعْتَ الطريقَ السَّحيقَ حتَّى وصلْتَ إلى البيتِ العتيقِ، فاحذرْ آفاتِ دُنْياكَ، وجاهدْ نَفْسَكَ وهواكَ، حتَّى تصلَ إلى رَبِّ البيْتِ.

قالَ محمَّدُ بن الفضلِ البلْخيّ: «عَجِبْتُ لِمَنْ يقطعُ البوادي والقِفارَ حتَّى [٢٠/ب] يصلَ إلى بيتِ اللهِ وحَرَمِهِ، لأنَّ فيهِ آثارَ أنْبيائِهِ وأَوْليائِهِ، كيف لا يقطعُ

نَفسَهُ وهواهُ، حتَّى يصِلَ إلى قَلْبِه، لأنَّ فيهِ آثارَ مولاهُ. قال: وشهِقَ أَرْبعةٌ مِمَّن سمعوا هذا وماتُوا».

وازْدَدْ مِنَ اللهِ فَرَقاً وخَشْيَةً غيرَ مُتَّكِلٍ على طاعتِكَ، ولا مُعْتَمِدٍ على حجَّتك؛ فإنَّ العاقِلَ لا يأمَنُ ما سَلَفَ لهُ مِنْ خطيئتِهِ، حتَّى يُخلِّفَ قنطرةَ النارِ، ويتنعَّمَ في دارِ الأَبْرارِ.

ومِنْ تَمامِ نِعْمةِ اللهِ عليكَ، وجميلِ إحْسانِهِ لديكَ، أنْ رزقَكَ زيارةَ قَبْرِ الرسول ﷺ مُشافِهاً لِمَشْهَدِهِ، ومُباشِراً لِمَسْجِدِه، وماشياً بينَ قَبْرِهِ ومَنْبَرِهِ، حيثُ شَهِدَ لهُ الرسولُ ﷺ بأنَّهُ تُرْعةٌ مِنْ تُرَعِ الجنَّةِ في قولِهِ عليه أفْضلُ الصلاةِ والسَّلامِ: «إنَّ مَنْبَري هذا على تُرْعةٍ من تُرَعِ الجنَّةِ»[1]، فهنيئاً لكَ شهودُ تلْكَ البقعةِ، والتفسُّحُ مُتمكِّناً في الترعةِ، حيثُ لا يُرَدُّ سائِلٌ، ولا يخيبُ آملٌ، وإنَّ لكَ بِتلْكَ الزِّيارةِ وجوبَ الشفاعةِ [٢١/أ] وثوابَ الصَّحابةِ، فلقد قال ﷺ:

«مَنْ زارَ قَبْري وجَبَتْ لهُ شَفاعتي»[2] و«مَنْ حَجَّ، فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي وصَحِبَني»[3].

حَجَّ أعرابيٌّ، فلمَّا جاءَ إلى بابِ مَسْجِدِ رسولِ اللهِ ﷺ، أناخَ راحِلتَهُ، فَعَقَلَها، ثمَّ دَخَلَ المسْجدَ حتَّى أتى القَبْرَ، فوقفَ بحذاءِ وجْهِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ، ثمَّ سلَّم على أبي بكْرٍ وعُمَرَ، ثم أقبلَ على رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: بأبي أنْتَ يا رسولَ اللهِ، جئْتُكَ مُثْقَلاً بالذُّنوبِ والخطايا أسْتَشْفِعُ بكَ إلى ربِّكَ، لأنَّهُ قالَ في مُحْكَمِ كتابِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[4]، وقدْ جئْتُكَ مُثْقَلاً بالذُّنوبِ والخطايا، أسْتَشْفِعُ بكَ إلى ربِّكَ أنْ تَغْفِرَ لي ذنوبي، وأنْ يُشفِّعَكَ فيَّ، ثمَّ أَقْبَلَ وهوَ يقول: [من البسيط]

---

[1] الحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٦٠ و ٤١٢، وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٣/٤٤٢.

[2] الحديث ذكره البيهقي في مجمع الزوائد ٤/٢. وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٨/٢٨٦.

[3] الحديث ذكره البيهقي في مجمع الزوائد ٤/٢، وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٨/٢٣٠.

[4] سورة النساء: ٤/٦٤.

[٢١/ب]١- يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بالْقاعِ أعْظُمُهُ وطابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقاعُ والأَكَمُ
٢- نَفْسِي الفِداءُ لِقَبْرٍ أنْتَ ساكِنُهُ فيهِ العَفافُ وفيهِ الجُودُ والكَرَمُ

وهذه أبياتٌ قيلَتْ في ذكْرِ الحجِّ معَ الالتقاءِ بالأَحبَّةِ فيهِ، فمِنْ أمْلَحِها قولُ أَبي نواس[1]: [من السريع]

١- وعاشِقَيْنِ التَفَّ خَدَّاهما عنْدَ الْتِثامِ الحجرِ الأَسْوَدِ
٢- فالْتَثَما مِنْ غيرِ أن يأثَما كأنَّما كانا على مَوْعِدِ(٢)

وقول قيس المجنون[3]: [من الطويل]

١- ولم أرَ ليلى غيرَ موقفِ ساعةٍ بِبَطْنِ مِنًى تَرْمي جِمارَ المُحَصَّبِ
٢- وتُبْدي الحصى منها إذا حَذَفَتْ بها مِنَ البُرْدِ أطْرافَ البَنانِ المُخضَّبِ(٤)

وقول عُمَرُ بنُ أَبي ربيعة المخزومي[5]: [من الخفيف]

١- أيُّها الرَّائحُ المُجِدُّ ابتكاراً قدْ قَضَى مِنْ تِهامةَ الأَوْطارا
٢- لَيْتَ ذا الحَجَّ كانَ حَتْماً عَلَيْنا كُلَّ شَهرَيْنِ حِجَّةً واعْتِمارا(٦)

وقول آخر: [من الوافر]

[٢٢/أ] ١- ولَمَّا لم أجِدْ سَبَباً إليها وكانَ فِراقُ مَنْ أَهْوَى عَسيرُ

---

(١) أبو نواس: هو الحسن بن هانئ. شاعر عباسي، اشتهر بغزله وبخمرياته. ولد سنة ١٣٦ أو ١٤٠هـ وتوفي سنة ١٩٥ أو ١٩٦ أو ١٩٧هـ. وقد حقق ديوانه أحمد عبد المجيد الغزالي وطبعه بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.
وانظر ابن منظور: أخبار أبي نواس، وعمر فرّوخ: أبو نواس.
(٢) البيتان في ديوان أبي نواس (ط الغزالي) ص٢٣٣.
(٣) هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، شاعر غزل من المُتيَّمين من أهل نجد. وسمي بالمجنون لشدة هيامه بليلى بنت سعد. وكان الأصمعي ينكر وجوده. ويروى أنه مات سنة ٦٨هـ.
(٤) البيتان في ديوان مجنون ليلى (تحقيق فرحات) ص٤٢. وبخلاف في رواية البيت الثاني.
(٥) هو عُمَر بن أبي ربيعة المخزومي، أبو الخطّاب. ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب، فسُمِّي باسمه، وذلك سنة ٢٣هـ. وتوفي غرقاً في البحر سنة ٩٣هـ. واشتهر بغزله المكشوف، ونشر ديوانه محمد محي الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م. وانظر فيه: عمر بن أبي ربيعة، لجبرائيل جبور، وعمر بن أبي ربيعة - شاعر الغزل، لعباس محمود العقاد.
(٦) البيتان في ديوانه (ط عبد الحميد) ص٤٨٥.

٢- حَجَجْتُ، وقيلَ: قَدْ حَجَّتْ سُلَيمى لِيَجْمَعَني وإيَّاهـا المَسِيْرُ

وقول أبي بكر العَبْري: [من البسيط]

١- يا مَنْ إلى وجَهْهِ حجّي ومُعْتَمَري إذْ حَجَّ قَوْمٌ إلى تُرْبٍ وأحْجارِ

٢- أنتَ الصَّلاةُ التي أرجو النجاةَ بها وأنْتَ صومي الذي يَزْكُوْ وإفطارَي

٣- لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ مِنْ قُرْبٍ ومن بُعْدٍ سِرّاً بِسِرٍّ، وإضْماراً بإضْمارِ

وقول أبي علي الفَلْجَرْدي: [من المتقارب]

١- أَبَطْحاءَ مكَّةَ هذا الذي أراهُ عَياناً، وهذا أنا[1]

عَنْ بعضِ المشايخِ أنَّه قالَ: بَيْنا أنا أَطُوْفُ حولَ الكعْبةِ باللَّيْلِ إذا امرأةٌ شابَّةٌ كأنَّها قَمَرٌ طالِعٌ تطوفُ حولَ الكعبةِ، وتقولُ: [من البسيط]

١- لا يقبلُ اللهُ مِنْ مَعْشُوقةٍ عَمَلاً يوماً وعاشِقُها حَيْرانُ مَهْجُوْرُ

٢- وليسَ يأجرُها في قَتْلِ صاحِبِها لكنَّ عاشِقَها في ذاكَ مأجُوْرُ

فقُلْتُ: أيُّها المرأةُ تُنْشِدِينَ مثلَ هذهِ الأبياتِ عندَ بَيْتِ اللهِ الحرامِ؟ فقالَتْ [٢٢/ب] لي: ظُنَّ خيراً. وجَعَلَتْ تطوف، وهي تقول: [من الطويل]

١- أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عَنْ حُسْنِ وَجْهِها وأَرْخَتْ على الخدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهلا

٢- مِنَ اللائي لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِيْنَ حِسْبَةً ولكنْ ليقتُلْنَ البريَّ المُغَفَّلا

قالَ: فقُلْتُ لها: ما زِدْتِ إلاَّ شرّاً، فقالَتْ: كأنَّكَ عراقي، أما سمعْتَ قولَ الشاعر: [من الكامل]

١- بعضُ العَذارى ما هَمَمْنَ بريبةٍ كظباءِ مكّةَ، صَيْدُهُنَّ حرامُ

٢- يُحَسَّبْنَ مِنْ لِيْنِ الحديثِ زوانيا ويصدُّهُنَّ عَنِ الخَنا الإسْلامُ

قالَ: فقُلْتُ: حرَّمَ اللهُ وَجْهَكِ على النَّارِ. فقالتْ لي: ولا رَهِقكَ الحبُّ يا شَيْخُ. فقُلْتُ لها: ما الحُبُّ؟ قالَتْ: أما تَعْرِفُهُ؟ قلْتُ: لا. قالت: هو أظهرُ مِنْ أنْ يَخْفَى،

[1] البيت مع آخر في تاريخ دُنَيْسَر لابن اللمش ص٩٨، غير منسوب.

وخَفِيٌّ فلا يُرَى، فهو كامِنٌ كُمُوْنَ النارِ في الحجرِ، إنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى، وإنْ تركْتَهُ تَوارَى.

وعنْ عبْد الصَّمد بن إسْماعيلَ، أنَّه قالَ: كُنْتُ ذاتَ ليلةٍ نائِماً في الحجْرِ، إذْ سمعْتُ صوتاً مِنْ بَيْنِ الأسْتار: [من الطويل]

[٢٣/أ] ١- *عَفَا اللَّهُ عمَّنْ يُحْفَظُ الودُّ عندَهُ ... ولا كانَ عَفْوُ اللهِ مِن ناقضِ*

٢- *بكيْتُ وهاجَ الحُزْنُ شيئاً نَكِرْتُهُ ... ففاضَ بهِ عيني وذاعَ بهِ وَجْدِي*

٣- *وَضَعْتُ على الأسْتارِ خدِّي بِذلَّةٍ ... لِيَجْمَعني مَعْ مَنْ وضعْتُ لَهُ خَدِّي*

ثُمَّ بَرَزَتْ، فخِلْتُها سماءً تجلَّتْ عنْ غَمامةٍ، فقُلْتُ: يا هذهِ لو سألْتِ اللَّهَ قُرْبَهُ، ما حرمَكِ، وهذا وَجْهُكِ لو سَتَرْتِيهِ. فقالتْ: عزَّ مَنْ خَلَقَ فَسَوَّى، وعلى العرشِ استوى، أما واللهِ إني فقيرةٌ إلى رحمتِهِ، وكشْفِ ما بقلبي، وقدْ سألْتُهُ آثر الأمْرَيْنِ عندي اتِّكالاً على عَفْوِهِ.

قِيلَ لذي النونِ بعرفاتٍ: مَنْ أسْوَأُ هؤلاء الخلْق حالاً؟ قالَ: مَنْ ظَنَّ أنَّ اللَّهَ لا يغفرُ لهُ.

ذُكر أنَّه حَجَّ بعض الصالحين، ثمَّ غزا، ثمَّ قال: «يا ربِّ إنْ كُنْتَ قبلْتَها، وإلاَّ فلا تحرمني أجرَ المصابِ».

ورُوِيَ أنَّ الفضْلَ بن عيَّاض التقى معَ سُفْيانَ الثَّوريِّ بعَرَفةَ، فقالَ لهُ: «إنْ كنْتَ تظنُّ أنَّه قد حَضَرَ هذا الموقفَ شَرٌّ منِّي ومنْكَ، فبِئْسَ ما ظَنَنْتَ».

وحكى الأصمعي أنَّه [٢٣/ب] رأى أعْرابياً بالموقفِ يقول: إلهي عجَّتْ إليكَ الأصواتُ بضروبٍ من اللغاتِ، يسألونكَ الحاجاتِ. وحاجتي أنْ تذكرني على طُوْلِ البِلى، إذا نَسِيَني أهلُ الدُّنيا.

- فَصْلٌ لمنصور بن أبي مَنْصُور الهروي في التهنئة بالحَجِّ -

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ بقدومِهِ، وأضحكَ بهِ وجْهَ الدَّهْرِ بعْدَ وجومِهِ، وما القَمَرُ تبسَّمَ إلى الساري، وهو لظُلَمِ اللَّيْلِ مُنْتهِبٌ، والوِرْدُ العَذْبُ يَرِدُه الصادي، وهو بنار الظلماءِ مُلْتَهِبٌ، والنجْحُ يَلْقاهُ المُخْفِقُ، وقدْ تَرَكَ سعيَهُ عَبَثاً، والغيثُ يَسْقي راعي سنينَ تتابعتْ جَدْباً، بأسرَّ مني بقُفولِ الشَّيْخ صادراً عن نُسُكٍ مَقْضِيٍّ، وسَعْيٍ مَرْضيٍّ، وسَفَرٍ سافِرٍ عن رُشْدٍ وافرٍ، في ظلٍّ من السعادةِ

كَنيْنٍ[1]، وسِتْرٍ من صُنْعِ اللهِ ثمينٍ، إلى ديارٍ طالَ ما انتظرْتهُ، كما انتظرتْ أوْبَ الهلالِ منازِلُهُ، وحنَّت إليه، كما حنَّتِ الرياضُ إلى الغيثِ ينهلُّ فيها طَلُّهُ ووابِلُهُ [٢٤/أ] بعدَما كادتِ القلوبُ تطيرُ شوقاً إلى رَجْعتِهِ، والعيونُ تَبْيَضُّ[2] تَشوُّفاً[3] إلى طَلْعتِهِ. ولقدْ خَلَّفَ بكلِّ أرْضٍ حلَّها، وبقعةٍ أظلَّها، عَبَقاً[4] مِنْ مَحاسنِهِ لا يَسْطعُ المِسْكُ سطوعَهُ، وشيئاً مِنْ فضائِلِهِ لا يطلعُ الفجرُ طلوعَهُ. ولِلّهِ الحمْدُ والمِنَّةُ على ما يسَّرهُ من هذه العودةِ الحميدةِ والقِدْمةِ السَّعيدةِ، المؤذِنةِ بالنعمةِ الجديدةِ، والدَّوْلةِ العتيدةِ. وإلى اللهِ، عزَّ اسمُهُ، الرَّغِبةُ في أنْ يتقبَّلَ منه النُّسْكَ الذي أتاحَ لِقضائِهِ تَوْفيقَهُ، وسهَّلَ إلى القيامِ بحقِّهِ طريقَهُ، وأنْ يُجْزِلَ ثوابَهُ على ما أدَّاهُ منْ تلكَ المواجِبِ، ويَشْكُرَ لهُ السَّعْيَ الذي تحمَّلَ فيه ما تحمَّلَ منَ المشاقِّ والمتاعبِ، وهو عزَّ وجَلَّ خيرُ مرغوبٍ إليهِ، وأكرمُ مطلوبٍ ما لديْهِ.



---

[1] كنين: مَسْتور عن الشمس والحرّ.
[2] ابيضّت العينُ: يبست. ومنه ابيضَّ الكلأ إذا يَبِس.
[3] التشوف: التشوق.
[4] العَبَق: الرائحة الطيّبة.

فُصُولٌ تَتَعلَّقُ بالنِّكاح

- فَصلٌ في الخِطْبة -

السُّنَّةُ في الخِطْبة أنْ تكونَ مُبْتَدِئاً بها، ولا تخطبُ المخطوبةُ، لما رُوِيَ عنهُ عليهِ السَّلامُ أنَّه قالَ: «لا يخطُبْ أحدُكُمْ [٢٤/ب] على خطبةِ أخيه»[١].

- فَصلٌ لأبي إسحق الصَّابي في الخطبة -

لو لم يكنْ للخاطبِ إلى المَخْطوب سَبَبٌ غيرَ ابتدائِهِ إيَّاهُ بالثِّقةِ، والتماس المشاركةِ، ورضاهُ بهِ شريكاً مُفاوِضاً في الوَلَدِ واللُّحْمةِ والحالِ والنعمةِ، لكفاهُ وأجْزاهُ، وأغناهُ عنْ كُلِّها سِواهُ، حتَّى إنَّه لوْ خَطَبَ إلى زاهِدٍ، لَوَجَبَ عليهِ أنْ يَرْغبَ، أو إلى مُغْتاضٍ لِلَزِمَهُ أنْ ينقادَ، لأنَّ هذا المَطْلَبَ إذا صَدَرَ مِنَ الأحْرار إلى الأحْرار، استُهْجِنَ الرَّدُّ عنْهُ، والمقابلةُ بالصَّدِّ. فكيفَ وقدِ انْتَظَمَتْ بَيْنَنا دواعي الإجابةِ، وارتفعتْ عِلَلُ المُدافعةِ، وباللهِ بجهدِ القَسَمِ أنَّ والديَّ أيَّدهما اللهُ يَسُوْمانني التأهُّلَ مُنْذُ سنينَ كثيرةٍ، فأحْمَلُ نَفْسي على التقاعُس عمَّا آثراهُ، مَعَ ما افْتَرضُهُ منْ طاعتِهما، اشتِطاطاً منِّي في شرائطَ أحْبَبْتُ أنْ تَجْتمعَ في الجَنْبةِ[٢] التي أُوْصِلُها، وقلَّ ما تتكاملُ إلاَّ فيمَنْ طَهَّرَ اللهُ بيْتَهُ، وجمَّلَ أَمْرَهُ، وأظهرَ فِعْلَهُ، وباعَدَ العَيْبَ عنْهُ مثلكَ. وقد بدأني بالدُّعاء [٢٥/أ] إلى ذلك كثيرٌ من الرؤساءِ الأكابرِ وذوي الأخطارِ الأفاضِلِ بفارسَ وبالبصرةِ، وبغدادَ، مِمَّنْ اعتادَ أَمْثالُهُمْ أنْ تكونَ الرغباتُ إليهم لا مِنهم، فامتنعْتُ منْ أجلِ شذوذِ شرائطي عليهم، حتَّى إذا أوْجَدَنيها اللهُ في حبيبتِك الجليلةِ، وجَمَعَها لي في منازلِك المصونةِ، بَعَثَتْني البواعثُ إلى أنْ يتألَّفَ بنا الوصْلُ، ويتَّصلَ بنا الحبْلُ. وكتبْتُ هذه الرقعةَ خاطباً إليك كريمتَكَ فلانةَ، على أنْ أكونَ لها كالجَفْنِ الواقي لمقلتِهِا، والصَّدْرِ الحاوي لمهجتِهِ، ولأبيها كالوَلَدِ المُطيعِ لأبيْهِ، ولأخيها كالأخِ المُعاضِدِ لأخيه.

---

[١] رواه أحمد في المسند ١٤٢/٢ وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٣٦٧/٧.

[٢] الجَنْبة: الناحية. وفي اللسان: "وفي حديث عمر، رضي الله عنه: عليكم بالجَنْبة فإنها عفاف".

فَصْلٌ في التَّهْنئة بالإمْلاك

قال أَنَسٌ، شهِدْتُ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ إمْلاكَ رَجُلٍ من الأنصارِ، فقالَ ﷺ: «بالخيرِ والبركةِ والأُلفةِ والسَّعةِ في الرِّزْقِ». ومِمَّا يُقالُ لِلْمُمْلِك: بارك اللهُ لفلانٍ في الأمْرِ الذي عَقَدَهُ، ووصَلَ به الخيرَ وأسْعَدَهُ، وجَعَلهُ مَوْصولاً بنماءِ العَدَدِ، وزكاءِ الولدِ، واتِّصالِ الحَبْلِ [٢٥/ب] وتكْثيرِ النَّسْلِ، والله يجبرُ لَهُ في الوصْلَةِ الكريمةِ، ويقرُنها بالمِنْحةِ الجسيمة. وقدْ عَظَّمَ اللهُ بَهْجتي، وضاعَفَ غِبْطتي بما أتاحَه اللهُ لَهُ مِنْ سُرورٍ مُمَهَّدٍ، وجَمْعِ شَمْلٍ مُبَدَّدٍ، فلا زالتِ النِّعَمُ بهِ محفوفةً والمسارُّ إليهِ مَزْفُوْفَةً، جَعَلَ اللهُ هذهِ الوَصْلَةَ أكيدةَ العقدةِ، طويلةَ المدَّةِ، سابغةَ البركةِ والفضْلِ، طيِّبَةَ الذريَّةِ والنَّسْلِ.

وَصلَ الله هذا الاتِّصالَ السَّعيدَ، والعقْدَ الحميدَ، بأكْملِ المواهبِ، وأحْمَدِ العواقبِ، وجعَلَ شَمْلَ مَسرَّتِكَ بهِ مُلْتَئِماً، وسَبَبَ أُنْسِكَ مُنْتَظِماً، عرَّفكَ اللهُ تعجيلَ البركاتِ، وتوالي الخيراتِ، ولا أَخْلاكَ في هذه الوَصْلةِ مِنَ التهاني بنُجباءِ الأولادِ، وكبَتَ بكثرةِ عَدَدِكَ جميعَ الحُسَّادِ. هنَّأكَ اللهُ الوصْلَةَ المُتَّصلِةَ بكثرةِ العددِ، ووفورِ الولدِ، وانبساطِ الباعِ واليدِ، وعُلُوِّ القَدْرِ والجَدِّ.

- فَصْلٌ في التَّهْنِئَةِ بالبناءِ بالأَهْلِ-

أسألُ اللهَ العظيمَ أنْ يجعلَ اليُمْنُ والسَّعادةَ [٢٦/أ] والإقْبالَ والزِّيادةَ والعِزَّ والسِّيادةَ للشَّيْخِ الإمامِ، جمالِ الإسلامِ، ثابتةَ الأساسِ، مقرونةً بهذا الإعْراسِ، مُخيِّمةً عندَهُ في غيرِ منزلٍ قلعةً مقيمةً في ذراه، لا في دارِ ارْتحالٍ، ونُقْلَةً لِتحقُّقِ الآمالِ، وتتَّسِقَ بأحسنِها الأحوالُ، وتتَناسَقَ بكلِّ ما تشتهي الأنْفُسُ، وتلذُّ الأعْيُنُ، السنينَ والأحوالَ، وتمتدَّ في النعِمِ المُقيمِ، والسُّرورِ الحاضرِ، والعيشِ الناضرِ، ما هبَّتِ الجنوبُ والشَّمالُ، واختلفتِ اليمينُ والشِّمالُ. وهذا دعاءٌ منْ جَوِّ الإجابةِ، قريبٌ مِنَ الاستجابةِ، لأنَّ الحالَ قد نَصبَتْ شواهِدَ صِدْقٍ، ومَخايِلَ حَقٍّ، ودلائلَ واضحةً، وأعلاماً لائحةً، وتباشيرَ مُبَشِّرةً بأحْوالٍ صالحةٍ، وأوْزانٍ راجحةٍ، من اجتماعِ السَّعْدَيْن، وتألفهما تألُّفَ اليَديْنِ، وتعاوُنهما تعاوُنَ السَّاعَدْين. والسُّعودُ إذا اجتمعتْ تناصرتْ على فَكِّ النحوسِ، وإذا تقاربَتْ نَصرَتِ النعيمَ على البُوْسِ، وأبْدَلَت [٢٦/ب] الطلاقةَ مِنَ العُبُوسِ، والخَصْبَ من البُوْسِ، ومتَّعتِ العروسَ بالعريسِ، وآذنَتْ بالعَيْشِ الطيِّبِ، وغياثِ الوَبْلِ الصيِّبِ، والنعمةِ المُوْفيةِ مستقبلَها على ماضيها، القاصِرةِ حاضرَها عنْ آتيها.

شِعْر: [من البسيط]

لا زالَ في نِعَمٍ يقصُرُ يومَهُ   عمَّا يُساقُ إليهِ منها في غدِهِ(١)

وهو المسؤولُ، عزَّتْ قدرتُهُ، أنْ يقرنَ موردَ العقيلةِ[٢] بالطائرِ السَّعيدِ، والأمْرِ الرَّشيدِ، والعزِّ الزَّائدِ، والجدِّ الصَّاعدِ، والنَّماءِ في الائتلافِ، والعُصْمَةِ من الفُرْقةِ والاختلافِ، حتَّى تكون عوائدُ البركةِ بأحْوالِها منوطةً، ومن عوادي الأيَّام وغيرها مَحُوْطةً. واللهُ يُهنِّئ الشَّيْخَ ما غَشِيَ [النفوسَ][٣] مِنْ جلالةِ قَدْرِه، والأسْماعَ من نباهةِ ذكرِهِ، والأفئدةَ مِن الهَوَيِّ إليْهِ[٤]، والحنوِّ عليْهِ، والعيونَ من رَوْنَقِ رُوائِهِ[٥]، ومُشْرِقِ أضوائه.

شعر: [من الطويل]

وهذا نُثاري بعدَما رُمْتُ غَيْرَهُ   فأعْوَزَني والدَّهْرُ بالمَرْءِ قُلَّبُ(٦)

- فصلٌ في طَلَبِ الزِّفافِ إلى الأَصْهارِ -

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ أحقَّ [٢٧/أ] ما يُحَضُّ عليه، وأولى ما يُبادَرُ إليه، رَدُّ الودائعِ إلى صاحِبِها، وهذه العقيلةِ إلى خاطِبِها، وتسليمُ الحقِّ إلى وَليِّ الاستحقاقِ، والمسترقّةِ برقِّ النكاحِ إلى ذي الاسْتِرقاقِ. وقد جَرتْ أوائِلُ هذه المُصاهَرة التي اشتبكتْ فيها الأرْحامُ، وتألَّفَ بها الانتظامُ، واتَّصلَ بها الحَبْلُ، وانتظم بحَصولِها الشمْلُ، على الأمْرِ الرَّشيدِ، والطائرِ السعيدِ، والفأْلِ[٧] الأحْسَنِ، والفالِ[٨] الأَيْمنِ، فبادروا -أكرمَكُمْ اللهُ- إلى إتمامِها، والخروجِ عنْ لوازمِ أحكامِها، بزفافِ الحُرَّةِ العفيفةِ، الصائنةِ الكريمةِ، المُسَمَّاةِ باسم فِلانٍ، وهو

---

(١) في المخطوط في "غدِ". وأضفنا الهاء ليستقيم الوزن والمعنى.
(٢) العقيلة: المرأة الكريمة النفيسة. والعقيلة أيضاً: الدرَّة في صَدَفتها.
(٣) لم ترد هذه الكلمة في أصل المخطوط، وأضفناها ليستقيم المعنى، ولتتناسب العبارة مع ما يليها من كلام.
(٤) الهويّ: الميل.
(٥) الرُّواء: المنظر الجميل.
(٦) النثار: بقيَّة ما لدى المرء. ورُمْت: قصدتُ. وقُلَّب: مُتَقلّب.
(٧) الفأل: تأميل الفائدة والخبر.
(٨) الفال: هو تخفيف الفأل.

بحمدِ اللهِ الكفوءِ الكريمُ، والزوجُ الشفيقُ بالتحقيقِ، العالِمُ بما أَخْبَرَ اللهُ تعالى للنساءِ على الأزْواجِ في قولهِ تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[1]. وهو المُنْتَدبُ إلى ما نَدَبَهُ إليهِ مِنْ إمْساكِ الكريمةِ بالمعروفِ، والإحسانِ المألوفِ منه الموصوفِ. وبما ذكره الرسولُ ﷺ في قوله: «اتَّقوا اللهَ في النِّساءِ، فإنَّهنَّ عندَكُم [٢٧/ب] عوافٍ»[2]. وهؤلاءِ الكرامُ الأحرارُ، والأفاضلُ الكِبارُ قدْ نَقَلُوا إليكُمْ أقْدامَهم، فأَحْسِنوا إكرامَهُم ببذْلِ شفاعتِهم، وأكرموا مَوْرِدَهُمْ بإسْعافِ طِلْبَتِهم. أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ العظيمَ المنَّانَ لي ولكم.

- فَصْلٌ آخر في هذا المَعْنى -

قالَ اللهُ عزَّ منْ قائِلٍ: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ۝ ﴾[3]. قال مجاهدٌ في تفسير هذه الآية: هي شفاعةُ بعضِ الناسِ لبعضٍ. وقال النبيُّ ﷺ: «اشفعُوا، فلتؤْجَروا، وليَقْضِ اللهُ على لسانِ نبيِّهِ ما شاءَ»[4]. وقالتِ الحكماءُ: «الشفاعةُ تغريةٌ بالجاهِ، ما لمْ يكُنْ صاحِبُها على ثقةٍ مِن الإطْلابِ، وطمأنينةٍ مِن الإيجابِ». وحاجتنا التي نتشفَّع فيها قريبةُ الإسْعافِ والإنْجاحِ، إذِ المَشْفوعُ إليه فلانٌ، وهو الأوْحَدُ فَضْلاً ورجاحةً، والفَرْدُ كرماً وسماحةً. والشافِعُون نَحْنُ، ولا خَابَ رجاءٌ بهِ وصلتْ قواهُ، ولا أخْلَف أَمَلٌ تعلَّقَتْ به عُراهُ، والمشفوعُ له فلانٌ، وله وسائِلُ قويَّةٌ [٢٨/أ] ومواتٌّ[5] قريبةٌ، وليكنِ الشيخُ عِنْدَ ظنِّنا ويَقينِنا، بلينِ خُلُقِهِ وإيجابِهِ، وطِيْبِ مَكْسَرِهِ للسائلين وإطْلابِهِ.

---

[1] سورة البقرة ٢: ٢٢٩.

[2] الحديث رواه أحمد في المسند ٧/٢.

وعوافٍ: أي يتركْن لأزواجهنَّ مما وجب لهنَّ من نصف المهرِ، وكلُّ واحد من الزوجين كافٍ أي مُفْضِل، إذا فعَل ذلك، أي ترك نصف المهر لزوجه.

[3] سورة النساء ٤/٨٤.

[4] الحديث رواه مسلم في مسنده ٤/٥٥٦

[5] جاء في حاشية في المخطوط حول هذه الكلمة: "مواتٌّ مِنَ المتِّ وهو طَلَبُ القُرْبِ".

- فَصلٌ آخَرُ -

أَمَّا بعدَ حَمْدِ اللهِ والثناءِ عليهِ بما هُوَ أهلُهُ، والصلاةِ على محمَّدٍ وآلِهِ، فإنَّ مَنْ توسَّلَ إلى الشيخِ بكرمِهِ الذي خصَّهُ اللّهُ بجمالِهِ، وركّبه في خصالِهِ، فقد توسَّلَ بأكرمِ شفيعٍ إليهِ، وتعلَّق بأوْكَدِ عصمةٍ، إذْ كان للكرمِ إمامَهُ ومُقْتداهُ، وصاحبُهُ الذي يقضي ما اقتضاهُ. وقد اقتصرْنا عليهِ توسُّلاً، واكتفينا به توصُّلاً. ولا خفاءَ بما جئْنا لهُ مِنِ اقتضاءِ الوديعةِ، فلْتُنْقَلْ منْ وطنِها إلى سَكَنِها، ومن مَغْرِسِها[1] إلى مَعْرَسِها[2]، ومنْ مَنْبتِها الذي وَرَتْ[3] لها نَعْماؤُهُ، إلى مَنْشأٍ يجودُ عليها سَماؤُهُ. وأنا أرجو أنَّ حاجتَنا تَنْجَحُ لديهِ، ويَنْفَتِحُ رِتاجُها[4] لَدَيْهِ، إنْ شاءَ اللّه تعالى.

- جوابُ هذهِ الفُصُوْلِ -

تكلَّمَ الشيخُ، فأفادَ وأجادَ، وسبَقَ ذوي الخطابةِ بكلامِهِ [٢٨/ب] وسادَ، وأبْدعَ كلماتٍ مَلَكَ بها القلوبَ، وسحرَ العقولَ. وللّهِ دَرُّهُ من فصيحٍ يُبْهِرُ ببيانِهِ، ويسحرُ بلسانِهِ، ويُعْجِزُ بألْفاظِهِ الباهرةِ، وكلماتِهِ السّاحرةِ، التي لو دُعي بها الشبابُ، لعادَ سريعاً، أو رُقِيَ[5] بها الشتاءُ صارَ ربيعاً، أوْ صُبَّتْ على الفراقِ، لانْقلَبَ شمْلاً جميعاً. ولو طُلِبْتُ أنْ آتيَ مثلَها، كُنْتُ في ذلك كمَنْ بارى الحصانَ بالأتانِ، وواجَهَ الغزالةَ[6] بالذُبالةِ[7]، وقارَعَ الحسامَ بالعَصا، و باهى الدُّرَّ بالحصا. واللّهُ يُبْقيهِ للمجْدِ يشيدُه ويبنيهِ، ولا يُرِينا سوءاً فيهِ، ولا في ذويهِ، من شيعتهِ ومُحبِّيهِ. والذي أجرى إليه سُنَنَ الخِطابةِ مِنْ ذِكْرِ الشَّفاعةِ، فإنها شفاعةٌ مُطاعَةٌ، فلا يرسمُ إلاَّ أطعنْا، ولا يُقدِّرُ إلاَّ قَطَعْنا، ولا يُمثِل إلاَّ احْتذَيْنا، ولا يهبُّ بنا إلى شيءٍ إلاّ لِنَّا. وأمَّا الوديعةُ، فإنَّها مُسلَّمةٌ إلى مالِكها مِنْ غَيْرِ تَنازعٍ، ومفوَّضةٌ إلى صاحبها بلا تمانُعٍ، ومَنِ الذي يحولُ بينَ الحقِّ ومُستَحقِّهِ، والمملوكِ

---

(1) المَغْرَس: بيت أبيها.
(2) المَعْرَس: بيت زواجها وعريسها.
(3) ورتْ: أرادَ زَكتْ وطابَتْ.
(4) الرتاج: القفل.
(5) رُقِيَ: قُرِئَ عليه السِّحْر. والرُّقْية: هي التعويذة، وما شبه السِّحْر.
(6) الغزالة: الشمس إذا ارتفع النهار.
(7) الذُبالة: الفتيلة التي تُسْرَج فتعطي ضوءاً خفيفاً.

ومُسْتَرقِّهِ، وستحلُّ فيكم محلَّ العِزِّ [٢٩/أ] في وطنِها، وتأوي إلى حمالٍ مِنْ مستقرِّها ومسكنِها، مُنْتَقِلةً عنْ عَطَنِ[١] الفضْلِ والكمالِ، إلى كنفِ السعادة والإقْبالِ، وصادرةً عن أنْبلِ ولادةٍ ونَسَبٍ، إلى أشْرَفِ رُتْبةٍ وسببٍ، مُشَفَّعاً منها بشفاعةِ هؤلاءِ الأحرارِ الكبارِ، أفرادِ العصرِ، وكِرامِ الدَّهْرِ، حيَّاهُمْ اللّهُ وأكْرَمَهم، وأبقاهُمْ للمجدِ أعلاماً، ولأسباب المفاخرِ نظاماً، ففي وَعْدِ اللّهِ، وعونِهِ، وبركتِهِ وحَوْطِهِ.

- فَصْلُ الأبيات والحكايات-

قال ابن الرومي[٢]: [من البسيط]

١- *لَوْ تخْطُبُ الشَّمْسَ لم ترغبْ ببَهْجَتِها   عَنْ غيرِ مَنْ خَطَبَ الأزواجَ أوْ نَكَحا(٣)*

وقال في إعْراس المُعْتضد بابنة طولون [من السريع]:

١- *زُفَّتْ إلى بدْرِ الدُّجى الشمسُ   فلاحَ سَعْدٌ، وخبا نَحْسُ*

٢- *سيِّدةٌ تُهْدَى إلى سيِّدٍ   لم يُمْسِ في سُؤْدُدِه لَبْسُ(٤)*

آخر: [من الطويل]

١- *إذا أُنْكِحَتْ بِنْتُ الزِّنا وَلَدَ الزِّنا   فلا شَرَّ إلّا دونَ ما يَلِدانِ*

[٢٩/ب] قال رَجُلٌ لأولاده: إني أحْسَنْتُ إليكم صغاراً وكباراً، وقبلَ أنْ تُولَدُوا، فقالُوا: كيفَ أحْسَنْتَ إلينا قَبْلَ الولادةِ؟ قالَ: اخترْتُ أمَّهاتِكُمْ مِنْ مواضِعَ لا تُعابون[٥].

ويُنْشَد في فَضْلِ الثَّيِّبِ: [من الكامل]

١- *إنَّ المطايا لا يَلَذُّ رُكُوبُها   حتَّى تُذَلَّلَ بالزِّمامِ وتُرْكَبا*

٢- *والدرُّ لَيْسَ بنافعٍ أصْحابَهُ   حتَّى يُعالَجَ بالسُّموطِ ويُثْقَبا*

---

(١) عَطَن الفَضْل: مكانه ومقرُّه.
(٢) ابن الرومي ترجمته مرَّتْ من قبلُ.
(٣) البيت في ديوانه ٥٠٧/٢.
(٤) البيتان في ديوان ابن الرومي ١١٨٥/٣.
(٥) الخبر في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٣٢٩/١. وقال: إن صاحب هذا القول هو أبو الأسود.

وسُئِل بعضُهم عن التزوّجِ، فقالَ: إنْ تزوَّجْتَ بِكْراً، فَلَكَ. وإنْ تزوّجْتَ ثَيِّباً فعليكَ ولَكَ. وإنْ تزوَّجْتَ ذاتَ ولدٍ، فعليكَ، لا لَكَ.

وقال قيسُ بنُ مسعودٍ لابنتِهِ عندَ تزويجِها وتجهيزِها، وقد دخلتْ عليهِ لتودِّعَهُ: «يا بُنيَّةُ، إذهبي، فلا أذكرتِ[1]، ولا أيْسَرْتِ[2]»، فقالت: يا أَبَتِ، أهنتَني صغيرةً، وغرَّبْتني كبيرةً، وزوَّدْتَني عندَ الفراقِ أَسْوَأَ الزَّادِ، فقال: لأنَّكِ واللهِ تأتيْنَ بالأعْداءِ، وتلدين البعداءَ، وتذهبين بالتِّلادِ، وتحليّن في غير أهلِ الولادِ.

وأَوْصَتْ امرأةٌ ابنتَها عندَ هدائِها، فقالتْ: زَوْجُكِ إقلعي [٣٠/أ] زُجَّ[3] رُمْحِهِ، فإنْ أقرَّ، فاكْسِري العظامَ بسيفهِ، فإنْ أقرَّ، فاقطعي اللَّحْمَ على تِرْسِهِ، فإنْ أقرَّ، فضعي الإكافَ[4] على ظهره، فإنما هو حِمارٌ[5].

وقال الشيخُ أحمدُ بن إسحق الضَّبْعي: لي حمَّامٌ أُسْلِفُ[6] على قاذورتِهِ الدنانيرَ، ولي بنْتٌ لا تُقْبَلُ منّي إلاَّ بألْفِ دينار.

ووقعَ بينَ أعرابيٍّ وامرأته شرٌّ، فقيلَ لهُ: عليكَ بمنْ يُصلِحُ بيْنَكُما، فقال: ذَهَبَ الذي كانَ يُصلِحُ بَيْننا، يعني موتَ مَتاعِهِ.

وجَمَعَ أعرابيٌّ بينَ ضرائرَ، فقيلَ لهُ: كيفَ تُعاشِرُهنَّ؟ فقالَ: كانَ لنا شَبابٌ يُرْضيهُنَّ، ثمَّ كانَ لنا مالٌ يُصبِّرهنَّ علَيْنا، ثمَّ بقيَ لنا خُلُقٌ حَسَنٌ، فنحنُ نُعاشِرُهنَّ بهِ.

وقيلَ لحكيمٍ: ما لَكَ لا تتزوَّجُ؟ فقالَ: «لأنّي وجدْتُ الصَّبْرَ عَنهنَّ أهْوَنُ من الصَّبْرِ عَلَيْهِنَّ».

وعُوتِبَ الكسائي في تَرْكِ التزوُّجِ، فقالَ: «مُكابَدةُ العُزلةِ أيْسَرُ منْ مكابَدةِ العِيالِ».

وقيلَ لمالِك بن دينارٍ، لِمَ لا تتزوَّجُ؟ فقالَ: «لَوْ أَمْكَنَني لطلَّقتُ نَفْسي»[7].

وقالَ محمَّدُ بنُ أبي زُرْعةَ: [من البسيط]

---

[1] أذكرتِ: ولدتِ ذكوراً.

[2] أيْسرتِ: صرتِ غنية وميسورة.

[3] زُجّ الرُّمْح: الحديدة في أسفله.

[4] الإكاف والأُكاف: ما يُشبه الرَّحْلَ والقَتَبَ والسَّرْج. ويُقال: إنَّ همزته بدل من واو، فهو وِكاف ووُكاف.

[5] الخبر في كتاب عيون الأخبار ٧٧/٢ (باب النساء).

[6] أسْلِف: أدفع سلفاً.

[7] الخبر في العقد الفريد ١٢٠/٦. وعزي هناك إلى أعرابي.

[٣٠/ب] ١- قالَتْ، وَمِنْ قولِهنَّ اللَّوْمُ والفَنَدُ حَتَّى متى أنتَ لا أَهْلٌ ولا وَلَدُ

٢- إنْ أُمْسِ مُنْفرِداً، فالسَّيْفُ مُنْفرِدٌ واللَّيْثُ منفردٌ، والبَدْرُ مُنْفرِدُ

وقيلَ لبعضِ الحُكَماءِ: ما تقولُ في التزُّوجِ؟ قال: «فَرَحُ شَهْرٍ، وغَمُّ دَهْرٍ، ووَزْنُ مَهْرٍ، ودَقُّ ظَهْرٍ».

وقالَ آخرُ: «إذا قِيلَ للرجلِ قدْ أُمْلِكَ، فأعلَمْ أنَّه قَدْ أُهْلِكَ».

وقال آخر: «المُمْلَكُ هو المملوكُ، إلاَّ أنَّ ثمنَهُ عليهِ».

وقالَ أحمدُ بن سَلَمةَ: بكَّرْتُ يوماً على عَبْدِ الرحمنِ بن بِشْرٍ في تزويجِ أُخْتِ امرأةِ مُسْلِم بن الحجَّاج، فرأيْتُهُ في المَسْجِدِ وَحْدَهُ جالِساً، فقال: ما بكَّرَ بك اليومَ؟ فقُلْتُ: عبدُ الواحِدِ القصَّار سألني أنْ أجيئكَ، يريدُ أن يُزَوِّجَ ابنتَهُ، فقال: ما حَضَرْتُ تَزْويجاً قطُّ، إلاَّ إذا كانَ في وَقْتِ ما يُقالُ للخاطِب، قَبِلْتَ هذا النِّكاحَ، ولها عليك من المَهْرِ كذا وكذا، فإذا قالَ نَعَمْ، قُلْتُ في نفسي: شقيْتَ شقاوةً لا تَسْعَدُ بعدَها أبداً.

ويُنْشَدُ في فَضْلِ التبتُّل: [من الكامل]

[٣١/أ] ١- ما لِلْمُعِيْلِ وللمعاليَ إنَّما يَسْعَى إليهنَّ الوحيدُ الفاردُ

٢- فالشَّمْسُ تجتابُ السماءَ وحيدةً وأبو بناتِ النَّعْشِ فيها راكِدُ

وقيلَ للحَسَنِ بن عليٍّ صلواتُ اللهِ عليهما وسلامُهُ: إنَّك نُكَحَةٌ طُلَقَةٌ.

فقال: لأنِّي أُحِبُّ الغِنى. وقد سمعْتُ اللهُ سبحانَه يقولُ:

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾[1] وقد سمعْتُ اللهَ سبحانَهُ يقولُ: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾[2]. فأنكحُ أبغي الغِنَى، وأطلِّقُ أبغي الغِنى.

وكانَ المأمونُ يقولُ: «النِّساء شَرٌّ كلُّهنَّ، ومن شَرِّ ما فيهنَّ قلَّةُ الاستغناءِ عنهنَّ».

---

(١) سورة النور: ٢٤/ ٣٢.

(٢) سورة النساء ٤/ ١٣٠.

وشاورَ رجلٌ صديقَهُ في التزوُّجِ، فقالَ: إفْعَلْ، وإيَّاك والجمالَ الفائقَ، فإنَّهُ مرعىً، فقال: ما نَهَيْتَني إلاَّ عمَّا لا أريدُ غيرَهُ، قالَ أما سَمِعْتَ قولَ الشاعر: [مِنَ البسيط]

١- وَلَنْ تصادِفَ مَرْعىً مُمْرِعاً أبَداً   إلاَّ وَجَدْتَ بِهِ آثارَ مأكولِ(١)

وقِيلَ لِعقيلِ بن عُلَّفة، وكان غَيوراً: إنَّكَ قَدْ عنَّسْتَ بناتِك، أفتأمَنُ [٣١/ب] عليهنَّ الفَسادَ؟ قالَ لي عليهنَّ حافظانِ: الجُوْعُ، والعُرْيُ؛ أُجيعُهنَّ فلا يَمْرَضْنَ وأُعَرِّيهنَّ فلا يَبْرَحْنَ.

وقالَ عَمْرو بنُ العاصِ[٢]: «الناكِحُ غارسٌ، فَلْينظُرْ امرؤ أيْنَ يَضَعُ غَرْسَهُ».

وَوَقعَ بينَ رجلٍ وامرأةٍ شَرٌّ، فتهاجرا، ثمَّ إنَّهُ وَثَبَ عليها، فَنَكَحَها، فقالتْ لهُ: أخْزاكَ اللهُ جِئتني بشفيعٍ لا أقْدِرُ على رَدِّهِ[٣].

وقالَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ، لِعُمرَ بنِ عبد العزيزِ[٤]: قَدْ زوَّجْتُكَ بِنْتي فاطِمةَ، قالَ: وصلَكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنينَ، كما وصلْتَني، فقد كَفيتَ المسألةَ، وأجْزَلْتَ العطيَّةَ. فأعْجبَهُ كلامُهُ. ثمَّ دخَلَ عليهِ مِنْ بعدُ، فقالَ: كيفَ نفقتُكَ على عيالِكَ؟ قالَ: الحَسَنَةُ بينَ السَّيِّئتَيْن، قالَ: وكيفَ ذاكَ؟ قالَ: كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[٥]

وقالَ سُفْيان الثَّوري[٦]: «إنِّي لأتعجَّبُ مِمَّنْ لَهُ عِيالٌ، وليسَ لَهُ شَيءٌ، كيفَ لا يخرجُ على النَّاس بالسَّيفِ».

---

(١) في المخطوط "إنْ تصادفُ". ولعلَّ الصواب ما أثْبَتْنا.

(٢) عمرو بن العاص: هو فاتح مصر، وأحد دُهاة العرب، ولاّه معاوية مصر سنة ٣٨هـ، فجمع من خراجها أموالاً طائلة، وتوفي بالقاهرة سنة ٤٣هـ.

(٣) الخبر في عيون الأخبار ٢/ ٩٧ (كتاب النساء)، وقد نسبت روايته إلى الأصمعي.

(٤) عبد الملك بن مروان: هو الخليفة الأموي الكبير، أول من صك الدنانير في الإسلام، ونقلت الدواوين إلى العربية في زمانه، اتصف بالحزم والهيبة، وتوفي بدمشق سنة ٨٦هـ.

(٥) سورة الفرقان: ٢٥/ ٦٧.

(٦) هو سفيان الثوري من بني ثور بن عبد مناة. سيّد أهل زمانه في الحديث، من كتبه الجامع الكبير. توفي سنة ١٦١هـ. وله ٦٤ سنة. انظر فيه الفهرست ٢٨١ (ط رضا تجدد). وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١.

وقال السَّريُّ[١]: «لو احتَجْتُ إلى مَؤْونةِ دَجاجةٍ [٣٢/أ] لم آمنْ على نفسي أنْ أُصْبِحَ شُرْطياً».

وقالَ أبو بَكرة لبنيهِ: لا يَمْنَعَكُمْ مِنَ العِيال خوفُ المؤونةِ، فإنَّ اللهَ تَعالى لم يخلقْ دابَّةً إلاَّ خَلَقَ لها رِزْقاً، فإنْ جعلَها لكُمْ جَعَلَ رِزْقَها عندَكُمْ. وهذا كما قال عُمَرُ بنُ الخطَّاب: «أكثِروا مِنَ العِيالِ، فإنكم لا تدرونَ بِمَنْ تُرْزَقُونَ».

وقِيْلَ: إنّ زرَّ بنَ حُبَيْشٍ تزوَّجَ جاريةً بعدَ عشرينَ سنةً ومئةِ سنةٍ، فافْتَضَّها. وإنَّ معاويةَ افتضَّ جاريةً بعدَ سبعينَ سنةً.

وقال المُغيرةُ بنُ شُعْبَةَ: ما خَدَعَني أَحَدٌ قَطُّ غَيْرُ غلامٍ منْ بلحارثَ بنِ كعْبٍ، فإنِّي ذكرْتُ امرأةً منهم، فقالَ: أيُّها الأميرُ لا خيرَ لكَ فيها، إنِّي رأَيْتُ رجلاً خلا بها فقبَّلَها، ثُمَّ بَلَغني أنَّه تَزوَّجها، فأرسلْتُ إليهِ، فقلْتُ: ألَمْ تُعْلِمْني أنَّكَ رأيْتَ رجُلاً يقبِّلُها؟ قالَ: بَلَى، رأيْتُ أباها يُقبِّلُها[٢].

- فَصْلٌ للصاحب في التهنئة بالنِّكاح -

قدْ عَظَّمَ اللهُ بهجتي، وضاعَفَ غِبْطَتي، بِما أتاحَهُ لَهُ مِنْ سُرُوْرٍ مُمهَّدٍ، بجَمْعٍ [٣٢/ب] شَمْلٍ مُبَدَّد، فلا زالتِ النِّعَمُ بهِ محفوفةً، والمَسارُّ عليهِ مَوْقوفةً، يتَّصلُ واردُها بصادرِها، وماضِيها بغابرِها. وعظَّمَ اللهُ مِن بَرَكَةِ هذا الأمْرِ ويُمْنهِ، ما تَتابَعَ بهِ مَوادُّ طَوْلِهِ ومَنِّهِ، وجعلَهُ أحْمدَ عَقْدٍ، وأدلَّهُ على نُجْحٍ وَسعَةٍ.

فُصُولٌ في التَّهْنِئةِ بالْوَلَدِ

الأصْلُ في هذا أَنْ تَعْلَمَ أنَّ الولَدَ هِبَةٌ مِنَ اللهِ تعالى على أيِّ صفةٍ كان، وأينما ذكر اللهُ تعالى الولد في القرآن، قَرنَهُ بلفْظِ الهِبَةِ كقولهِ تَعالى:

---

(١) هو السريّ الرفّاء بن أحمد الكندي، أبو الحسن شاعر وناثر من أهل الموصل، كان يرفو في صباه ويطرّز، فسمّي الرفاء. اتصل بسيف الدولة بحلب ومدحه. وعمل بالوراقة، بعد أن كاد له الخالديان عند سيف الدولة فأبعده. توفي السريُّ الرفّاء سنة ٣٦٦هـ. وله ديوان شعر مطبوع، وله المحب والمحبوب والمشموم والمشروب. انظر يتيمة الدهر ٢: ١٣٧ فما بعدها. ومقدمة المحب والمحبوب والمشموم والمشروب (ط دمشق).

(٢) الخبر في العقد الفريد ١٠٢/٦.

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾[3]. والهِبَةُ مُسْتَقْبَلَةٌ مَقبولَةٌ بالمنِّ، سيَّما إذا كانَتْ مِنَ اللهِ تعالى ذكره.

صَعِدَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ المِنْبَرَ ذاتَ يومٍ، فقال في خُطْبَتِهِ: «بِئْسَ الشَّيْءُ الولدُ، إنْ عاش كَدَّ، وإنْ مات هَدَّ». فقام إليه الحَسَنُ [٣٣/أ] البصريُّ، فقال: "تَعْلُو منابرَ المُسْلِمِينَ، وتكذِّبُ رسولَ ربِّ العالمِيْن؟! سَمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «كَنْزُ المؤْمِنِ وَلَدُهُ، إنْ ماتَ شَفَعَ لَهُ، وإنْ عاشَ دَعَا لَهُ».

وكان عليّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلامُ بالحرْبِيَّةِ -محلَّة بالبَصْرَةِ- فهنَّأ رَجُلٌ رجلاً بولادةِ غُلامٍ، وقال: «يُهْنِكَ الفارِسُ»، فقالَ عليٌّ عليه السَّلامُ: «وما يُهْنِكَ الفارِسُ مِنَ الكِلام؟». قال: وكيفَ نَقُولُ يا أميرَ المؤمنين؟ قالَ: «قُلْ: شكرْتَ الواهِبَ، وبُورِكَ لكَ في الموهوبِ، بَلَغَ أشُدَّهُ، ورُزِقْتَ برَّهُ، لا جَعَلَهُ اللهُ قَدَرِيّاً، ولا جَبْرِيّاً».

وقال النبيُّ ﷺ: «ما مِنْ أهل بيتٍ يُوْلَدُ فيهم وَلَدٌ ذكَرٌ، إلاَّ وأصْبَحَ فيهم عِزٌّ لم يكنْ».

وعن عليٍّ عليهِ السَّلامُ أنَّه قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ: ما مِنْ أهلِ بَيْتٍ يُوْلَد لهمْ غلامٌ إلاَّ جعلَ اللهُ لهم عِزّاً».

ونَظَرَ ﷺ إلى بَعْضِ أوْلادِهِ، فقالَ: «إنَّكُمُ لَتُبخِّلُوْنَ، [٣٣/ب] وإنَّكُمْ لتُجبِّنُوْنَ. وإنَّكم لمِنْ ريحانِ الله»[4].

---

[1] سورة الأنبياء ٢١/٩٠.

[2] سورة الأنعام ٦/٨٤.

[3] سورة الشورى ٤٢/٤٩.

[4] الحديث في مسند الإمام أحمد ٦/٤٠٩ و٤٥٨ طبعة المكتب الإسلامي، وهو موجَّه للحسين والحسن. وريحان الله: رزقه وعطاه. وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٣/٥٠٤.

وقالَ عليه السلامُ: «الولَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَكْسَلَةٌ. وإنّه لقُرَّة العينِ، وثمرَةُ الفؤادِ»[1] وقال: «لِكُلِّ شيءٍ ثمرَةٌ. وثمرةُ القلْبِ الولدُ». وقالَ: «رِيْحُ الوَلَدِ منْ رِيْحِ الجنَّةِ، فإنَّ ولَدَ الرَّجُلِ من أطْيَبِ كَسْبِهِ»[2].

- فَصْلٌ-

إنَّ زكريَّا عليهِ السَّلامُ سأل اللّهَ عزَّ وجلَّ شيئَيْنِ: الوَلَدَ، وأنْ يَجْعَلَهُ رضيّاً، فقال:﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝ ﴾[3] فاستجابَ اللّهُ لهُ، ووهبَ لهُ يحيى، وجَعَلَهُ رضيّاً، فقد رُوِي أنه كانَ لا يتمتَّعُ بعيشِهِ خوفاً من اللّهِ، فقالَ زكريَّا: "يا ربِّ ما بالُ ابني هذا لا يَسْكُنُ ليلاً ونهاراً؟ فقال: إنَّكَ سألْتَني ذلك، حيثُ قُلْتَ: "واجْعَلْهُ رَبِّ رضيًّا". والرَّضِيُّ مَنْ كان بهذهِ الصفةِ، فوهبَ اللّهُ تعالى الابْنَ بعدَ السُّؤَالِ، ووهبَ لك الابنَ بغيرِ سؤالٍ، فهذه رتبةٌ جليلةٌ. وقد بقيَ شَيءٌ أعطاهُ اللّهُ زكريّا عليهِ السَّلامُ بالسُّؤالِ [٣٤/أ] وهو أنَّهُ جَعَلَ ابنَهُ رضيًّا. فَسَلْ أنْتَ ربَّكَ أيضاً، حتَّى يجعَلَ ابنَكَ رضيّاً، فإنَّ دُعاءَ الوالدِ للوَلَدِ كالأخْذِ باليَدِ. كذا قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «وإذا أعطاكَ اللّهُ الوَلَدَ من غيرِ سؤالٍ، فأَوْلَى أنْ يَسْتَجيبَ لكَ فيهِ بَعْدَ السُّؤَالِ، ومع هذا فَلَكَ البُشْرى بأنْ جعلَ اللّهُ لكَ في حياتِكَ زِيْنَةً، وبَعْدَ مماتِكَ خليفةً».

قال الله عزَّ وجلَّ:﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ ﴾[4].

وقال رسول اللّه ﷺ: «كلُّ عمَلِ ابنِ آدمَ ينقطعُ عنه بموتِهِ، إلاَّ ثلاثةٌ: عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بهِ مِنْ بعدِهِ، وصدقةٌ جاريةٌ، ووَلَدٌ صالِحٌ يدعو لـه»[5]. وقدْ تزيَّنْتَ بابنِكَ حيّاً، فهو زينةٌ لك يُزيِّنُكَ -إنْ شاء اللّهُ- بفضلهِ وكمالِهِ، وحُسْنِ سَمْتِهِ وخِلالِهِ، ويَخلفُكَ بَعْدَ الوفاةِ في عبادِ اللّهِ تعالى، ويمدُّكَ بصالحِ دعواتِهِ وبِرِّهِ وصدَقاته، فبارَكَ اللّهُ لَكَ فيما خوَّلَكَ، وجعلَك شاكِراً [٣٤/ب] لما رَزَقَكَ، وأحْيا ذِكْرَ أبيكَ بكَ[6].

---

(١) الحديث في محاضرات الأدباء ٣٢٠/١.

(٢) الحديث في محاضرات الأدباء ٣٢٠/١.

(٣) سورة مريم ٥/١٩- ٦

(٤) سورة الكهف ٤٦/١٨. وتتمة الآية "والباقياتُ الصالحاتُ خَيْرٌ عندَ ربِّك ثواباً وخيْرٌ أملاً".

(٥) الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٤٣٧/٦ وعنها في إتحاف السادة المتقين ٢٨٨/٥.

(٦) أضاف الناسخ إلى النص هامشاً قال فيه: "ولَوْ لَمْ يذكر هذا النوع من الدُّعاء في التهنئة لكان خيراً، فإن تيتيم الولد ليس بمطلوب". وكذلك شرح كلمة (خَوَّلك) بقوله: أيْ ملَّكك.

- الألْفاظُ في التَّهْنئةِ بالمَوْلُودِ-

هنَّأكَ اللهُ قُوَّةَ الظَّهْرِ، واشْتِدادَ الأزْرِ، بالفارسِ المُكْثِرِ لِسوادِ الفَضْلِ، المُوفِّرِ لجمالِ الأهْلِ، المُسْتَوي في شَرَفَ الأرُومةِ، بكرم الأبُوَّةِ والأُمومةِ، فأبْقاهُ اللهُ حتى تراهُ، كما رأيْنا جَدَّهُ وأباهُ.

عرفْتُ آنفاً ما كثَّر اللهُ بهِ عَدَدَهُ، وشدَّ عَضُدَهُ، بطُلُوعِ الفارسِ الذي أضاءَ له أُفْقُ النَّجابةِ، وطالَ باعُ السَّعادةِ. بُشِّرْتَ بالنُّورِ السَّاطِعِ في أُفُقِ النجابةِ، والبَدْرِ الطَّالعِ في فلكِ السعادةِ، فعظُمَتِ النُّعْمى لديَّ، وحلَّتِ البشرى غايةَ المُنَى عليَّ. فمرحباً بالفارسِ المُحقِّق للظنونِ، والمُقِرِّ للعيونِ، المُقْبِلِ بالطالِعِ السَّعيدِ، والخيرِ العتيدِ، أنْجَبِ الأبْناءِ، لأكْرمِ الآباءِ، واللهُ يجعلُه مُقَدَّمَ إخْوَةٍ في نَسَقٍ، كالفريدِ المتَّسِقِ، فلقدْ طلَعَ منه في أفقِ الحريَّةِ أسْعَدُ نَجْمٍ، ونَجمَ في حدائقِ المروءةِ أزْكى نَبْتٍ[٣٥/أ] يا بُشْراي بطلوعِ الفارسِ الميمونِ جَدُّهُ، المَضْمُونِ سَعْدُهُ. عليهِ خاتمُ الفَضْلِ وطابعُهُ، ولهُ سَهْمُ الخيرِ وطالِعُهُ. قد بشَّرتْ قوابِلُهُ بالإقْبالِ وعُلُوِّ المجْدِ، واقترنَ ورودُهُ بالطائِرِ السَّعْدِ.

- الألْفاظُ في التَّهْنئةِ للمَمْلُوكِ بالوَلَدِ-

وَرَدَتِ البُشْرَى بالفارسِ الذي أوْسَعَ رِباعَ المجْدِ تأهُّلاً، وأطْرافَ المُلْكِ تحصُّناً، ومناكِبَ الشَّرَفِ ارتفاعاً، وأعضادَ العزِّ اشتِداداً.

أتَتْنِي بشرى البشائرِ، والنُّعْمى المحروسةِ عن النظائرِ، في سُلالةِ العِزِّ وسليلِهِ، وابْنِ منبرِ المُلْكِ وسريرِهِ، القادمِ بغُرَّةِ المكارمِ، الناهِضِ إلى ذَرْوةِ العلياءِ، بآباءٍ أمراءَ، وملوكٍ عُظَماءَ. ومَرْحباً بالفارسِ المأمولِ لِشَدِّ الظهورِ، المَرْجوِّ لِسَدِّ الثغورِ.

الحمدُ للهِ الذي شَدَّ أزْرَ الدولةِ، ونَظَمَ قِلادةَ الإمْرَةِ، وعَمَرَ سريرةَ العِزَّةِ، ووطَّدَ منابِرَ المملكةِ بالقَمَرِ السَّعْدِ، وشبْلِ الأسَدِ الورْدِ.

- الدُّعاء لِلْمَوْلُودِ-

[٣٥/ب] أراني اللهُ هذا الهلالَ بدراً، قد علا الأقْرانَ قدْراً، وبلَّغَهُ اللهُ فيه مُناهُ، حتى تراهُ وأخاهُ، مُنيفَيْنِ على ذروةِ المجدِ، آخذَيْن بأوْفرِ الحظوظِ منْ عُلى المجْدِ. واللهُ يُمتِّعُ به، ويُرْزِقُ الخيرَ منهُ، ويحقِّقُ الأمَلَ فيهِ. عرَّفَهُ اللهُ مِنْ سعادةِ مَقْدَمِهِ ما يجمعُ الأعْداءَ تحتَ قَدَمِهِ. متَّعَكَ اللهُ بالولدِ، وجعله من أقْوى العُدَدِ، وأوْصلهُ بأخْوةٍ متوافري العددِ، شادّي الأزرِ والعضدِ. هنَّأكَ اللهُ مولِدَهُ، وقرنَ باليُمْنِ مَوْرِدَهُ.

كتبْتُ، وأعطافُ المُلْكِ مُهْتَزَّةٌ مُرتاحةٌ، وفي كُلِّ نَفْسٍ مَسَرَّةٌ وراحةٌ. شدَّ اللهُ أزْرَ مَولانا الملكِ بالطالعِ عليه ولداً ذكراً، المُضاف إليه سنداً وعُنْصراً، يَلُوحُ لألاءُ المجد على أساريرِهِ، ويتطاولُ سُمُوُّ اسمِهِ بين مِنْبَرِ العِزِّ وسريرِهِ. ذاك الأميرُ أبو فلان الصاعدُ بما قَسَمَ اللهُ لهُ مِنَ الحظِّ فوقَ سِماكِ السُّعُوْدِ، [٣٦/أ] المتناول ذوائبَ النُّجومِ عنْ قعودِ.

والحمْدُ للهِ الذي وصلَ فَخْرَ الدولةِ بأُنْسها(١)، وشفعَ فلكَ الأمّةِ بسببها. إن الحمدَ منْ عزائمِ الأُمورِ، وأوّلُ ما فُرِضَ على العارفِ الشكورِ، وأمْتَعَ اللهُ مولانا بأكرمِ موهوبٍ، بُشِّرَ بأكبرِ مَطْلوبٍ، حتَّى يتكفَّلَ بإسْعادِ أوليائهما القمران، وإشْقاءِ أعدائهما مناحِسُ الدَّبران.

وَلَدٌ نجيبٌ طلَعَ على أبٍ حميدٍ، فالتفَّ غُصْنٌ على شجَرِهِ، واحتفَّ هلالٌ بقَمرِهِ، فأسْعَدكَ اللهُ بهِ ثمرةَ الفؤادِ، وخِلْبَ كبِدٍ، بل أكبادٍ.

وكتَبَ يذكرُ ولداً: رزقُ كتابي، ونِعَمُ اللهِ تأتينا أمْداداً، وتَسْتَصْحِبُ وفوراً وازدياداً، ومِنْ أجَدِّها وروداً، وأحْضرِها سُعُوداً ما استَقْبَلْناه.

فالحَمْدُ للهِ أَحْسَنُ فواتِحِ الشاكرين، والصلاةُ على محمَّدٍ وآلهِ الطاهرين، فَقَدْ رَزقَنا، عزَّ اسمُهُ، ولداً ذكراً سَوِيّاً جعلهُ اللهُ سَرِيّاً، وأعْطانا بهِ عطاءً سنِيّاً، وطلعَ بأيْمنِ الطَّوالعِ، وحلَّتْ به البُشرى [٣٦/ب] أكرمَ المواقِعِ، وللعينِ بوروده القُرَّةُ الكُبْرى، وللنَّفْسِ بمولِدِه القوّةُ العُظْمى. واللهَ نَسْألُ أن يُوْزِعَنا حقَّ ما أَوْلى، ويوفِّقَنا لمقابلتِهِ بالتي هي أوْلى، فإنَّ منائِحَهُ، تعالى جدُّهُ، وإنْ كانتْ لدينا، سَهْلَةَ المواردِ، عَذْبةَ المشارِعِ، فإنَّ مَنْحَهُ الابْنَ، الوزَرُ والعَضُدُ والنَّصْرُ، وهو الصَّارمُ الذَّكَرُ، والطالِعُ بأوْضحِ العُذَرِ المختصَّةِ بسُمُوِّ المدارج، وارتفاعِ المطالعِ والمسارِجِ. حَبانا بهِ، فرفعَ رغبةً صادِقةً، ومسألةً آنفةً، تتبعُ أخرى سابقةً في إمتاعِنا بهِ ما عَرَفَ الإمْتاعَ، وآملُ منْ عندِهِ الحفظَ والدِّفاعَ.

---

(١) كذا في المخطوط. ولعلّها: "بأنْسبها".

وكتَبَ إليه بعضُ العلويّة بأنَّه رُزِقَ مولوداً يسألُه أنْ يُسمِّيَهُ ويُكَنِّيَهُ، فوقَّع في رُقْعَتِهِ:

أسعدَك اللهُ بالفارِسِ الجديدِ، والطالعِ السَّعيدِ، فقد، واللهِ، ملأَ العيونَ قُرَّةً، والنُّفوسَ مَسرَّةً مُستَقِرَّةً. فالاسْمُ: عليٌّ ليُعْليَ اللهُ ذكْرَه، والكنيةُ أبو الحسنِ [٣٧/أ] ليُحسِّنَ اللهُ أمْرَهُ، فإنّي أرْجُو لَهُ فَضْلَ جَدِّهِ، وسعادةَ جِدِّهِ. وقدْ بعثْتُ لِتَعْويذِهِ ديناراً في مئةِ مثقالٍ، قَصَدْتُ فيهِ مَقْصَدَ الفالِ، رجاءَ أنْ يعيشَ مئةَ عامٍ، ويخلُصَ خلاصَ الذّهَبِ من نُوَبِ الأيَّامِ[1].

- فَصْلٌ لأبي بَكْرٍ الخَوارِزْمي[2]-

وَرَدت البِشارةُ التي أضحكتْ سِنَّ الدَّهْرِ، وانْجَلتْ مِنْ وَجْهِ الزَهْرِ، وأَقامَتْ لي ولجميعِ الأوْلياءِ معي وصائفَ[3] منَ الحمْدِ والشُّكْرِ في الفارسِ، طَلَعَ عليهِ طلوعَ البدْرِ، بلْ طُلُوْعَ الفَجْرِ، وأستغفرُ اللهَ، فإنَّ البدْرَ أمَدُ ليلةٍ، وسُلْطانَ الفجرِ سلطانُ ساعةٍ، وهذا بدرٌ يطلعُ بالنهارِ، كما يطلعُ بالليلِ، ويَزْكُو في السَّماءِ، كما يزكو في الأرْضِ. والحمدُ للهِ الذي شدَّ أزْرَ الدولةِ، ونَظَمَ قِلادةَ الإمْرةِ، وقَطَعَ أطماعَ الحاسدين عن السَّريرِ المنيعِ جانبُهُ، والدَّسْتِ المهيبِ رايَتُهُ، ثمَّ الحمدُ للهِ إذْ لَمْ يفردِ الشمسَ بضيائِها، حتَّى حَفِظَها بالكوكبِ [ب/٣٧] بلْ بالقَمَرِ السَّعْدِ. ولم يُؤْنِسِ اللَّيْثَ في غيْلِهِ، حتَّى آنَسَ بالشِّبْلِ، بل بالأَسَدِ الوَرْدِ. والدولةُ بلا وَلَدٍ صالحٍ، أبْتَرُ الذَّنَبِ، والمُلْكُ بلا وارثٍ، مُنْقطِعُ النظامِ والسَّبَبِ. أسأَلُ الله تعالى أن يَجْعلَ هذه النِّعْمَةَ فاتحةَ نِعَمٍ غُرٍّ، ومُقدِّمةَ مواهبَ زُهْرٍ.

وقد قال الأولُ: [من الطويل]:

---

[1] هذا الفصل للصاحب بن عباد في يتيمة الدهر ٣/٢٣١- ٢٣٢.

[2] أبو بكر الخوارزمي: هو محمد بن العباس الخوارزمي. كاتب وشاعر وعالم باللغة والأنساب. وصفه الثعالبي بأنه "باقعة الدهر، وبحر الأدب، وعلم النثر والنظم، وعالم الفضل والظرف..." وهو صاحب كتاب "رسائل الخوارزمي". وكان بينه وبين بديع الزمان الهمذاني محاورات وعجائب. وتوفي سنة ٣٨٣هـ. انظر فيه يتيمة الدهر ٤/٢٢٣، ومعجم الأدباء ٢/١٦٦، والأعلام ٦/ ١٨٣.

[3] في المخطوط "وضائف". وهي تصحيف "وصائف".

وأنا أقولُ إذا وُلِدَ المولودُ منْ أهْلِ هذا البيتِ، تبسَّمَتِ المكارمُ والمعالي، وتباشرتِ الخُطَبُ والقوافي، وأضاءَتْ نجومُ الجودِ، وأُعِدَّتْ مطايا الوفودِ، وخَفَقَتْ[١] أعلامُ السياسةِ، ورَفَّتْ رياضُ الرِّئاسةِ، وتَطاول سريرُ المُلْكِ شوقاً إليهِ، واهتزَّتْ أعوادُ المنابرِ حرْصاً عليهِ، وقُرِئَ على جبينِهِ كتابُ النَّجابةِ، وظَهَرَ في مَخايلِهِ رائدُ السيادةِ، وتطلَّعَتْ بِدَرُ[٢] الدنانيرِ والدراهمِ متى يهبُها، واجْتَلَتْ[٣] ظهور الجياد متى يركبها.

[٣٨/أ] وإنّما ألْقابُ صبْيانِ النَّاسِ طِفْلٌ وصغيرٌ، وألقابُ صبيانِ هذا البيتِ مَلِكٌ وأمير. أبْقاهُمُ اللهُ حتَّى يهرمَ كبيرُهُمْ، ويكبرُ صغيرُهُمْ.

- فَصْلٌ لأبي الفَضْلِ المِيْكالي-

الحمدُ للهِ على النجلِ الموهوبِ، ومَرْحباً بِقُرَّةِ العيونِ، وريحانةِ القلوبِ، ولَدٍ سعيدٍ يُهَنَّأُ به أكْرَمُ والدٍ، ومَجْدٍ طريفٍ[٤] أضيفَ إلى شَرَفٍ تالِدٍ[٥]، وأبْقاه اللهُ لك بَسْطَةَ عَضُدٍ، تتّصلُ بذراعِك، وخِلْبَ كَبِدٍ[٦] يطولُ به مدَّةُ اقتناعِكَ. عمَّركُ اللهُ حتَّى ترى هذا الهلالَ قَمَراً مُنيراً، وبدراً مُسْتديراً، يكثُرُ به عَدَدُ أحفادِك، ويعظمُ به كَمَدُ حُسَّادك.

- فَصْلٌ في التَّهْنِئَةِ بمَوْلُوْدٍ عَلَويٍّ-

غُصْنُ رسُوْلِ اللهِ، شَجَرَةٌ حقيقٌ أنْ تجلُوَ ثَمَرَهُ، وفَرْعٌ بينَ الرسالةِ والإمامةِ مُنْتَماهُ، خليقٌ أنْ يُحْمَدَ بَدْؤه وعُقْباهُ. مَرْحباً بالطالِعِ بأيْمنِ طالعٍ، ومِنْ أشْرفِ المناصبِ والمنابعِ، كَنْزُ الإمامةِ [٣٨/ب] والخِلافةِ والزَّعامة. أبْقاهُ اللهُ حتَّى تتهيَّأَ فيه سوابغُ المِنَنِ، ويُعَدَّ حَسَنَةً في بني الحَسَنِ.

---

[١] في المخطوط: "وحُقِّقَتْ". ولعلَّ الصواب ما أثبتْناه لتناسُبها مع كلمتي " أعلام" و " رفت " بعدها.

[٢] البِدرُ: جمع بدْرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف من الدراهم.

[٣] اجْتلت: نظرت.

[٤] الطريف: الجديد المُحْدَث.

[٥] التالِد: القديم الموروث.

[٦] خِلْبَ الكبد: هو حجاب بين القلب والكبد. وقيل: هو شيء أبيض رقيق لازق بالكبد.

- فَصلٌ في التَّهْنِئَةِ بالْبناتِ -

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ مِنْ يُمْنِ المرأةِ تبكيرَها بالأُنْثى قبلَ الذكَرِ» ذلك بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾[2].

ألا تَرى أنَّه بدأ بِذْكرِ الإناثِ قبلَ الذكورِ؟ وقالَ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ: «إنَّ أولادَكم هِبَةُ اللهِ لكمْ يَهَبُ لمنْ يَشاءُ إناثاً، ويَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذكورَ، وأموالهم لكم إذا احتجتُم إليها» وقالَ عليهِ السَّلامُ: «مَنْ وُلِدَ له ابنةٌ، فَرَضِيَ وسلَّمَ، بَعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ ملَكاً له جناحان أبيضان مُكَلَّلان بالدُّرِّ، فيقعُ على رأسِهِ، ثم يقول: بسم اللهِ، نِعْمَ القادِرُ اللهُ، نِعْمَ الرازقُ اللهُ، ضعيفةٌ مِسْكينةٌ، صاحبُها مُعانٌ [٣٩/أ] عليها إلى يومِ القيامةِ».

واعلمْ أنَّ اللهَ ذَمَّ المُشْركينَ، وعابَ صنيعَهُمْ في كراهةِ البناتِ بقولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾[3]. أخْبرَ أنَّهمْ كانوا يحزنونَ ويغتمُّونَ للبناتِ، حتَّى إنَّ أحَدَهم إذا أُخْبِرَ بمولودٍ أنثى اسْوَدَّ وجْهُهُ غمّاً لأجْلها، وامتلأ حُزْناً. وهذا من أمْرِ الجاهليّةِ، وقُبْحِ فعلِهم، وذميمِ شأنهم. وإنَّ المُسْلمَ فإنه يرتاحُ لعطاءِ اللهِ، ويُسَرُّ بهبةِ اللهِ، ويعلَمُ أنَّ الخيرَ والخيْرةَ فيما قسَمَ اللهُ لهُ، وأنَّ الرُّشْدَ فيما اختارَ اللهُ. وقد يكونُ الابنُ عاقّاً شقيّاً، سُخْنَةً لعَيْنِ الوالِدِ، كقابيلَ الذي قتلَ أخاه، فأظهرَ سِمةَ الشقاوةِ على نَفْسِهِ، وعقَّ والديْهِ بقَتْلِ هابيلَ. وقد تكونُ البنْتُ رشيدةً صالحةً، كمريمَ[4] التي تقبَّلها ربُّها بقبولٍ حَسَنٍ، وأنْبتَها نباتاً حَسَناً، وكفاطمةَ[5] سيِّدةِ نساءِ العالمين صلَّى اللهُ عليها، فإنَّها صارتْ سَبَباً لاتِّصالِ نَسَبِ أبيها صلَّى [٣٩/ب] اللهُ عليهِ إلى يومِ القيامةِ.

---

(١) سورة الشورى ٤٢/٤٩.

(٢) سورة الشورى ٤٢/٤٩.

(٣) سورة النحل ١٦/٥٨.

(٤) مريم: أراد مريم العذراء.

(٥) فاطمة: أراد فاطمة بنت الرسول ﷺ.

- كلماتٌ في التَّهْنِئةِ بالبِنْتِ-

هنَّأَ اللهُ سيِّدي ورودَ الكريمةِ عَلَيْهِ، وكثَّر بها النَّسْلَ الطيِّب لَدَيْهِ، وجعلها مُؤْذِنةً بإخوةٍ بَرَرةٍ يَعْمُرون أنديةَ الفَضْلِ، ويَعْمَرونَ بقيَّةَ الدَّهْر.

اتَّصلَ بي خَبَرُ المولودةِ كرَّمَ اللهُ غرَّتَها، وما كانَ منْ تغيُّركَ عندَ اتضاحِ الخبرِ، وإنكارِكَ ما اختارَهُ اللهُ لكَ في سابقِ القَدَرِ، وقدْ علمْتَ أنَّهنَّ أقربُ إلى القلوبِ، وأنَّ اللهَ بدأ بهنَّ في الترتيبِ، فقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1]. وما سمَّاه اللهُ هبةً، فهو بالشُّكرِ أولى، وبحُسْنِ التَّقبُّلِ أحْرى.

- فصل للصَّاحِب[2]-

أهلاً وسهْلاً بعقيلةِ النِّساءِ، وأُمِّ الأبناءِ، والمُبَشِّرةِ بإخْوةٍ يتناسقون، وأبناءٍ يتلاحقونَ.

شعْرٌ: [من الوافر]

١- *فَلَوْ كانَ النِّساءُ كَمَنْ وَجَدْنا ... لَفُضِّلَتِ النِّساءُ على الرجالِ*

٢- *وما التأْنيثُ لاسْمِ الشمسِ عيْبٌ ... ولا التَّذكيرُ فَخْرٌ للهِلالِ(٣)*

[٤٠/أ] فادَّرِعْ، يا سيِّدي اغتباطاً، واستأنفْ نشاطاً، فالدُّنْيا مُؤَنَّثةٌ، والرِّجالُ الذكورُ يَعْبُدونها. والأرْضُ مؤنَّثةٌ، ومنها خُلِقت البريَّةُ، وفيها كثُرَتِ النديَّةُ[4]. والسَّماءُ مؤنَّثةٌ، وقدْ زُيِّنَتْ بالكواكبِ، وحُلِّيَتْ بالنجومِ الثواقبِ. والنفسُ مؤنثةٌ، وهي قوامُ الأبْدانِ، وملاكُ الحيوانِ. والحياة مؤنَّثةٌ، ولولاها لم تتصرَّفِ الأجسامُ، ولا عُرِفَ الأنامُ. والجنَّة مؤنَّثةٌ، وبها وُعِدَ المُتَّقونَ، وفيها يتنعَّمُ المُرْسَلون. فَهنيئًا[5] ما أُوليتَ، وأوْعزَكَ اللهُ شُكْرَ ما أُعْطيْتَ، وأطالَ بقاءَكَ ما عُرِفَ النَّسْلُ والولدُ، وما بقي الأبَدُ.

شعر: [من المنسرح]

---

(١) سورة الشورى: ٤٢/٤٩.

(٢) هذا الفصل للصاحب بن عبَّاد، ورد في يتيمة الدهر ٣/٢٩٠.

(٣) البيتان لأبي الطيب المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة الحمداني وهما في ديوانه (بشرح العكبري) ٣/١٩. والرواية: "كمنْ فقدنا".

(٤) النديَّة: الأمطار.

(٥) في المخطوط "فهنا هنيئا" وأثبتنا ما في اليتيمة.

١- إيَّاكَ أنْ تَسْخَطَ الإناثَ فكَمْ أُنثى غدَتْ في فَخارِها عَلَما
٢- كالشَّمْسِ والأرْضِ والسَّماءِ وكالْـ ـجَنَّةِ والنَّارِ فاشْكُرِ النِّعَما
٣- هذا هو الدرُّ فادَّخِرْهُ لها عِقْداً، وإنْ كانَ سِلْكُهُ قَلَما

- فَصْلُ الأبياتِ والْحكايات-

ليس في التَّهْنئة [٤٠/ب] بالمولودِ أحْسَنُ من قولِ أبي العلاء بن حَسُّول[1]: [من الكامل]

١- إفترَّ رَبْعُكَ عَنْ هِلالٍ بادي فأضاءَ مَطْلَعُهُ وفاحَ النَّادي
٢- وأتاكَ تِرْبُ عُلىً وخِدْنُ مكارمٍ وسُرورُ أحْبابٍ وغَيْظُ أعادي
٣- مُتقبِّلاً لكَ مَذْهباً في الفَضْلِ وَالْـ إفْضالِ والإسْعافِ والإسْعادِ
٤- قد أفْصَحَتْ أخلاقُهُ عَنْ هِمَّةٍ بَعُدَتْ على قُرْبٍ مِنَ الميلادِ
٥- فَبَقِيتَ مَنْصوراً بهِ مُسْتَسْعِداً بمكانِهِ ناراً على الحُسَّادِ
٦- حتَّى تبدَّلَ مَهْدُهُ بمُسَرَّجٍ طِرْفٍ وطَرْفُ سخائِهِ بسِجادِ
٧- فيشدُّ لاحِقَ فَضْلِهِ بسَوابقٍ قَدُمتْ، وطارِفَ مَجْدِهِ بتِلادِ

آخر[2]: [من البسيط]

١- بُشْرَى فقَدْ أنجزَ الإقْبالُ وما وَعَدا وكوكبُ المجْدِ في أُفْقِ العُلَى صَعِدا
٢- وقدْ تفرَّعَ في أرْضِ الإمامةِ عَنْ دَوْحِ الرِّسالةِ غُصْنٌ مُونِقٌ رَشَدا
٣- للهِ أيَّةُ شَمْسٍ للعُلَى وَلَدَتْ نجماً، وغابةِ عِزٍّ أطْلَعَتْ أسَدا

---

(١) هو محمد بن علي بن حسُّول، أبو العلاء، كاتب وشاعر، وصاحب ديوانَ الرسائل في الري، وهو همذاني الأصل. من كتبه: تفضيل الأتراك على سائر الأجناد. وكان من أصحاب الصاحب بن عباد وأحمد بن فارس. وتوفي أبو العلاء نحو عام ٤٥٠هـ. انظر فيه المحمدون من الشعراء ٣٦٦، والوافي بالوافيات ٤/١٣٢، والأعلام ٦/ ٢٧٦.

(٢) هو أبو محمد الخازن، عبد الله بن أحمد، من أصفهان، ومن أصحاب الصاحب بن عبّاد. وقيم خزانه كتبه. هو ناثر وشاعر. انظر فيه يتيمة الدهر ٣/٣٧٩ فما بعدها.

٤- *لم تتَّخِـذْ ولَـدَاً إلاّ مبالغـةً   في صِدْقِ تَوْحيدِ مَنْ لمْ يتَّخذْ وَلَدا*[1]

[٤١/أ] وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا نظرَ الوالدُ إلى الولدِ، فسُرَّ به كانَ كعتْقِ رقبةٍ»[2]. وكانَ رسولُ اللهِ يخطبُ، فجاءَ الحسنُ والحسينُ وعليهما قميصان أحْمران يعثران، فنزلَ النبيُّ ﷺ، فأخذهما، فوضعَهما في حِجْرِهِ على المنبر، وقال:

«صَدَقَ اللهُ، إنَّما أمْوالكُمْ وأوْلادُكُمْ فِتنةٌ، رأيتُ هذين الصبيَّيْنِ، فلم أصبرْ عنهما»[3]. ثم أخذَ في خطبتِهِ.

وقيلَ لجعفر بن محمد: ما بَلَغَ منِ حُبِّكَ لابنِكَ؟ قال: «ما يَسُرُّني أن يكون لي ولدٌ غيرُه، فيشركهُ في حُبِّي لهُ».

وتأذَّى منصورُ الفقيهُ يوماً بولدِه، وهو يَدوسُ أصحابَهُ، فَنَحَّاهُ، فما كانَ بأسْرَعَ مِنْ أنْ حنَّ إليه، فقال: «فَدَيْتُ مَنْ يؤْذِيني، ويؤذيني إنْ لم يؤْذِني».

وقال الشاعر في حبِّه وَلَدَهُ: [من البسيط]

١- *لصقْتَ بالقلبِ حتَّى صِرْتَ أسْوَدَهُ   وبالجوانحِ حتَّى صِرْتَ لي كَبِدا*

٢- *فلسْتُ أدري، وكُلٌّ منك يَخْلُجُني   أكنْتَ لي مهجةً أم كُنْتَ لي وَلَدَا*

[٤١/ب] وقالَ المأمونُ لعبدِ اللهِ بنِ الحسين: ما بَقيَ مِنْ لذَّتكِ؟ قال: «مُحادثةُ الصَّغيرِ مِنْ ولدي، ومُحادَثَةُ المَوْتَى». يعني النظرَ في الكُتُب.

وقالَ المأمونُ لطاهر بن الحسن: صِفْ لي ولدَكَ، فقال: «ولَدَ النَّاسُ ابناً، وولدْتُ أباً يُحْسِنُ ما أُحْسِنُ، ولا أحْسِنُ ما يُحْسِنُ».

وقال ابن المعتزّ في حكمةٍ: «أفْقَرَكَ الولدُ أمْ عاداكَ».

ويُنْشَد في مَدْحِ البناتِ: [من البسيط]

١- *لَوْلا النِّساءُ لَما كانَ الرِّجالُ كَمَا   لَولا الدَّواةُ لَضاعَ الخَطُّ والقَلَمُ*

وقِيلَ: «ابنُكَ رَيْحانُكَ سَبْعاً، وخادِمُكَ سَبْعاً، ثُمَّ هُوَ عدوٌّ، أوْ صديقٌ».

وقالَ آخرُ في ولدِهِ: [منَ الرَّجَزِ]

---

[1] الأبيات في يتيمة الدهر ٢٧٧/٣ لأبي محمد الخازن، من قصيدة تقع في ١٧ بيتاً قالها يُهنئ الصاحب بن عباد بسِبْطِهِ أبي الحسن عباد، بخلاف في الرواية.

[2] الحديث في المعجم الكبير للطبراني -طبعة العراق ٢٣٩/١١، وانظره في موسوعة أطراف الحديث ٤١٥/١.

[3] الحديث في سنن أبي داود ١١٠٩، وسنن النسائي ١٠٨/٣، ١٩٢، وموسوعة أطراف الحديث ٣٢٣/٥.

١- أُحِبُّـهُ حُبَّ البخيلِ مالَـهُ ٢- قَدْ ذاقَ طعمَ الفقرِ ثُمَّ نالَهُ

وقالَ الأحْنَفُ[1]: دعاني معاويةُ في وقتٍ، فقال لي: يا أبا بَحْرٍ، ما تقولُ في الوالدِ والولدِ؟ فعلِمْتُ أنَّه أصابَ [٤٢/أ] على يزيدَ مَوْجَدَةً، فقلْتُ: «يا أميرَ المؤمنينَ، هُمْ ثمارُ قلوبِنا، وعِمادُ ظُهُورِنا، نَحْنُ لَهُمْ أرْضٌ ذليلةٌ، وسَماءٌ ظليلةٌ، فإنْ غضِبُوا فأرْضِهِم، وإنْ طَلَبُوا، فأعْطِهِم. ولا تكُنْ عليهم قفْلاً، فيَمَلُّوا حَياتَك، ويَتَمنَّوا وَفاتَك». فقال: «قاتلكَ اللهُ يا أبا بحرٍ، فقد أخرَجْتَ ما كانَ في نفسي على يزيدَ». فرضِيَ عنه، ووَصَلَهُ بمالٍ. قال: فدعاني يزيدُ وأرادَ أنْ يُشاطِرَني بالمالِ، فقلْتُ له: «ما كنْتُ آخُذُ على جميلٍ أقولُهُ جُعْلاً[2]».

وتعرَّضَ رَجُلٌ للمنصورِ، فقالَ: «لي تِسْعُ بناتٍ، فأَعِنِّي على مَؤونَتِهنَّ».

فقالَ: «إنَّ بَيْتاً تدورُ فيه تِسْعُ مَغازِلَ لبيتٌ غنيٌّ».

وقال البحتري يُهنِّئُ المُتوكِّلَ بإدْراكِ ولَدِه: [من الكامل]

١- يُهْنِئُكَ فِي المُعْتَزِّ بُشْرى بَيَّنَتْ فِينا فَضيلَةَ هَدْيِهِ ورشادِهِ

٢- قَدْ أَدْرَكَ الحِلْمَ الذي أَبْدَى لَنا عَنْ حِلْمِهِ ووقارِهِ وسَدادِهِ

٣- تَمَّتْ لكَ النعماءُ فيهِ مُمَتَّعاً بُعلُوِّ هِمَّتِهِ ووَرْيِ زِنادِهِ

[٤٢/ب]٤- وبقيتَ حتَّى تَسْتَضِيءَ بَرأْيِهِ وتَرَى الكهولَ الغُرَّ مِنْ أَوْلادِهِ[3]

- فَصْلٌ في تَقْبِيْلِ الوَلَدِ -

قالَ أبو هُرَيرَةَ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُقبِّلُ الحَسَنَ بنَ عليٍّ، فقالَ الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ: إنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ ما قبَّلْتُ أحداً منهم، فقال عليه السلامُ: «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ».

---

[1] هو الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي، سيّد تميم وأحد العظماء الدُّهاء الفُصحاء الشُّجعان ويُضرَب به المثلُ بالحلم، عاش بالبصرة، ومات بالكوفة سنة ٧٢هـ.

[2] الجُعل: العطاء والنوال.

[3] الأبيات في ديوان البحتري (ط الصيرفي) ٢/٤٠٧.

جاء أبو سعيد إلى النبيِّ ﷺ معه ابنُهُ يُقبِّلُهُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «القُبْلَةُ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشَرَةٍ».

وقيلَ: كانَ عِنْدَ ابنِ الخطَّابِ رَجُلٌ يريد أنْ يَسْتَعْمِلَهُ، فجاءَ ابنٌ لِعُمَرَ، فقبَّلَهُ، فقال الرَّجُلُ: إنَّ لي منهم أرْبعةً أوْ خمسةً ما قبَّلْتُ منهم صبيّاً قطُّ. فقالَ عُمَرُ: «أنْتَ بالمؤمنينَ أقلُّ رحمةً، لا تلي لي عَهْداً أبداً».

وقال ﷺ: «مِنْ حَقِّ الولدِ على والدِهِ، ثلاثةٌ: يُحسِّنُ اسمَهُ، ويُعَلِّمُهُ الكتابةَ، ويزوِّجُهُ إذا بَلَغَ».

وذُكِرَ [٤٣/أ] أنَّ والِدَ أبي العَيْناءِ[١] قالَ لهُ: إنَّ اللَّهَ أوْصاكَ بي، فقالَ: ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بوالِدَيْهِ حُسناً﴾[٢] ألا تعملُ بوصيَّتي لكَ؟

فقالَ أبو العيناءِ: إنَّ اللَّه ائتمنكَ عليَّ، ولمْ يأْتَمني عليكَ، فقالَ: ﴿ولا تَقْتُلوا أوْلادَكُمْ﴾[٣].

- فَصْلٌ في تَعْلِيم الوَلَدِ القُرآنَ -

أُشكُرْ إحْسانَ اللَّهِ إليكَ، ونعمتَهُ عليكَ بتوفيقِكَ بتعليمِ ولدِكَ كتابَ اللَّهِ تعالى، أشرفَ الكُتُبِ، وسيِّدَ الكلامِ. فلقدْ رَقَّيْتَهُ بذلكَ إلى غايةِ الإكرامِ، ومحلِّ الإعْزازِ والإعْظامِ، إذْ أَسْلَمْتَهُ إلى مَنْ يُعَلِّمُهُ القرآنَ الكريمَ والكِتابَ الحكيمَ، الذي فيه بيانُ الشريعةِ، ومنهاجُ الملَّةِ الحنيفيةِ. وسَيَرْتَقي بعدَ تحفُّظِهِ إلى تعلُّمِ معانيهِ، فيجمعُ معَ قراءةِ تنزيلِهِ، العِلْمَ بتفسيرِهِ وتأويلِهِ، ويكونُ ذلكَ عَلَمُ سعادتِهِ وسعادةُ والدَيْهِ اللَّذَيْنِ علَّماهُ القرآنَ، وأَنْفقا عليهِ. واللَّهُ تعالى يرزقُهُ حِفْظَهُ وتلاوتَهُ، ويُسَهِّلُ عليه دَرْسَهُ [٤٣/ب] وقراءتَهُ. وبارك اللَّهُ لهُ ولأَبَوَيْهِ، حتَّى يَرَيا فيهِ كُلَّ ما يؤمِّلانِ، ويتحقَّقَ لهما جميعُ ما يَرْجوانِ، وأعطاهُما في الآخرةِ الثوابَ الموعودَ لِمَنْ علَّم ولدَهُ القرآنَ، على لِسانِ الرسولِ ﷺ، خيرِ الأنبياءِ وأصْدَقِ البَشَرِ، فلَقَدْ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَلَّمَ ابناً لهُ القرآنَ نَظَراً، غفرَ اللَّهُ لهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ. ومَنْ علَّمَهُ إيَّاهُ ظاهِراً، بَعَثَهُ اللَّهُ يومَ القيامةِ، ووَجْهُهُ على ضَوْءِ القمرِ ليلةَ البدْرِ، ويُقالُ لابنِهِ: اقرأْ، وكلَّما قَرَأَ، رُفِعَ ثلاثَ درجاتٍ، حتَّى ينتهي آخِرُ ما مَعَهُ مِنَ القُرآنِ».

---

[١] أبو العَيْناء: هو محمد بن القاسم، أبو عبد الله، أديب وشاعر وفصيح وبليغ، واشتهر بسخريته، عمي بعد الأربعين، وتوفي في سنة ٢٨٨هـ.

[٢] سورة العنكبوت ٢٩/٨.

[٣] سورة الأنعام: ٦/١٥١.

وكَتَبَ بَدِيْعُ الزَّمانِ[1] إلى أخيهِ يُوْصِيْهِ بتعليمِ القرآنِ، فقالَ: «وابدأْ بالقُرآنِ قَبْلَ كُلِّ محفوظٍ، ثُمَّ بتفسيرِهِ، فاللهُ وليُّ تيسيرِهِ، ولا تُشْغِلْكَ كُتُبُ اللّغةِ عمَّا رسمْتَ، ففيها إضاعةُ الزَّمانِ، ولا خيرَ في آيةٍ ليستْ من القرآن».

- فَصْلٌ في [٤٤/أ] التهنئةِ بتَعْليمِ الوَلَدِ الأدَبَ-

الأدَبُ أشْرَفُ مَكْسَبٍ، وأفْضَلُ مُنْتَسَبٍ، وأقْوَى سَبَبٍ على أشْرَفِ رُتَبٍ، وأرْفعُ علْمٍ لأصحابِهِ، وأزْيَنُهُ لأربابِهِ، وأعْلاهُ بصاحبِهِ إلى مَعالي الأُمُورِ، ورَفْع مَحلِّهِ فوقَ الجمهورِ، به يُتَقرَّبُ إلى الأكابرِ، ويُرامُ صُعُوْدُ المنابرِ. يَسْمُو بصاحبِهِ فوقَ النُّظراءِ، ويُطرِّقُ لهُ مَجالِسَ السَّادةِ الكُبَراءِ، والملوكِ والأُمراءِ، ويُحظّيهِ عند الكتَّابِ والوزراءِ. وهو وسيلةٌ إلى جميعِ العلومِ الشرعيّةِ، والكيمياءُ لِكُلِّ فضيلةٍ ومعرفة. فَلَيْسَ يَسْتَغْني عنه عَلَمٌ ولا عالِمٌ، ولا يَقْنَعُ دونَهُ ناثِرٌ ولا ناظِمٌ، به يُفَسَّرُ كلامُ رَبِّ العالمينَ، وسُنَنُ سيِّدِ المُرْسَلِين.

ولقد كَشَفَ النبي ﷺ، عن فضيلتِهِ، ونَطَقَ بِشَرَفِهِ ومَرْتبتِهِ في قولهِ ﷺ: «ما نَحَلَ والِدٌ وَلَدَه نِحْلَةً أفضلُ منْ أدَبٍ حَسَنٍ». ولقدْ عَظُمَتْ نِعْمَتُكَ على ولدِكَ إذْ نَحلَتَهُ الأدبَ الذي هُوَ [٤٤/ب] أفْضلُ نِحْلةٍ، وأشْرَفُ عطِيَّةٍ، وبلغْتَ في قضاءِ حقِّهِ أقْصى أمَدٍ، حيْنَ أمْدَدْتَهُ منَ الأدبِ بأقوى مَدَدٍ، فأسَّسْتَ لهُ في العلوم أقوى أساسٍ. وزيَّنْتَهُ بأحْسَنِ لِباسٍ. ولقدْ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما ورَّثَ والِدٌ وَلَدَهُ خيراً من أدَبٍ حَسَنٍ»[2].

وأرجو من فضلِ اللهِ لولدِكَ أنْ يغدوَ شَجَرةَ فَضْلٍ، عُودُها أَدَبٌ، وأغْصانُها عِلْمٌ، وثمَرَتُها عَقْلٌ وإصابةٌ، وعروقُها شَرَفٌ وسيادةٌ، ويجمعَ له مع الحفْظِ الغزيرِ، الفَهْمَ الصَّحيحَ، والأدَبَ القويَّ القويمَ، والخاطِرَ المستقيمَ، والطَّبْعَ السّليمَ، حتَّى يَرْتَقيَ من العِلْمِ إلى أشْرَفِ المراتبِ، ويدَّخِرَ لنفسِهِ منه أسْنَى

---

[1] بديع الزمان الهمذاني: هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، أبو الفضل، صاحب المقامات المعروفة باسمه. وكان شاعراً. وله مجموعة رسائل مطبوعة عددها ٢٣٣ رسالة، وديوان شعر. انظر فيه يتيمة الدهر: ٢٩٣/٤ فما بعدها، ومعجم الأدباء ١٦١/٢ فما بعدها.

[2] الحديث: في موسوعة أطراف الحديث ٣٣٦/٩ وعنها في البداية والنهاية ٣١٠/٨.

المناقِبِ، وللدَّهْرِ فيه مقاصدُ، وللأيَّامِ فيهِ مواعِدُ. وهو كما قال البحتريُّ:[من الطويل]

١- لَـهُ حركـاتٌ مُخبـراتٌ بأنَّـهُ ... سـيَعْلُوْ عُلُـوَّ البَـدْرِ بَـيْنَ الفراقِـدِ

٢- مواعيْدُ للأيَّامِ فيـه ورَغْبَتي ... إلى اللهِ في إنْجـازِ تلْـكَ المواعِـدِ(١)

- [٤٥/أ] فَصْلٌ في التهنئة بالتَّطْهير-

الحَمْدُ للهِ الـذي وفَّقـكَ لـتطهيرِ وَلَـدِكَ المُـؤْذِنِ بالنجابـةِ شمائلُـهُ، الواعِـدِ بالسِّيادةِ مخايلُهُ، بالخِتانِ الذي هو صِبْغَةُ اللهِ، وأحَدُ أقْسامِ الشريعةِ الحنيفيةِ، والمِلَّةِ المحمديَّةِ، إحْدى الكلماتِ التي ابتلى اللهُ إبراهيمَ فأتَمَّهُنَّ، ووَفَى بِهُنَّ. والخِتانُ طهارةٌ، هي منْ تمامِ الفِطْرةِ، وصِبْغةٌ هي منْ أحسنِ الصِّبغةِ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾(٢). وهو مِنْ جملةِ الكلماتِ التي لَمَّا أتمها إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ إتماماً، جعلَهُ اللهُ للناسِ إماماً. فالخِتانُ لنا، والقُلْفةُ للمجوسِ -أصحاب الناؤوسِ(٣)، الرُّذَّلِ الأنكاسِ(٤)، اللئامِ الأنْجاسِ، دينهمُ أخْبَثُ الأدْيانِ، لا يَرون سُنَّةَ الخِتانِ. ونحنُ نَحْمدُ اللهَ حُنَفاءَ من سُنَّتِنا: في الشواربِ الإحفاءُ(٥)، وفي اللِّحى الإعْفاءُ، نرى الخِتانَ تَطْهيراً لا يسوغُ فيه تَقْصيرٌ. إنِّي لأرْجو لِوَلدِكَ إذا طَهَّرتَهُ [٤٥/ب] بالختانِ، أنْ يُوْفِيَ اللهُ له أقسامَ الإيمانِ، ويفيضَ عليه سجالَ الإحْسانِ، حتَّى يصيرَ سَمْحاً هُماماً، وحبْراً إماماً، تقرُّ بهِ العيونُ، وتتحقَّقُ فيهِ الظُّنونُ.

---

(١) البيتان ليسا في ديوان البحتري.

(٢) سورة البقرة: ١٣٨/٢.

(٣) كذا في المخطوط. والناؤوس جمع نواويس وهي مقبرة النصارى، ولعلها (الناموس) وهو المكر والخديعة.

(٤) الأنكاس: مفردها: نكْس، وهو المقصِّر عن غاية النجدة والكرم.

(٥) الإحفاء: قصُّ الشوارب قصاً مبالغاً فيه. وفي الحديث: أنه عليه السلام أمرأن تُحْفى الشوارب وتُعفى اللحى، أي يبالغ في قصها. اللسان (حفا)

ولأبي حَفْصٍ المُطَوِّعي[1] من قصيدةٍ يذكر فيها تطهيرَ الأميرِ نَصْرِ بنِ ناصرِ الدين، أولادَهُ: [من الكامل]

١- وليَهْنَكَ الإعْذارُ في ساداتِنا فَهُمُ أكارِمُ عَصْرِهِمْ وأناجِبُ

٢- طَهَّرْتَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما قَدْ طُهِّرَتْ شِيَمٌ وأغْراضٌ لَهُمْ ومناصِبُ

٣- والكَرْمُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ إلاَّ إذا ما شُذِّبَتْ شُعَبٌ لهُ وجَوانِبُ

٤- وكذلكَ الأقْلامُ ما لم يَبْرِها ذو نيقةٍ لا يَرْتَضيها الكاتِبُ

- فَصْلٌ في التَّهْنِئَةِ بالإسْلام -

هذا الفَصْلُ مِنْ غرائبِ الفُصُولِ التي لا تُوجَدُ في غيرِ هذا الكِتابِ[2].

والإسلامُ أعْظَمُ نعمةِ اللهِ تعالى على عَبْدِهِ، وأَوْلى النِّعَمِ بالتهنئةِ، أعْظمُها في بابِها، وأعْلاها بأصحابِها. وقد اقتصرْتُ في هذا الكتابِ على ما كَتَبَهُ أبو العيناءِ إلى أبي نُوْحٍ عيسى بن إبراهيم الكاتبِ، [٤٦/أ] وكانَ نَصْرانيّاً فأَسْلَمَ:

لقدْ عَظُمتْ نعمةُ اللهِ عليكَ في مُنابَذَةِ أهْلِ الذِّلَّةِ والصَّغارِ، والكُفْرِ والإضْرارِ، الذين أحلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ البَوارِ -جهنَّمَ- يصْلَوْنها وبِئْسَ القرارُ، فَلْيَهْنَكَ النِّعمةُ الجليلةُ في أخوَّةِ المهاجرينَ والأنصارِ، والتابعينَ لهم بإحْسانٍ، فقد أصْبحتَ لهم أخاً صالحاً، وأصبحَ دُعاؤهم لك مِنَ اللهِ فَرْضاً واجباً. قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[3] الآية.

واللهِ قَدْ قَدَحْتَ فأَوْرَيْتَ، واستضأتَ فاهْتَدَيْتَ، لا كَمَنْ قَدَّرَ وفكَّر ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾[4]. والحمدُ للهِ الذي فَوَّقَ قِدْحَكَ[5]، وأعْلى

---

(١) هو عمر بن علي المطوِّعي، والمطوعي نسبة إلى جماعة تطوعوا للغزو والمُرابطة في الثغور. وهو من نيسابور، خدم في شبابه أبا الفضل الميكالي، وصنف له كتاب "دَرج الغرر ودُرْج الدرر" في محاسن نظمهِ. وله "أجناس التجنيس". توفي سنة ٤٤٠هـ، انظر فيه: يتيمة الدهر ٥٠٠/٤ فما بعدها.

(٢) قوله عن هذا الفصل "لا يوجد في غير هذا الكتاب" غير صحيح، فثمة فصل مُماثل له في عيون الأخبار، لابن قتيبة ٧٠/٢. ويبدو أن العبارة السابقة للناسخ، وليست للمؤلف.

(٣) سورة الحشر ١٠/٥٩.

(٤) سورة المُدَّثر ١٩/٧٤. ونص الآية (١٨) من السورة "فكَّر وقدَّر" لا "قدَّر وفكَّر".

(٥) فوَّق قِدْحك: جعَل حظَّك كبيراً.

كَعْبَكَ[1]، وأنْقذَ مِنَ النارِ شِلْوَكَ[2]، وخلَّصَك مِنْ أسْرِ الشِّرْكِ، وحيرةِ الشكِّ، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[3]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[4]. فأصبحتَ، أعزَّك اللهُ، قد استَبْدَلْتَ بالبيَعِ المساجدَ، وبالآحادِ الجُمَعَ، [٤٦/ب] وبقِبْلَةِ الشامِ، البيتَ الحرامَ، وبتحريفِ الإنجيلِ، صحَّةَ التنزيلِ، وبارتيابِ المُلْحِدِيْنَ، يقينَ المُوَحِّدِيْنَ، وبحُكْمِ الأسْقُفِ -رأسِ الكافرين- حُكْمَ أميرِ المؤمنينَ وسيِّدِ المُسْلمين. وهنَّأكَ اللهُ ما أنْعَمَ بهِ عليكَ، وأَوْزَعَك[5] الشُّكرَ لما أحْسَنَ بهِ إليكَ.

- فَصلٌ في ذِكْرِ فَضيلةِ استظهارِ القرآنِ وخَتْمِهِ -

عن عليٍّ بن أبي طالبٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليهما أنَّه قال: «مَنْ قَرَأَ القرآنَ، فاستَظْهَرَهُ وحَفِظَهُ، أدْخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ، وشفَّعَهُ في عَشْرةٍ مِنْ أهلِ بَيْتِهِ، كلُّهم قدْ وَجبتْ لهم النارُ».

ورُوي عنه ﷺ أنَّه قالَ: «مَنِ استَظْهرَ القُرآنَ، خُفِّفَ عنْ أبوَيْهِ العذابَ، وإنْ كانا كافرَيْنِ».

وقالَ عليهِ السَّلامُ: «عِنْد كلِّ خَتْمةٍ دَعْوةٌ مُسْتجابة».

وقالَ مجاهِدٌ: «بلغني أنَّ الرحمةَ تَنْزِلُ عندَ ختْمِ القرآن. وكان أبو عبد الرحمن السَّلَمي يقولُ للرَّجُلِ [٤٧/أ] إذا ختَمَ القرآنَ، أبشِرْ فليْسَ فَوْقَكَ أحَدٌ إلاَّ أنْ يفضلَكَ رَجُلٌ بعَمَلٍ. فهذهِ الأخبارُ واردةٌ في فَضْلِ استظهارِ القرآنِ وختْمِهِ. ثمَّ تقولُ لمَنْ تهنِّئُهُ باسْتظهارِ ولدِه القرآنَ وختْمِهِ: اشكُرْ إنْعامَ اللهِ عليكَ إذْ رَزَقَكَ ولداً حَمَلَ كتابَ اللهِ تعالى وقرأهُ، وحفِظَهُ وختَمَهُ، فاستحقَّ بذلكَ الدَّرجةَ العاليةَ، والرُّتْبَةَ الساميةَ، وصارَ مِنْ أهْلِ اللهِ، وخواصِّ عبادِ اللهِ، وقُرَّاءِ كِتابِ اللهِ الذينَ يقرؤونَ آياتِ القرآنِ، ويرتقونَ في درجاتِ الجنانِ، ثُمَّ يشفَعُوْنَ في

---

[1] أعلى كعبك: نصرك وبجلك.
[2] الشلْو: بقية الجسد.
[3] سورة لقمان ١٢/٣١.
[4] سورة الحج٢٢/٢٩.
[5] أوزع: أغرى بالشيء، وألْهَم به.

آبائهم، وأُمَّهاتهم، وأقاربِهم، وقراباتِهم، فاحمدِ اللهَ على ما أَعْطاكَ، وهنيئاً لك ما آتاكَ، واستجابَ اللهُ فيْكَ دُعاءَ هذا الوَلَدِ البارِّ الذي قدْ أصبْحَ اليَوْمَ، وهو من أفاضِلِ العِبادِ، وأفْرادِ البلادِ، بقراءتِهِ كتابَ اللهِ ودَرْسِهِ، تنْزيلَ اللهِ وأشْرَفَ الكُتُبِ، وأفْضَلَ الكَلِمِ. [٤٧/ب] وأجْزَلَ اللهُ لكَ الثوابَ على إنْفاقِكَ عليهِ، حتَّى اسْتَحْفظتهُ القرآنَ الكريمَ، والذّكْرَ الحكيمَ، ومَتَّعكَ اللهُ بهِ حتَّى ترى حولَكَ زُمَراً من أولادِهِ، وعدداً من أَحْفادِهِ.

- فَصْلٌ في التهنئة بإقْبالِ شَهْرِ رمضانَ وما يتَّصلُ بها من الأدعيةِ -

كانَ النبيُّ ﷺ، إذا أقْبلَ هذا الشهرُ بشَّر أصْحابَهُ بقدومِهِ، وأخْبرَهُمْ بعظيمِ قدرِهِ. كما رُوِيَ عَنْهَ أنَّهُ ﷺ، لمَّا حَضَرَ شَهْرُ رمضانَ قالَ: "سُبْحانَ اللهِ ماذا تَسْتقبلونَ. وماذا يَسْتَقْبلكمْ"[1] قالها ثلاثاً.

قال ابن الخطَّابِ: يا رسولَ اللهِ وَحْيٌ نَزلَ أوْ عدوٌّ حضرَ؟ قال: "لا، ولكنَّ اللهَ يَغْفِرُ في أوَّلِ ليلةٍ من رمضانَ لِكُلِّ أهْلِ هذهِ القِبْلَةِ"[2].

- فَصْلُ الأَدْعيةِ -

عرَّفَكَ اللهُ بَركاتِ هذا الشَّهْرِ العظيمِ، وأَسْهَمَ لَكَ في فَضْلِهِ، ووفَّقكَ لأداءِ فَرْضِهِ [٤٨/أ] ونَفْلِهِ، وجعلَ ما أظلَّكَ من هذا الصومِ مقروناً بالقَبولِ، مُؤْذِناً بدراكِ البُغْيةِ، ونُجْحِ المأمولِ، ولا أخْلاكَ مِنْ بِرٍّ مرفوعٍ، ووِزْرٍ موضوعٍ، ودُعاءٍ مَسْمُوعٍ. وقابَلَ بالقَبولِ صيامَكَ، وبعظيمِ المثوبةِ تهجُّدكَ وقيامَكَ، وأسْعدَكَ في هذا الشهْرِ بقبولِ الطاعاتِ، والتوفيقِ للحَسناتِ، وأداءِ المُفتَرضاتِ، وتجنُّبِ السَّيِّئاتِ، وإتْمامِ صيامهِ، وقيامهِ في لياليْهِ وأيَّامهِ، مَرْفوعاً بالقَبُولِ، والإسْعافِ بالمأمولِ، وإيتاءِ السُّؤْلِ، إنَّه أكْرَمُ مسؤولٍ، ورزقَكَ مِنْ ميامِنِ ساعاتِهِ، وأفاضَ عليكَ مِنْ عوائدِ بركاتِهِ، ووفَّقَكَ فيهِ للأعمالِ والصدقاتِ، ويسَّركَ لاختتامِهِ بأفْعالِ الخيرِ والحَسَناتِ، وأمْضاهُ عنْكَ في سعادةٍ ظاهرةٍ يَبْقَى أثرُها على السِّنينَ والأحوالِ، وأحالَهُ عليكَ في زيادةٍ غامرةٍ، مُوْفىً أمَدُها في الرِّجاءِ والآمالِ.

---

[1] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٢٠١/٥ وعنها في كنز العمال رقم ٢٣٧١٨.

[2] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٣٠٠/٧ وعنها في السلسلة الضعيفة ٢٩٨.

- فَصلُ التَّهْنِئَةِ -

أَوْلَى [٤٨/ب] ما يُقامُ بهِ رُسومُ التَّهنئةِ وتتابعُ الأدعيةِ فيه بالتمليةِ إلى عَوْدِ هذا الشهرِ العظيمِ المباركِ ساعاتهُ، الَميْمونِ أوْقاتُه، الواردِ بالمغْفِرَةِ عَشيَّاتُهُ، المؤذنِ برضوانِ الرحمنِ غَدواتُه، يُفاضُ سجالُ الرحمةِ مِنْ مُستهلِّهِ، إلى استكمالِ عَشْرٍ منْ ليالِيهِ، ثمّ يُحقّقُ في العَشْرِ الثانية، المغْفِرةُ لآمليها، والثناءُ عُيِّنَ في الخيْراتِ وعامليها، بتيسيرِ أسبابها، وفَتْحِ المُنْغَلِقِ مِنْ أبوابها، واستمرارِ صوبِها وسحابِها، فالرحمةُ في أوَّلِهِ تكونُ صوباً وصَبّاً[١]، والمغْفرةُ في أوْسطِهِ فَيْضاً وفَضّاً[٢]، والعَشَرةُ الأخيرةُ لحطِّ الأوْزارِ، ووَضْعِ الآصارِ، والتطهيرِ مِنَ الأوْضارِ[٣]، والإعْتاقِ مِن النارِ، جعلَ اللهُ قِدْحَ الشَّيْخِ مِنْ هذهِ الأقسامِ القِدْحَ المُعَلَّى، ورزَقَهُ منها الحَظَّ الأوْفَى، والنصيبَ الأَسْنَى، وأعادَ علَيْهِ أمْثالَهُ، وتَقبَّلَ مِنْهُ أعمالَهُ، وأصلحَ في الدينِ والدُّنْيا أحْوالَهُ، وبلَّغَهُ منهما آمالَهُ [٤٩/أ] وأسْعَدَهُ بهذا الشهْرِ، ووفَّاهُ فيهِ أجْزَلَ المَثُوْبةِ، وأكْمَلَ الأجْرِ، ثمّ إنَّ أحْسَنَ ما يُنْشَدُ في هذا الفَصْلِ قولُ أبي عليّ التنوخي: [من الخفيف]

١- *نِلْتَ في ذا الصِّيامِ ما تَرْتجيهِ ... وَوَقاكَ الإلهُ ما تتَّقيهِ*

٢- *أنتَ في النَّاسِ مِثْلُ شَهْرِكَ في الأشْـ ... ـهُرِ، بَلْ مِثْلُ ليلةِ القَدْرِ فيهِ*

- فُصُوْلُ التَّهنئةِ بالعِيدِ وما تختصُّ به مِنَ الأدْعية -

قالَ أنَسٌ: قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، ولهم يومان من السنةِ، يَلْعبونَ فيهما، فقالَ النبيُّ ﷺ: «قَدِمْتُ عليكُمْ، ولكُمْ يومانِ، تلعبون فيهما، وإنَّ اللهَ أبْدَلكُم بهما يومينِ خيراً مِنْهما: يومُ الفِطْرِ ويومُ النَّحْرِ»[٤].

ثمَّ نقولُ على إثْرِ هذا الحديثِ: العِيْدُ يومُ تَجدُّدِ السُّرورِ، واستئنافِ الطَّرَبِ والحبورِ، والرَّغْبةِ إلى الملكِ الغَفُورِ، بتحقيقِ المأْمُولِ، وإيتاءِ السُّوْلِ. وإلى اللهِ أرْغَبُ في أنْ يُعاوِدَك السُّعودُ، ما عادَ عيدٌ وأنْضَرَ عُوْدٌ، وأنْ يُعيدَ [٤٩/ب] إليكَ

---

[١] الصَّوْب: نزول المطر. والصَّبّ: الماء النازل في موضع منحدر.

[٢] الفض: الكسر والفتْح.

[٣] في المخطوط حاشية تقول: "الوَضْر: الدَّرَن، والجمع الأوْضار". والأوضار: هي الأوساخ والروائح الكريهة.

[٤] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٦٨٦/٥ وعنه في مسند الإمام أحمد ١٧٨/٣.

السرورَ في هذا العيدِ، ويجعلَهُ مُبشِّراً بالجدِّ السعيدِ، والخيرِ العتيدِ، والعُمْرِ المديدِ، وأنْ يجْعلكَ مِنْ كُلِّ ما دُعيَ ويُدْعَى بهِ في الأعيادِ آخِذاً بأكملِ الحظوظِ، وأوْفى الأعداد. واللهُ المسؤولُ أنْ يجعلَ أيَّامَكَ تواريخَ وأعْياداً، ويجمعَ لكَ السعاداتِ أمْداداً.

وكتبَ أبو الفرجِ بن هندو إلى أبي محمَّدٍ المصْعَبي:

هنَّأ اللهُ الشيخَ مَقْدَمَ هذا العيدِ، المحفوفِ بالسَّعيدِ، الضامِنِ للكُرورِ عليهِ ما امتدَّ نَفَسُ الدَّوامِ، واتصل نَسَقُ الأيَّامِ، وتقبَّل اللهُ صيامَهُ وقِيامَهُ الصَّادرَيْن عن نيَّةٍ صفَّاها الإيمانُ، وطويَّةٍ زخْرَفَها الخيرُ والإحْسانُ، وأسْعدَهُ بهذا اليومِ، وما يتْلُوهُ مِنَ الأيَّامِ، ويقْفُوهُ من الشهورِ والأعْوامِ.

وكتَبَ إليهِ أيْضاً خادِمُهُ يَرْغَبُ إلى اللهِ جَلَّ وعزَّ في أنْ يَطْلُعَ هذا العيدُ على مولانا بِسعادةٍ يَتَلأْلأُ كوكَبُها، ومَرْضاةٍ مِن اللهِ قدْ حَفَّتْ صيامَهُ وقيامَهُ، [٥٠/أ] وقبولٍ قد احتضَنَ أقوالَهُ وأفْعالَهُ، وضمانٍ منْ عمرِهِ أن يَكْرَعَ في كأْسِ البقاءِ ما أشْرَفَتِ الخضراءُ على الغَبْراءِ[١]، وشَرُفَتِ الصفراءُ على البيضاءِ[٢].

- فَصْلٌ آخَرُ لَهُ -

أسْعَدَ اللهُ الشَّيْخَ بهذا العيدِ الذي وَرَدَ مِنْه على قَلْبٍ معمورٍ سواهُ، ودِيْنٍ موصولٍ برضاهُ، وقيامٍ قَدْ وفَّرَ حقَّهُ ووفَّاهُ، وصيامٍ حَفِظَ شَرْطَهُ ورَعاهُ، وخَيْرٍ أفاضَهُ وأسْداهُ، وعرَّفَهُ اللهُ بركاتِ هذهِ القُرْباتِ في دنياهُ، بتَبْليْغِهِ غايةَ مُناهُ، وحِراسةِ عِزِّهِ وعُلاهُ، وإنفاذِ أمْرِهِ في مُبْتغاهُ، وأجْزَلَ اللهُ عليهِ ثوابَهُ في أُخْراهُ، وجَعَلَ في عِلِّيِّين مُرْتقاهُ. وصيَّرَ الأعيادَ مُتَردِّدةً إليهِ، ومُتَكرِّرةً عليهِ، ما نَجَمَ طَلْعٌ، وطَلَعَ نَجْمٌ.

- فَصْلٌ آخر له -

أنا أدعو للشيْخِ بأنْ يجعلَ اللهُ هذا العيْدَ طالِعاً عليهِ بالجدِّ السعيدِ، والعزِّ الجديدِ، وترادُفِ الخيراتِ، وانْقِيادِ الإراداتِ. وأَنْ يكرِّر عليهِ الأعيادَ تكرُّرَ أياديهِ [٥٠/ب] على أوْليائِهِ، ويديمَ العِزَّ دوامَ مبارِّهِ لأصدقائِهِ.

---

(١) الخضراء: السماء. والغبراء: الأرض.

(٢) الصفراء: الذهب. والبيضاء: الفضة. وفي المأثور أن النبي ﷺ صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء، أي على الذهب والفضة.

- فَصلُ الأبياتِ في هذا المَعْنَى -

أوّلُ ما نَبْتَدِئُ في هذا الفَصْل قول الصَّابي: [من الكامل]

١- عِيدٌ إليكَ بما تُحبُّ يعودُ ... بطَوالِعٍ، أوْقاتُهُنّ سُعُوْدُ

٢- مُتبارياتٍ كُلُّ طالِعِ ساعةٍ ... يُوْفي على ما قَبْلِهِ ويَزيدُ(١)

٣- قَدْ صُمْتَ شَهْرَ الصَّوْمِ بِالنُّسْكِ الذي ... هُوَ مِنْكَ مَعْرُوفٌ لَهُ مَعْهُودُ

٤- أكْثرتَ فيهِ مِنْ تَهَجُّدِ خاشِعٍ ... ما يطْمئِنُّ بمُقْلَتيهِ هُجُوْدُ

٥- فتملَّ عَيْشَكَ في سُرُوْرٍ دائِمٍ ... سِرْبالُهُ أبداً عليكَ جَديدُ(٢)

وقرأتُ على الشَّيخِ أبي منصورٍ الثعالبي قولَهُ: [من السريع]

١- هُنِّئتَ هذا العيدَ يا مَنْ غَدَتْ ... أيّامُهُ في الحُسْنِ أعيادا

٢- فلا تَزَلْ تَرْفُلُ في نِعْمَةٍ ... تأتيكَ أزواجاً وأفْرادا(٣)

ومِنْ أحْسَنِ ما يُذْكَرُ في هذا الفصلِ قولُ ابن الرُّومي: [من الخفيف]

١- قَدِمَ العِيدُ صاحِباً مَوْدُوْداً ... وَمَضَى الصَّوْمُ صاحِباً مَحْمُوْدا

٢- ذهبَ الصَّوْمُ، وهو يحكيكَ نُسْكاً ... وأَتى العِيْدُ، وهو يحكيكَ جُوْدا

[٥١/أ] ٣- وَشَبيهاكَ لا يخونانِكَ العَهْـ ... ـدَ لَعَمْرِي بَلْ يَرْعيانِ العهودا(٤)

وقولُ إبراهيم بن هلالٍ: [من البسيط]

١- إسْعَدْ بصَوْمِكَ إذْ قضَّيْتَ واجِبَهُ ... نُسْكاً، ووَفَّيْتَهُ مِنْ شَهْرِهِ العَددا

٢- واسْحَبْ مِنَ العِيْدِ أذيالاً لها جُدَدٌ ... واسْتَقْبلِ العَيْشَ في إفْطارِهِ رَغَدا

٣- فانْعَمْ بيومَيْكِ مِنْ ماضٍ قَرَرْتَ بِهِ ... عَيْناً، ومُنْتظَرٍ تُفْضي إليهِ غدا

ولأبي الطّيِّب المتنبي: [من البسيط]

---

(١) في المخطوط هامش شرح كلمة "متباريات"، على أنها "متعارضات".

(٢) في المخطوط هامش شرح كلمة "تَمَلَّ" فقال: "مِنْ تمليّتُ بعُمْري أي استمتعتُ منه".

(٣) البيتان ليسا في ديوان الثعالبي (ط الجادر) ولا في مستدركاته.

(٤) الأبيات الثلاثة في ديوانه ٢/٦٦٨، بخلاف في الرواية.

- فصلٌ فيما يختصُّ بالأضْحى -

الأضْحَى جَمْعُ أَضْحاةٍ، وهي الشاةُ التي يُضحَّى بها، وبها سُمِّي يومُ الأضْحى، وأصلُها مِنَ الضُّحى، وهو وقْتُ ارتفاعِ النهارِ. والتَّضْحيةُ: الذَّبْحُ في ذلك الوقْت. والتي تُذْبَحُ في ذلك الوقْتِ تُسَمَّى أضْحيّةً، وضَحيَّةً، وأضْحاةً، وهي واحدةُ الأضاحي. ولمَّا كانَ هذا اليومُ يومَ ذبْحٍ سُمِّي أضْحى(٢).

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما عملَ آدميٌّ من عَمَلٍ [٥١/ب] يومَ النَّحْرِ أحبَّ إلى اللهِ مِنْ إهْراقِهِ دَماً(٣). وإنَّها لتأتي يومَ القيامةِ بقرونِها وأشْعارِها وأظْلافِها، وإنَّ الدَّمَ لَيَقعُ بمكانٍ قبْلَ أنْ يقعَ بالأرْضِ، فطيبُوا بها نَفْساً».

ومِنَ الألْفاظِ الصَّالحةِ للتَّهنئةِ بهذا العيدِ: إسْعَدْ بِطَلْعةِ الأضْحى، يا أكْرَمَ مَنْ أمْسَى وأضْحى، عرَّفَك اللهُ من السعاداتِ في هذا العيدِ ما يُرْبي على عَدَدِ مَنْ حَجَّ واعْتَمَرَ، وسَعَى ونَحَرَ، وحجَّ ولبَّى وعَجَّ(٤)، وذَبَح وثَجَّ(٥). أسْعَدَهُ اللهُ بهذا العيدِ سعادةً تجمعُ لهُ حظوظَ الدُّنْيا والآخرةِ، ومصالحَ العاجلةِ والآجلةِ، وجعلَ أعاديْهِ أضاحيه.

وكتبَ بعضُهم: باركَ اللهُ للسَّيِّدِ الرشيدِ، والشَّيْخِ السديدِ، في هذا العيدِ، واليوم الجديدِ، وأطال بقاءَه في الجدِّ السعيدِ، والعيشِ الرغيدِ، هذا يومٌ كما عَرَفهُ تاريخُ العامِ، وغُرَّةُ الأيَّامِ. وقدْ قُضيَتْ فيهِ المناسِكُ، وأُقيمَتِ المشاعِرُ، وأُدِّيَتِ الفرائضُ والنوافِلُ، [٥٢/أ] وحُطَّتْ عن الظهورِ الآصارُ والمثاقِلُ، فالصدورُ مَشْروحةٌ، وأبوابُ السماءِ مفتوحةٌ، والرغباتُ مرفوعةٌ، والدعواتُ مسموعةٌ. وليتَ المقاديرَ أسْعَدَتْنا بتلكَ المواقفِ الكِرامِ، والمشاعِرِ العِظامِ، فنَستَهيمُ في بَرِكاتِها، ونَحْظَى بعوائِد خيراتِها.

---

(١) البيت في ديوانه ١٩٩/٢.

(٢) في المخطوط ورد هامش يقول عن الفقرة السابقة: "وهذا بحث لغوي".

(٣) الحديث في موسوعة أطراف الحديث ١٧٣/٩ وعنها في سنن الترمذي رقم ١٤٩٣.

(٤) عَجَّ: رَفَعَ صوتَهُ بالتَّلْبية. وفي الحديث: أفضلُ الحجِّ، العَجُّ والثَّجُّ.

(٥) ثجَّ: أسالَ دماً، أيْ ذَبَحَ.

ومن الأبيات المُختصَّةِ بتَهنئةِ الأضحى قولُ مَنْصورِ بن أبي مَنْصورٍ الأَزْدي:

[من الكامل]

١- بــالــيُمْنِ والتأييــــدِ والإقْبـــالِ ... عيــدٌ أتَــى في أحْــسَنِ الأحْــوالِ

٢- أضحى أتـاكَ، فضَحِّ فيه بالعِدى ... واسْـلَمْ علــى الأيّــامِ والأحْــوالِ

٣- في عِــزَّةٍ قــدْ أُثْبِتــتْ أوْتادُهــا ... فَــوْقَ الـسِّماكِ وظِـلِّ جَـدٍّ عـالِ

- فُصُولٌ تتعلقُ بالعِيادةِ، والتهنئة بالإقْبالِ منَ المَرَضِ -

- فَصْلٌ في مَدْحِ المَرَضِ وتَرْكِ الكراهةِ لَهُ -

جاءَ إلى النبي ﷺ رُجُلٌ أعْرابيٌّ، فأعْجبَهُ جَلَدُهُ وصِحَّتُهُ، فقالَ لهُ ﷺ: مَتَى عَهْدُكَ بأُمِّ مِلْدَمٍ؟ فقال: وما أُمُّ مِلْدَمٍ؟ فقال: [٥٢/ب] حَرٌّ يكونُ بَيْنَ الجلْدِ والعَظْمِ، فقال الأعرابيُّ: مالي بذلك عَهْدٌ. قالَ لهُ: فمتى أحْسَسْتَ بالصُّداعِ؟ قالَ: وأيُّ شَيءٍ الصُّداعُ؟ قال: ضَرَبانٌ يكونُ في الصُّدْغَيْنِ والرأسِ. قالَ: مالي بذلكَ عَهْدٌ. فلمَّا ولَّى الأعرابيُّ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ ينظرَ إلى رجُلٍ من أهْلِ النارِ، فلْينظرْ إلى هذا».

وعَنْ أنَسٍ أنَّ امرأةً أتَتِ النبيَّ ﷺ، فقالتْ: يا رسولَ اللهِ إنَّ لي ابنتاً كذا كذا، فذكرتْ مِنْ حُسْنِها وجمالِها، فلم تَزلْ تمدحُها حتَّى ذكرتْ أنَّها لم تُصدَّعْ، ولم تَشْكُ شيئاً قَطُّ، فقالَ: «لا حاجةَ لي في ابنتِكَ»[١].

وقال ﷺ: «إذا مَرِضَ العبْدُ ثلاثةَ أيَّامٍ خَرجَ منْ ذنوبِهِ كيومِ ولَدَتْهُ أمُّهُ»[٢].

وفي مَدْحِ المرضِ، ما ذكرهُ الصُّولي عن ابنِ ذكْوانَ، قالَ: سمعْتُ إبراهيمَ يصفُ الفضْلَ بن سَهْلٍ ويقدِّمُه ويصفُ عِلْمَهُ، وكَرَمَهُ، وكانَ مِمَّا [٥٣/أ] حدَّثني به أنْ قال: بَرَأَ الفضْلُ منْ عِلَّةٍ كانَ وَجَدَها، فجلسَ والنَّاسُ هنَّؤوهُ بالعافيةِ، فلمَّا فرغُوا من الكلامِ، قالَ لهم: «إنَّ في العِلَلِ لنِعَماً لا ينبغي للعُقلاءِ أنْ يجحدُوها، فمنْها تمحيصُ الذَّنْبِ، وتعرُّضٌ لِثوابِ الصَّبْرِ، وإيْقاظٌ مِنَ الغَفْلَةِ،

---

[١] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٢٣٦/٧. وعنها في مسند الإمام أحمد ١٥٥/٣.

[٢] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٤٠٩/١ وعنها في كنز العمال رقم ٦٦٨٤.

وإذْكارٌ بالنِّعْمةِ في حالِ الصِّحَّةِ، واسْتِدْعاءُ التَّوْبَةِ، وحَضٌّ على الصَّدَقةِ». وفي قضاءِ اللهِ وقدَرِهِ مِنْ بَعْدُ، الخَيْرَةُ. فَحفِظَ النَّاسُ كلامَهُ ونسوا ما قال غيْرُهُ[1].

وقالَ بعضُ الحُكماءِ: إنَّ العِلَّةَ تُطهِّرُ المؤمنينَ طُهْرَيْنِ، تُطَهِّرُهُمْ من فضولٍ رُبَّما تُوَلِّدُ أصْعبَ منْ تِلْكَ العِلَّةِ[2]، كما قال:

«ورُبَّما صَحَّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ»[3].

- فَصْلٌ فيما يُرْجَى مِنْ جَميلِ الأجْرِ وجزيْلِ الذُّخْرِ -

قالَ ﷺ: «ما مِنْ مصيبةٍ تُصيبُ المُسْلِمَ إلاَّ كفَّر اللهُ بهِ عنها حتَّى الشوكةَ تَشْتاكُهُ»[4]. وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «إنَّ العَبْدَ المُسلِمَ إذا مَرِضَ أَوْحى [٥٣/ب] اللهُ إلى صاحبِ اليمينِ، فيقولُ: أجْرِ على عبدي هذا صالِحَ ما كان يعملُ في الصحَّةِ، ويقول لصاحبِ اليسارِ: لا تكتبْ على عبدي هذا حتَّى أُطْلِقَ وثاقَهُ».

وعن ابنِ مَسْعُودٍ، قالَ: كُنَّا جلوساً عندَ رسول اللهِ ﷺ، فتبسَّمَ ضاحِكاً، فقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، لِمَ تَبَسَّمْتَ؟ قال: «عجِبْتُ منَ المُؤْمنِ، وجَزَعِهِ من السَّقَمِ، ولوْ علِمَ ما لَهُ في السَّقَمِ، لأحبَّ أنْ يكونَ سقيماً، حتَّى يَلْقى اللهَ عزَّ وجَلَّ».

وقالَ ﷺ: «مَنْ مَرِضَ ليلةً، فقبلَها بِقَبُولِها، وأدَّى الحقَّ الذي يلْزمُهُ فيها، كُتِبَ له عِبادَةُ أرْبعينَ سَنَةً، وما زادَ، فعَلَى قدْرِ ذلك». ومعْنى قوله: «فقبِلَها قَبُولَها»: قال ابن عبَّاسٍ: هو أنْ يعرفَ [أنّ] اللهَ عزَّ وجَلَّ هو الذي أمْرضَهُ، وهو الذي يشفِيْهِ، ولا يتَّكِلُ على دواءٍ، ولا على طبيبٍ. وأداءُ حقِّها: أَنْ لا يشكو إلى عُوَّادِهِ.

وعادَ ﷺ مريضاً منْ وَعكٍ، فقالَ: «أبْشِرْ، إنَّ اللهَ يقولُ هي ناري أُسلِّطُها على عَبْدي المؤمنِ في الدُّنْيا، فتكونُ حظَّهُ من النارِ في الآخرة»[5].

---

[1] الخبر في التذكرة الحمدونية (ط صادر) ٤/٣٣٤.

[2] سيرد هذا القول بعد قليل. وهو ناقص هنا، فالتطهير الثاني الذي لم يذكر هنا وذكر لاحقاً هو التطهيرُ من الذنوب.

[3] هذا عجز بيت للمتنبي وصدره: "لعلَّ عتْبكَ محمودٌ عواقِبُهُ" وهو في ديوانه (بشرح العكبري)٣/٩٣.

[4] الحديث في صحيح مسلم ٤٩، ومسند الإمام أحمد ٦/١١٤.

[5] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ١/٣٤. وعنها في مسند الإمام أحمد ٢/٤٤٠.

وقال سعيد بن وَهْب[1]: دَخَلْنا على سليمانَ نَعُودُهُ [٥٤/أ] فقال: «إنَّ المُسلِمَ يُبْتَلى بالبَلاء ثم يُعافَى، فيكونُ كفّارتَهُ لذنوبِهِ، ومُستَعْتباً فيما بقي. وإنَّ الكافِرَ يُبْتَلى ببلاءٍ، ثُمَّ يُعافَى، فمثلُهُ كمثْلِ بَعيرٍ عُقِلَ، فلا يَدْري لِمَ عُقِلَ، وأُطْلِقَ فلا يدري لِمَ أُطْلِقَ».

وقيلَ: «إنَّ العَبْدَ المؤمنَ إذا مَرِضَ فرَّقَ اللهُ بينَهُ وبينَ ثلاثةِ أشياءَ: الصحَّةِ والقوَّةِ والذُّنوبِ. فإذا بَرَأَ رَدَّ اللهُ عليهِ شيئَيْنِ: الصحَّةَ والقوَّةَ، ولم يردَّ عليه ذُنُوبَهُ».

وقال ﷺ: «إذا مَرِضَ العَبْدُ ثلاثةَ أيّامٍ، خرَجَ منْ ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أمُّهُ»[2].

- فَصْلٌ لأبي بَكْرٍ الخوارزمي -

إلى القاضي عن سلامةٍ مَنَّ اللهُ بها بعد اليأسِ منها، وقرَّبَها بعد البُعْدِ عنْها، وأهَّلني لها أضْعفُ ما كُنْتَ أملاً، وأسْوَأُ ما كنْتُ عملاً، حين بَعُدَتْ عليَّ مسافةُ الشقاءِ، وتقاصرتْ عنّي خُطْوةُ الدَّواءِ، وابْتأسْتُ من العافيةِ، كما أيْسَرْتُ من الحُمَّى، وقربْتُ من الآخرة، كما بعدْتُ من الدنيا. وعرَّفَتْني الأيَّامُ أنَّ ابنَ آدَمَ ضعيفُ التركيبِ، كفاهُ موتاً أنْ يبقى فيَهْرَمَ، وحَسْبُهُ داءً أنْ يصحَّ ويَسْلَمَ، ثم أرادَ اللهُ تعالى أنْ يُرِيَ عَبْدَهُ رحمتَهُ بعدَما أراهُ قدْرتَهُ، فأقامَهُ من صَرْعتِهِ، واستنقَذَهُ مِنْ [٥٤/ب] مخالِبِ عِلّتِهِ. فَلَهُ الحمدُ عفواً غفوراً رحيماً شكوراً يأخذُ حكمةً وعَدْلاً، ويَعْفو رحمةً وفَضْلاً، ويُمْرِضُ عَبْدَهُ، ليعتبرَ، ويُعافيهِ ليشكرَ، ثمَّ لا يُغْلِقُ بابَ الدُّعاءِ، ولا يحسمُ مادَّةَ الرجاءِ، ولا يديمُ مدّةَ البلاءِ. وصلّى الله على محمّدٍ خاتمِ الأنبياءِ، وعلى آلهِ الطاهرين الأولياء.

ومن الشعْرِ المختارِ في هذا البابِ قولُ ابنِ الرومي: [من الوافر]

١- فَإنَّكَ ما اعْتَلَلْتَ، بلِ المَعالي ... وأنَّكَ ما مَرِضْتَ، بلِ القُلُوبُ[3]

وقولُ ابنِ الحجَّاج[4]: [من الطويل]

---

(١) لم ترد كلمة "ابن" بين "سعيد" ، و "وهب" في المخطوط.

(٢) مرّ هذا الحديث منْ قبل.

(٣) البيت في ديوانه ١٨٩/١.

(٤) هو الحسين بن أحمد بن الحجاج شاعر، تولّى حسبة بغداد، يضرب به المثل في الهجاء، توفي سنة ٣٩١هـ. انظر فيه: تاريخ بغداد ١٤/٨ واليتيمة ٢١١/٢ والنجوم الزاهرة ٢٠٤/٤.

١- أقول لحُمّاهُ، وقد طالَ أمْرُها: أردْتِ ويأْبَى اللهُ أنْ تكْشِفي البَدْرا

٢- فقالت: معاذَ اللهِ لكنْ أتَيْتُهُ لِحالَيْنِ قدْ أوْضَحْتُ بَيْنَهما عُذْرا

٣- أُبشِّرُهُ بعدي بطُولِ حياتِهِ صحيحاً، كما يَهْوى، وأُكْسِبُهُ الأجْرا

رُوِيَ عن الحَسَنِ أنه قالَ: «بَدَنٌ لا يَشْتَكي، مِثْلُ مالٍ لا يُزكّى».

وقال غيره: «شكاةُ البَدَنِ زكاتُهُ». وفي الخبر: «لا خيرَ في بَدَنٍ لا يتألَّمُ، ومالٍ لا يُزكّى». وقال حكيم: «المرضُ يطهِّرُ المريضَ بتطهيرَيْن، من الفضولِ التي [٥٥/أ] رُبَّما ولدتْ أغْلَظَ منْ تلكَ العِلّةِ، ويُطهِّرُهُ مِن الذنوب»[١].

- فَصْلٌ في سُنَنِ العيادةِ وما جاءَ فيها -

كانَ رسولُ اللهِ ﷺ، إذا عادَ مريضاً يقولَ: «اللهمَّ مُذْهِبَ البأس أذْهِبِ البأسَ، واشْفِ أنتَ الشافي، لا شِفاءَ إلاَّ شفاؤكَ شِفاءً لا يُغادِرُ سُقماً».

وعَنْ عليٍّ عليهِ السَّلامُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ عادَ مريضاً ابتغاءَ مَرْضاةِ اللهِ، وتخيَّرَ موعودَ اللهِ، ورغبةً فيما عِنْدَ اللهِ،وكّلَ بهِ سبعونَ ألْفِ مَلَكٍ يُصلّونَ عليه حتّى يدخلَ بَيْتَهُ».

وقال عليه السلامُ: «مَنْ عادَ مريضاً، أوْ زارَ أخاً في اللهِ، ناداهُ مُنادٍ: أنْ طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ، وتبوّأتَ مِنَ الجنَّةِ مَنْزلاً».

قالَ سَلْمانُ الفارسي: عادَني رسولُ اللهِ ﷺ، وأنا عليلٌ فقال: «يا سَلْمانُ، شَفَى اللهُ سقمَكَ، وغفَرَ ذَنْبَكَ، وعافاكَ في دِينِكَ وجَسَدِكَ إلى مُدَّةِ أجَلِكَ»[٢].

وعن بنِ عبّاسٍ قال: «مَنْ دخلَ على مريضٍ، فقال: أسألُ اللهَ العظيمَ ،ربَّ العرْشِ العظيم، أنْ يكشِفَ ما بكَ، سَبْعَ مرَّاتٍ، شُفِيَ، إلاّ أنْ يكونَ بهِ موتٌ».

وقالَ عليه الصلاةُ والسَّلامُ: [٥٥/ب] «أيُّما رجلٍ دَخَلَ على مريضٍ لم ينقضِ أجَلُهُ، قالَ: أسألُ اللهَ العظيمَ -ربَّ العرْشِ العظيم، أنْ يشفيكَ ، ثلاث مراتٍ، أو أرْبَعَ مرارٍ، شُفِيَ».

---

[١] ورد هذا الخبر مبتوراً في صفحة سابقة. وسها المؤلف (أو الناسخ) فكرره!

[٢] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ١١/١٥٥. وعنها في كنز العمال رقم ٢٥٢٠٠.

وقالَ عليهِ السلامُ: «لا يُعادُ المريضُ حتَّى يَمْرَضَ ثلاثةَ أيَّامٍ».

وكان ﷺ إذا دخَل على مريضٍ يعودُهُ، قالَ: «لا بأسَ، طَهورٌ إنْ شاءَ اللّهُ».

وقال أحمدُ بنُ سعيد الدَّارمي: مرضْتُ بالبَصْرةِ، فَعَادني محمَّدٌ ابنُ كثيرٍ، فقالَ: «أقالَ اللّهُ عَثْرتك، ورفَعَ جنبكَ، وفرَّغكَ لعبادةِ ربِّكَ».

ومَرِضَ أبو عمرو بن العَلاءِ، فأتاهُ بعضُ أصْحابِهِ عائِداً، وقالَ: أريدُ أنْ أُساهِرَكَ، فقالَ: أنا مُبْتَلَى، وأنْتَ مُعافَى. والعافيةُ لا تَدَعُكَ تَسْهرُ، والبلاءُ لا يَدَعني أنامُ، فاسْألَ اللّهِ تعالى أنْ يسوقَ إلى أهْلِ العافيةِ الشكرَ، وإلى أهْلِ البلاءِ الصَّبْرَ[1].

وقِيلَ: «العِيادةُ لحظةٌ، والزِّيارةُ ساعةٌ، والضِّيافةُ أكْلةٌ، فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِروا».

وحُكِيَ أنَّ بكْرَ بن عبد اللّه المُزَنيَّ قالَ لقومٍ عادُوْهُ، فأطالُوا عِنْدَهُ القُعُودَ: «المريضُ يُعادُ، والصحيحُ يُزارُ»[2].

[٥٦/أ] وقالَ الشعبيُّ: «عيادةُ النُّوْكَى أشدُّ على المريضِ مِن وجَعِهِ»[3].

وقالَ الجاحظُ: مَرِضَ عليُّ بنُ عُبَيْدَةَ الزَّنْجاني، فدخلْتُ عليه عائداً، وقُلْتُ لهُ: ما تشتكي يا أبا الحَسَنِ؟ فقالَ: «أعْيُنَ الرُّقَباءِ، وألْسُنَ الوُشاةِ، وأكْبادَ الحُسَّادِ».

وعادَ رَجُلٌ رَقَبةَ بنَ مِصْقَلَةَ، فنَعَى إليهِ رجالاً اعتلُّوا مِثْل علَّتهِ، فقالَ لهُ: «إذا دخلْتَ على المريضِ، فلا تنعَ إليه الموتى، وإذا خرجْتَ من عندنا فلا تُعُدْ إلينا»[4].

وعاد آخر مريضاً، فقال له: ما تَشْتكي؟ فقال: وَجَعَ البطنِ، فقال: لجريرٍ بَيْتٌ نَسِيتُ صَدرَهُ، وحَفِظْتُ عجزَهُ:

«وداءُ البطْنِ ليسَ لهُ دَواءُ».

فقال: «ليتَكَ حفظْتَ صدْرَهُ، ونسيْتَ عَجْزَهُ».

وسقطَ رجُلٌ مِنْ سطحٍ بالمدينةِ، فكُسِرَتْ رِجْلُهُ، فجَعَلَ الناسُ يدخلون عليه، ويسألونَهُ عن حالِهِ، فلمَّا كثروا، ضَجِرَ، فكَتَبَ قصَّتَهُ، فكانَ إذا

---

(1) الخبر في عيون الأخبار ٤٧/٢.

(2) الخبر في التذكرة الحمدونية ٣٣٤/٤، وربيع الأبرار ٩١/٤، ١٣٤، ونثر الدر ٥٩/٤.

(3) قول الشعبي في التذكرة الحمدونية ٣٣٤/٤. وفي ربيع الأبرار ١٠٠/٤.

(4) الخبر في عيون الأخبار ٤٤/٢.

دخَلَ عليهِ عائدٌ وسألَهُ عن أمْرِهِ، دفَع إليه الرقْعَةَ[1].

وقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «إذا دخلْتُمْ على المريضِ فنفِّسوا لـه في أَجَلِهِ، فإنَّ ذلكَ لا يردُّ شَيْئاً، وهو يطيِّبُ نَفْسَهُ».

[٥٦/ب] وعادَ ابنُ أبي عتيقٍ عائشةَ رضي اللّه عنها مِنْ عِلَّتها، فقال لها: كيف نجدُكِ، جُعِلْتُ فداكِ؟ فقالَتْ: بالموتِ؟ قال: «فلا جُعِلْتُ فِداكِ إذن!».

وقيلَ لابنِ عائشةَ: فلانٌ عليلٌ، أفلا تعودُهُ، فقال: [من الطويل]

١- **ولستُ بزوَّارٍ لِمَنْ لا يزورُني ... ولستُ أرَى للمرْءِ ما لا يَرَى ليا**

- فَصْلٌ مِنْ كَلامِ البُلَغاءِ في العِيادة -

كَتَبَ أبو الفرج بن هنْدو، إلى الحسن بنِ أحمدَ المصعبي في العيادة: لولا أنَّ الشَّكاةَ تخيَّرتِ المحلَّ الأعْظَمَ والمناخَ الأكرَمَ، لوجدْتَ فينا مَعْشراً يُخْرَمُ لنفسِ مولانا وقايةً وفِداءً، لتحملَ الأذى عنها كفايةً وكفاءً. فمعلُوْمٌ أنَّ حياتَنا مُسْتفادةٌ من حياتِه، فلا بدعَ أنْ نُنْفقَها عليهِ، وأنَّ أرْواحَنا مُسْتعارةٌ من بقائهِ، ولا غرْوَ أن نردَّها إليه. وقدْ أرادَ اللّهُ تعالى [أن][2] يُجدِّدَ بصائرَ الناسِ في جلالةِ شأنهِ، والمصلحةَ بمكانِهِ، فأراهُمْ بهذهِ الفترةِ، فتُورَ الدِّيْنِ والدُّنْيا، وتطامنَ المجدِ والعلْيا، وانقباضَ راحةِ الكرمِ، وانخزانَ السَّيْفِ والقلمِ، [٥٧/أ] حتَّى عادَ ظنُّهم إيقاناً، وخبرُهم عِياناً. إنَّه، أدامَ اللّهُ علوَّه النِّظامُ والقوامُ والثِّمالُ[3] والجمالُ والمُغيثُ والغِياثُ والحياءُ والحياةُ.

فازدحمَتْ أدْعيَتُهم على أبوابِ السَّماءِ بأنْ يبعثَ اللّهُ إليهِ وافدَ الشِّفاءِ، ويمليِّهِ مِنْ بعدِ إكرامِ العمرِ، محجوبَ الساحةِ عن الغِيَرِ، مُمكَّناً منْ أعنَّةِ الأيّامِ يُرْكِضُها في ميدانِ الأنْعامِ والانتقامِ. وإنَّ شكاةً تُنْتِجُ مِثْلَ هذه العائدةِ، وتَرْشَحُ بمثْلِ هذه الفائدةِ، لنعمةٌ حقيقةٌ بأن تُعْتَدَّ وتُشْكَرَ، وتُمَنَّى وتؤثَرَ. وإلى اللّهِ عزَّ وجَلَّ أرْغبُ لمولانا في عافيةٍ تُقْشِعُ غمامَ الغمومِ، وتُفتِّحُ رياضَ السرورِ، وتُطرِّزُ ديباجة المُلْكِ، وتصقلُ بهجةَ الدُّنيا والدِّين، آمين ربَّ العالمين.

---

[1] الخبر في عيون الأخبار ٤٧/٢.

[2] لم تردْ (أنْ) في الأصل، وأضفناها ليستقيم المعنى.

[3] الثِّمال: المَلْجأ والأمان.

وكتبَ أبو بكْرٍ الخوارزمي إلى صاحبِ جيْشِ خوارزْمَ:

فَفَضَضْتُ الكتابَ الكريمَ عنْ كُلِّ ما أجْذَلَ النَّفْسَ وسرَّها، وبرَّد العينَ وأقرَّها، حتَّى وصلْتُ منْهُ إلى خَبَرِ العِلَّةِ، فدارتْ بي الأرْضُ وهي ساكِنةٌ، وأظلمتْ عليَّ السماءُ، وهي مُسْفِرَةٌ، وضاقتْ [٥٧/ب] عليَّ الدنيا، وهي واسعةٌ. وقُلْت: قَبَّحَ اللهُ الدَّهْرَ، فإنه على الكرامِ إلْبٌ[1]، وللفَضْلِ حَرْبٌ، وللأدبِ ورهْطِهِ عدوٌّ ومعانِدٌ، وللجهْلِ وذويْهِ وليٌّ مُعاهِدٌ، فرجعْتُ إلى أدَبِ اللهِ تعالى، فوجَدْتُ ساحة الصَّبْرِ أوْسَعَ، ومطيَّةَ الدُّعاء أوضَعَ. فقُلتُ: اللهمَّ، إرْفعْ عن مهجةِ المكارمِ أذاها، واجْلُ عن عَيْنِ الفضائلِ والمحاسنِ قذاها، وارفعِ المحذورَ عن تلكَ النفسِ النفيسةِ، والروحِ العزيزةِ، وتصدَّقْ علينا بهذا الواحدِ الذي بقاؤه جِسْرٌ بينَ دَوْلَةِ الفَضْلِ، وجَوْلَةِ الجهلِ، وبَرْزَخٌ بينَ مَدِّ الجُوْدِ، وجَزْرِ البُخْلِ.وأنا أتوقَّعُ كتابَ صاحبِ الجيشِ بخبرِ العافيةِ، فإنْ تأخَّرَ كنتُ جنيْنَهُ في العِلَّة، وإنْ وَرَدَ عمرتُ المساجدَ صلاةً، وملأْتُ الفقراءَ والمساكين زكاةً، وصُمْتُ حتَّى تعاتبني بطني سَغباً، وقُمْتُ حتَّى تُخاصمَني رجلي تَعباً، وصلَّيْتُ صلاةً إماميَّةً، وعبدْتُ عبادةً علويَّةً، ولم أفعلْ ما فعله ابنُ نوفل حيثُ قالَ في ابنِ شَبَرمة: [من المتقارب]

[٥٨/أ] ١- *فغزوانُ حُرٌّ، وأمُّ الوليدِ إنِ اللهُ عافَى أبا شَبْرمَهْ*

٢- *جزاءً لمعروفِهِ عندَنا وما عَتْقُ عبدٍ لنا أوْ أمَهْ*

فسألَهُ جارٌ عنْ (غزوانَ) و (أُمِّ الوليد) فقال: هما سنَّوران في الدارِ، فاعتدَّ بعَتْقِ رقبتين! ولكنْ أفعلُ ما فعله مجنونُ بني عامر مِنْ حيث يقولُ: [من الطويل]

١- *عليَّ إذا لاقيتُها في سلامةٍ زيارةُ بَيْتِ اللهِ رَجْلانَ حافيا*[2]

وكتبَ إلى تلميذٍ له، فردَّ كتابَهُ بأنَّه عليلٌ: «وصلَ كتابُكَ يا سيِّدي، فسرَّني نظري إليهِ، ثمَّ غمَّني اطِّلاعي عليهِ، لِما تضمَّنهُ مِنْ ذكْرِ عِلَّتِكَ. جعلَ اللهُ أوَّلَها كفارةً، وآخِرها عافيةً، ولا أعدمَكَ على الأولى أجراً، وعلى الأخرى

---

(١) الألْب: بالفتح والكسر، القوم يجتمعون على عداوة إنسان.

(٢) البيت في ديوان مجنون ليلى ص٢١٢، بخلاف في الرواية.

شكراً. بودّي لو قربَ عليَّ مُتناوَلُ عِيادتك، فاحتملْتُ علّتَكَ بالتعهُّدِ والمساعدةِ [وحملْتُ][1] أعباءِ عِلّتِك».

ولقدْ خصَّني من هذه العلّةِ قِسْمٌ كقِسْمِكَ، ومَرِضَ قلبي كمرضِ جِسْمِكَ. وأظنُّ لَوْ أنني لقيتُك عليلاً، لانْصرفْتُ، وأنا أعلُّ منْكَ، فإنّي بحمدِ اللهِ جَلْدٌ على أوجاعِ أعْضائي، غيرُ جَلْدٍ على أوْجاعِ أصدقائي. ينبو عني سَهْمُ الدَّهْرِ إذْ رماني، وينفذُ في [٥٨/ب] إذا رَمى إخْواني.

شفاكَ اللهُ وعافاكَ، وكفاني فيكَ وكفاكَ، ورفَعَ جَنْبَكَ، وغفرَ ذنْبَكَ، وآمنَ سِرْبَكَ، وشرحَ قلبَكَ، وأعْلى كعبَكَ.

- فصلٌ لمنصورِ بن أَبي منصور الهَرَوي -

كتابي، وبودِّي إذا عاوَدَ الشَّيْخَ داء، أنْ أُقْبَلَ لهُ فِداء، وإذا عرضَ لهُ عارِضُ اعْتِلالٍ، أنْ أكونَ أوَّلَ قادرٍ على النِّيابةِ عنهُ بِنَفْسٍ أوْ مالٍ، فأبْذُلُ المَصُوْنَ، وأُبْرِزُ المكنونَ، وأتسارَعُ إلى الإجابةِ، وأُنتدَبُ لحُسْنِ النيابةِ. ولئنْ عَجِزْتُ عنْ تحمُّلِ ذلكَ في ظاهِرِ الحالِ، لقدْ وفَّيْتُ المُشاركةَ بها في القَلْبِ مِنَ الاشْتِغالِ، والجوانحِ منَ الاشتعالِ، واتَّصلَ آنِفاً خَبَرُ الاعْتِلالِ، مُقْتَرِناً بنبأ الإقْبالِ، فمَزَجَ السُّمَّ بالشَّهْدِ، وقرَنَ النحْسَ بالسَّعْدِ، فلقيْتُ مِنَ الأوَّلِ نَصَباً، وكدْتُ أطيرُ للآخر طَرَباً، وسألْتُ اللهَ تعالى أنْ يَجْعَلَ العارِضَ غائباً لا يؤوبُ، ونائياً لا يثُوبُ، والصحَّةَ حالاً لا يَحُوْلُ، ونعْمةً لا تزولُ. ولو قدرْتُ لما اقتصرْتُ في هذه العيادةِ على جاري العادةِ مِن المكاتبةِ دونَ الوفادةِ، وهو، أدامَ [٥٩/أ] اللهُ تأييدَهُ، بالعُذْر عارِفٌ، وعلى الحالِ المانعةِ واقِفٌ، فإذا تطوَّلَ بتَصْديْقي تمامَ السلامةِ، شفى غليلاً، وداوى قَلْباً عليلاً.

- فَصْلٌ في الألْفاظِ الواردةِ في هذا المَعْنَى -

شكايةٌ تَتألَّمُ لها المروءةُ والفَضْلُ، ويسقَمُ لها الكرمُ المحْضُ. علَّتُهُ أعلَّتْ أكثرَ القلوبِ، وطيَّرتِ الأرواحَ من الجُسُوْم.

---

[1] هذه كلمة سقطت في المخطوط. وأضفناها لأن السياق يستدعيها.

قد اعْتَلَّ بعِلَّتِهِ الكَرَمُ، وشكا بشكايتِهِ السَّيْفُ والقلَمُ. لوْ قُبِلَتْ مُهْجتي فديةً، دونَ وَعكَةٍ يجدُها، وساعةِ أنْسٍ يفقدُها، لبذَلتُها، علماً بأنّي أفدي الكرمَ لا غيرَ، والفَضْلَ ولا ضَيْر.

«أغناكَ اللهُ عن الطبِّ والأطبَّاءِ، بالسَّلامةِ والشفاءِ. جَعَلَ اللهُ عِلَّتكَ هذه تَمْحيصاً لا تَنْغيصاً، وتَذْكيراً لا تَنْكيراً، وأدَباً لا غضَباً، واللهُ يُدِرُّ لكَ صَوْبَ العافيةِ، ويُضْفي عليكَ ثَوْبَ الكفايةِ الوافيةِ»[1].

أذِنَ اللهُ في شفائِكَ، ونَفَى داءَكَ بدوائِكَ، ومَسَحَكَ بيدِ العافيةِ، ووجَّهَ إليكَ وافِدَ السَّلامةِ، وجعلَ عِلَّتَكَ ماحيةً لِذُنُوبِكَ، مُضَعِّفةً لثوابِك.

أوْصَلَ اللهُ إليكَ منْ بَرْدِ الشفاءِ، ما يكْفيكَ حرَّ الأدْواءِ[2].

لو اسْتَطَعْتُ لَخَلَعْتُ عليه سلامتي سِرْبالاً، وأعرتُهُ من جسميَ [٥٩/ب] صحّةً وإقْبالاً، فلسْتُ أتهنَّأ بالعافيةِ مع سُقْمِهِ، ولا أتمتَّعُ بنضارةِ عيشي مع نحولِ جِسْمِهِ.

- فَصْلُ الأبياتِ في العِيادة -

لمسلم بن الوليد[3]: [من الكامل]

١- *نالَتْكَ يا خَيْرَ الخَلائِقِ عِلَّةٌ*   *يفْديكَ مِنْ مَكْروهِها الثَّقلانِ*

٢- *فبِكُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكاتِكَ عِلَّةٌ*   *موصوفةُ الشَّكْوى بِكُلِّ لِسانِ*

للصاحب في مَرَضِ عَلَوي: [من الكامل]

١- *يا سيِّداً أفْديْهِ عِنْدَ شَكاتِهِ*   *بالنَّفْسِ والوَلَدِ الأعَزِّ وبالأبِ*

٢- *لِمَ لا أبِيْتُ على الفِراشِ مُسَهَّداً*   *وقَدِ اشْتكى عُضْوٌ من اعضا النبي(٤)*

وللصابي: [من الكامل]

---

[1] هذا الدعاء في زهر الآداب (تح زكي مبارك) ٩٣٢/٤.

[2] هذا الدعاء في زهر الآداب ٩٣٢/٤.

[3] هو المعروف بصريع الغواني، من أهل الكوفة، نزل بغداد ومدح الرشيد والبرامكة، وتوفي سنة ٢٠٨هـ. والبيتان في ديوانه (ط القاهرة) ص ٣٤٢. وفي المخطوط: "يَنْكيكَ قَلْبٌ" وأثبتنا ما في الديوان.

[4] البيتان في ديوان الصاحب (ط بغداد) ص١٨٩. وسقط من المخطوط عبارة "يا سيِّداً" فأضفناها من الديوان ليستقيم الوزن والمعنى. والبيتان في اليتيمة: ٢٤٨/٣ للصاحب بن عبَّاد.

١- ولو استَطَعْتُ حَمَلْتُ عِلَّةَ جِسْمِهِ فقَرَنْتُهَا منِّي بِعِلَّةِ حالي

٢- وجعلتُ عافِيَتي التي لم تصفُ لي منِّي لَهُ مع صِحَّةِ الإقْبالِ

٣- فيكونُ عندي العِلَّتانِ كِلاهُما والصِّحَّتانِ لهُ بغَيْرِ زَوالِ

ومن بدائع الصاحب في هذا المعنى: [من البسيط]

١- إذا اعْتَلَلْتَ ذَمَمْنا العَيْشَ وهْوَ نَدٍ طَلْقُ الجوانِبِ صافٍ ظِلُّهُ رَغِدُ

٢- لو أنَّ أنْفُسَنا اسْطاعَتْ وُقِيتَ بِها حتّى تكونَ بِها الشكوى التي

وأحْسَنَ عاصمُ بنُ يَحْيَى الهَرَوي في قوله: [من البسيط]

[٦٠/أ] ١- مولايَ إنَّ فؤادي جَمْرَةٌ تَقِدُ والدَّمْعُ منِّي على الخَدَّيْنِ مُطَّرِدُ

٢- إنِّي لأكْرَهُ أنْ ألْقاكَ مُشْتَكِياً فَلا أُقاسِمُكَ الشَّكْوى التي تَجِدُ

- فَصْلُ التَّهنئةِ بالإقْبالِ مِنَ المَرَضِ -

من كلام البُلَغاءِ، كتب بديعُ الزمانِ إلى أبي الطيِّب سَهْلٍ: أطالَ اللهُ بقاءَ الشَّيْخِ، وأنا أحمدُ اللهَ الذي أعادَ إليْها[٢] الإشْراقَ، وآنَسَ بها الآفاقَ، بعدما كادَتْ تَعْلُوها الظُّلْمةُ، وأمكنَتْ رأْسَها الثُّلْمةُ، وذهبَتْ الجماعةُ والجمعةُ، ومرضَ الإسْلامُ والسُّنَّةُ، وبعدما أطلَعَ الشيطانُ قرْنَهُ وأتْلَعَ[٣]، وفغَرَ فَمَهُ وأدْلَعَ[٤]، ومدّ يدَهُ إلى الدينِ ليقْلَعَ، وشحا[٥] فاهُ على العِلْمِ ليبقعَ[٦]. ثُمَّ أدال[٧] اللهُ لِلْهُدى على الضلالِ، وأمَدَّ لِلسَّليطِ بالذُّبالِ[٨]، وتصدَّقَ بالشيخ الإمامِ، على الأنامِ، وأبْقَى جُملةَ الإسلامِ، واللهُ تعالى يقرنُ هذه النعمةَ بالتّمامِ، ثمَّ يربَطَ يربَطَ تمامَها بالدوامِ. والشّيْخُ من الصدورِ ما لِيَقَ بالفؤادِ، فكأنَّما أُشْتُقَّ من جميع

---

(١) البيتان ليسا في ديوان الصاحب (ط بغداد).

(٢) الـ (ها) في (إليها) ضمير يعود على مؤنث لا ذكْرَ له، فكأنَّ سَقْطاً وقع في المخطوط قبلها.

(٣) أتْلَعَهُ: رفعه من شيء كان فيه.

(٤) أدْلَعَ: أخرج لسانه.

(٥) شَحَا: فتح.

(٦) أبْقَعَ: رمى بكلام قبيح. وأصل أبقع: خالف بين الألوان.

(٧) أدال: انتصر وانحاز.

(٨) الذبال: الفتيلة التي تُسْرَج في المصباح. والسليط: الزيت يُضاء به.

الأكْبادِ، وكأنما وُلِدَ بجميعِ البلادِ، سواءٌ الحاضِرُ فيه والبادي، فلَقَدْ رأيْتُ القُلُوبَ كلَّها بشكاتِهِ مُتَقسِّمةً، ثمَّ رأيْتُ الوجوهَ كلَّها لنجاتِهِ مُبْتَسمةً. ولقدْ نذرْتُ لِسلامتِهِ النُّذورَ، وسألْتُ اللهَ أنْ يصرفَ عنه المحذورَ.

- فصلٌ في الألْفاظ [٦٠/ب] المُنْتَخَبَةِ في هذا المعنى -

بَرزَ منْ علَّتِهِ بُروزَ السَّيفِ المُجَلَّى، وفازَ بالعافيةِ فَوْزَ القِدْحِ المُعَلَّى. بَلَغني شكاتُكَ، فارْتَعْتُ، ثم عرفْتُ خِفتَّها، فارْتَحْتُ، لئِنْ كنْتُ مُنزعجاً لشكاتِكَ، لقدْ صِرْتُ مُبْتهجاً بمعافاتِكَ، ولئِنْ كانتْ علّتُكَ قدْ قَرحَتْ وجرحَتْ، فإنَّ صحَّتَكَ قد آستْ وآنَسَتْ.

قد صافحَ الإقْبالُ والإبْلالُ، وقارَبَ النهوضُ والاستقبالُ. المرضُ قدِ انْحسَرَ، والألَمُ قدِ انْحَسَمَ. أبَلَّ، فعادتْ بهِ الصُّدورُ مَثْلُوجةً، والكُرُبُ مفروجةً. والحمدُ للهِ الذي حَرَسَ جِسْمَكَ وعافاهُ، ومحا عنهُ أثَرَ السُّقْمِ وعفَّاه. لا زالتِ العافيةُ شعارَكَ ما وَصلَ ليلُكَ نهارَك. سَوَّغَكَ اللهُ العافيةَ، وهنَّأكَ العيشةَ الراضيةَ. ومِن الأبياتِ المُسْتَحْسَنة في هذا المعنى قولُ أبي الطيِّبِ المتنبي: [من البسيط]

١- *المَجْدُ عُوفِيَ إذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ ... وزالَ عنْكَ إلى أعْدائِكَ الألَمُ*

٢- *وراجَعَ الشمْسَ نُورٌ كانَ فارَقَها ... كأنَّما فَقْدُهُ في جِسْمِها سَقَمُ*

٣- *ولاحَ بَرْقُكَ لَهُ مِنْ عارِضَيْ مَلِكٍ ... ما يَسْقُطُ الغَيْثُ إلاَّ حيثُ يَبْتَسِمُ*

٤- *وما أخصُّكَ في بُرْءٍ بتَهْنِئَةٍ، ... إذا سَلِمْتَ فكُلُّ الناسِ قدْ سَلِمُوا(١)*

وقولُ أبي منصور الثعالبي: [من الكامل]

١- [٦١/أ]- *صَحَّتْ بِصحَّتِكَ المَكارِمُ والعُلَى ... وتَباشَرتْ بِكَ مُهْجَةُ الإسْلامِ*

٢- *فَلَنَشْكُرَنَّ اللهَ جَلَّ جَلالُهُ ... مَدَّ الكَلامِ، وطاقَةَ الأقْلامِ(٢)*

---

(١) الأبيات في ديوان أبي الطيِّب المتنبي ج٤ ص٩١- ٩٢.

(٢) البيتان ليسا في ديوان الثعالبي (ط الجادر) ولا في مستدركاته.

- فَصلٌ في الفصد -

سمعتُ عبدَ الصَّمد بن علي الطبري[1] يقول للإمام المُوَفَّق[2] رحمه اللهُ عندَ فَصْدِهِ:

«فَصَدْتَ، فَصِدْتَ بِهِ العافيةَ» فاسْتَحْسَنَ كلُّ مَنْ حَضَرَ هذا التجنيسَ الغريبَ، وهذا اللفظَ القريبَ. ولا أدري، قالَهُ سماعاً، أم كان أبا عُذْرته. وأيّاً ما كان، فهو تجنيسٌ حَسَنٌ. ومثله ما قاله أبو القاسم الزعفراني لابنِ عبد الله الحامدي عنْدَ فَصْده: «فَصَدْتَ، فَصَدَّتِ العِلّةُ».

قال ابنُ المُعْتَزِّ للقاسمِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ عِندَ فَصْدِهِ: [من البسيط]

١- يا فاصِداً مِنْ يدٍ جَلَّتْ أياديها ... ونالَ مِنْها الذي يرجُوهُ راجيها

٢- يَدُ النَّدى هيَ، فارفقْ لا تُرِقْ دَمَها ... فإنَّ أرزاقَ طُلّابِ النَّدَى فيها(٣)

ولقدْ أحْسنَ القائلُ حيثُ يقولُ: [من البسيط]

١- كأنّما دَمُهُ في الطَّسْتِ حينَ جَرَى ... صِرْفٌ مِنَ الرّاحِ في قَحْفٍ مِنَ الذَّهَبِ

٢- حتّى إذا رَجَعَتْ في كُمِّهِ [خفيَتْ] ... كالشَّمْسِ غابَتْ عنِ الأبْصارِ في الحُجُبِ(٤)

٣- كانتْ كما قالَ في القرآنِ خالِقُنا: ... "وَاضْمُمْ جَناحَكَ يا مُوسَى مِنَ الرَّهَبِ"(٥)

- فَصلٌ في أنواعِ العِلَلِ -

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: [٦١/ب] «لا تَكْرهوا أرْبعةً، فإنّها لأربعةٍ: لا تكْرهُوا الرَّمَدَ فإنَّهُ يَقطعُ عروقَ العَمى، ولا تكْرهوا الزُّكامَ فإنّه يقطعُ عروقَ الجُذام،

---

(١) هو أبو القاسم عبد الصمد بن علي الطبري ولد بنيسابور. لَقِيَهُ الباخرزي بنيسابور سنة ٤٢٥هـ، وهو شاب طري، مات غرقاً في نهر. عمل في ديوان رسائل العميد أبي نصر بن مشكان –انظر فيه: تتمة اليتيمة ١٨٩ ودمية القصر ٢/٢٨٣.

(٢) هو أبو محمد هبة الله بن محمد بن الحسين، وصفه الثعالبي بأنه لسان الشريعة وحصن الأمة وشمس الملة. وانظر تتمة اليتيمة ص١٨٦.

(٣) البيتان ليسا في ديوانه.

(٤) كان صدر هذا البيت مكسوراً في المخطوط، لسقوط كلمة في آخره. وقد أضفنا ما يناسب المعنى والوزن.

(٥) ضمَّن الشاعر هنا جزءاً من الآية ٣٢ من سورة القصص (٢٨). وهي في القرآن ﴿اسْلُكْ يَدَكَ في جيْبِكَ تخرجْ بيضاءَ من غير سُوْءٍ. واضمُمْ إليكَ جناحَكَ من الرَّهَبِ، فذانِكَ برهانانِ من ربِّكَ إلى فرعونَ ومَلائِهِ إنهم كانوا قوماً فاسقينَ﴾.

ومعنى الآية: لا تخفْ من أن لا تشفى حالاً، كما شفيت يد موسى من البرص حين أدخلها في كمه، وأخرجها بيضاء من غير سوء.

ولا تكْرهوا السُّعالَ فإنّه يقطعُ عروقَ الفالِجِ، ولا تكْرهوا الدَّمامِيْل فإنَّها تقطعُ عروقَ البَرَصِ».

قالَ زيدُ بن أرْقَمَ[1]: أصابني رَمَدٌ، فعادني رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «يا زيدُ، أرأَيْتَ لو كانَ عيناكَ عمىً بهما ما كنْتَ صانِعاً»؟ قلْتُ: كنتُ أصبْرُ واحْتَسِبُ. قال: «إذنْ كنْتَ تلقى اللهَ، ولا ذَنْبَ لكَ».

سمعْتُ المَشْيَخَةَ قديماً يقولون: لا تكْرهُوا الدُّمَّلَ والزُّكامَ، فإنَّهما يقطعانِ عروقَ الجنونِ والجُذامِ. والدُّمَّلُ ممدوحٌ مِنْ وَجْهٍ، ومَذْمومٌ مِنْ وَجْهٍ. قرأتُ في ذكْرِهِ فصلاً للأستاذ أبي بكْر الخوارزمي في هذه العِلَّةِ وإنْ كانت مُوْجِعةً، وفي رأيِ العين فظيعةً شَنيعةً، فإنَّها إلى السلامة أقْرَبُ، وطريقُها إلى الحياةِ أقصرُ، لأنَّ عيْنَ الطبيبِ تقعُ عليها، ولأنَّ يَدَ المُمَرِّض والمعالج تصلُ إليها، وإنّما هي قَرْحٌ بثرتْ به الطَّبيعةُ، ودَمٌ أثارَتْهُ الحرارةُ. وظاهرُ الداءِ أسْلَمُ مِنْ باطنِهِ، وبارزُ الجُرحِ أهْوَنُ منْ كامِنِهِ، ثُمَّ هذه بَعْدَ علَّةٍ تعمُّ الأبْدانَ، فقلَّ مَنْ يَسْلَمُ منها| وإذا كانتِ العِلَّةُ غايةً كانَتْ أكثرَ طبيباً ودواءً، [٦٢/أ] وأخفَّ على القلوبِ إعْياءً، لأنَّ النَّفْسَ تَسْتريحُ إلى المشارَكةِ، وتأْنسُ بالجماعةِ، كما تَسْتَوْحِشُ من الوَحْدةِ.

أنْشدَني الحَسَنُ بن أبي الطَّيِّب الباخَرْزي[2] لِنَفْسهِ: [من الطويل]

١- إذا شِئْتَ أنْ لا تُبْتَلَى بالدَّمامِلْ فَعِنْ كُلِّ شَيءٍ مُفْسِدٍ لِلدَّمامِلْ

ولعمري لقد نَصَح منْ حيثُ الطبُّ، وطبَّق المَفْصِلَ في تَجْنيسِ اللفظِ.

- فَصْلٌ في التهنئةِ بِشُرْبِ الدَّواءِ -

أحْسَنُ ما سمعْتُ في هذا المعنى قولُ السَّرِيِّ المَوْصِلي يُهَنِّئُ سيفَ الدولةِ: [من الكامل]

١- عُقْبى دوائِكَ صِحَّةٌ تَغْشاكا وسَلامَةٌ تُشْجي قلوبَ عِداكا

٢- وسَحابُ عافيةٍ يَعمُّكَ وَبْلُها سعةً كما عَمَّ العُفاةَ نَداكا

---

(١) زيد بن أرقم: هو زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري، صحابي. غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة سنة ٦٨هـ.

(٢) هو أبو علي الحسن بن أبي الطيّب الباخرزي، قال فيه الثعالبي "فتىً كثَّر الله فضائله وحسَّن شمائله" وكان أديباً فاضلاً. وهو والد مؤلف دمية القصر المتوفى سنة ٤٦٧هـ.انظر تتمة اليتيمة ٢٢٠.

٣- داويتَ جِسْماً طالَ ما دَاوى الهُدَى ... تحتَ العجاجِ وأمْرضَ الإشْراكا
٤- وأخَذْتَ كأسَكَ والشفاءُ قرينُها ... فَلَو اسْتَطاعَ تحيَّةً حيَّاكا
٥- أتُرى الذي داواكَ يعلَمُ أنَّهُ ... داوى الغمامَ الجودَ إذ داواكا
٦- أنَّى يُصَفِّيكَ الدَّواءُ وشُرْبُهُ ... وتَوَرُّدُ الغمراتِ قَدْ صَفَّاكا
٧- ومتى شَكَتْ أعضاءُ جِسْمِكَ ... فَدواؤهنَّ قراعُكَ الفتَّاكا
٨- لازِلْتَ لابِسَ نعمةٍ فَضْفاضةٍ ... يَهْتَزُّ لا كِبْراً بهِ عِطْفاكا
[٦٢/ب]٩- واللهُ يُوليكَ السَّلامةَ مُنْعِماً ... ويجيبُ فيكَ دُعاءَ مَنْ والاكا(١)

وذكرَ المشيخةُ منْ أهلِ الطبِّ: أنَّ الدَّواءَ لِلْبَدَنِ كالصَّابونِ للثَّوبِ، ولكنْ يُبْليهِ.

وهذه نُكتٌ يُحتاجُ إليها يسيرةٌ في ذكْرِ العافيةِ. رَوَيْنا عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «إليكَ انتهتِ الأماني يا صاحبَ العافية».

ويُنْشَد في مَدْحِ العافية: [من البسيط]

١- إنِّي، وإنْ كانَ جَمْعُ المالِ يُعجِبُني ... لايعدلُ المالُ عندي صحَّةَ الجَسَدِ
٢- المالُ زينٌ، وفي الأولادِ مكْرُمةٌ ... والسُّقْمُ يُنْسيكَ ذِكْرَ المالِ والوَلَدِ

- فُصولُ التهاني بالأعْمالِ والخِلَعِ والولاياتِ -

كَتَبَ القاضي أبو أحمد إلى أحمد بن عبْد الصَّمَدِ يهنِّئُهُ بوزارةِ الأمير مسْعودٍ: [من الطويل]

١- هَنَتْكَ، ولازالتْ إليكَ فَقيرةً، ... ولايةُ سُلْطانٍ وطاعةُ أُمَّةِ

كتبتُ: أطالَ الله بقاءَكَ، والأيَّامُ أعيادُ، ولنجومِ السُّؤْدِدِ والمَجْدِ إصْعادُ، وللدَّهْرِ بكلِّ حَسَنٍ وحُسَيْنٍ إسْعادُ، والدنيا مُبْيَضَّةُ الآفاقِ، والعيدانُ مُخْضَرَّةُ الأوراقِ، والعيشُ طَلْقٌ، والمُنَى أَمَمٌ(٢)، وصدْرُ المُلْكِ حالٍ، والفتْحُ مُنْبَثُّ السَّنا،

---

(١) الأبيات في ديوان السري الرفاء (بغداد ١٩٨١) ٢/٥٢٣.
(٢) أَمَم: قريبة وفي المتناوَل.

والغَيْث مُنْهَلٌ العَزالى، وكواكبُ الآمالِ [٦٣/أ] زُهْرٌ، غَيْرُ مائِلةِ الذيالِ، بما أطْلَعه اللهُ تعالى بهِ في الصَّدْرِ مِنَ البَدْرِ، وأوْجَدَهُ الفضلُ بمكانةٍ منْ عُلُوِّ القَدْرِ، وأفاضَهُ بإشْراقِ زمانِهِ على الأيَّام من الجمالِ، وقُيِّضَتِ الأحْوالُ تحتَ ظلالِهِ من الانتظامِ والاعتدالِ، ولكُلِّ عينٍ قرَّةٌ، ولكلِّ وجهٍ غرَّةٌ، ولكلِّ قلْبٍ فرحةٌ، يعتادُها ومسرَّة.

ولكلِّ لسانٍ بحَمْدِ اللهِ تعالى جدُّهُ انطلاقٌ، ولكلِّ ضميرٍ على الرضا عن صروفِ الليالي انطباقٌ، فالحمدُ لله وصَلَ الفرعَ بالأصلِ، وجمع بين النَّصْرِ والنَّصْلِ، ونَسَخَ ظُلْمةَ الليلِ بنُورِ الشَّمْسِ، ومحا بسَعْدِ اليومِ نَحْسَ الأمْسِ، ومازالتْ هذه الدولةُ المباركةُ بهذهِ البهجةِ حاليةً، وبمثْلِ هذهِ السَّعادةِ الناميةِ عاليةً، وعرَّف اللهُ مولانا بركةَ هذا الإقْبالِ، وجعَلَ ما أتاهُ منه مُتَّصِلَ الأوْصالِ، على تناوبِ الغدوِّ والآصالِ، منتهياً إلى حيث لا منتهى إليه بعد الآمال.

وكتَبَ أيضاً إلى أحمدَ بنِ الحسَنِ لمَّا رَدَّ الوزارةَ إليه الأميرُ مَسْعُوْدٌ:

قد عَدلَ الدَّهْرُ واعْتَدَلَ الأمْرُ، ورقَّتْ حواشي الأيَّامِ، وأخذتِ الأحوالُ سَنَنَ النظامِ، وخيَّمَ السعدُ في دارِهِ، وجَدَّ فُلْكُ السُّؤْددِ في مدارِه: [من الكامل]

[٦٣/ب] ١- **وعلا عمادُ المجْدِ بَعْدَ سُقُوْطِهِ ... وأضاءَ نَجْمُ الفضلِ بعدَ أُفُوْلِهِ**

٢- **وانهلَّتِ الأنْواءُ بعدَ خُمُودِها ... واهتزَّ عُوْدُ المجْدِ بعدَ ذُبُوْلِهِ**

يعودُ زمانُ مولانا -أدام اللهُ تمكينَهُ، كأحْسَنِ ما كانَ حُسْنَ رسومٍ، وطُلُوْعَ نجومٍ، وصفاءَ أديمٍ، وطيْبَ نسيمٍ، وخصْبَ جنابٍ، وامتدادَ أطنابٍ. والحمدُ للهِ على ما ركَّبَ النَّصْلَ في نِصابِهِ، وشَفَى المُلكَ مِنْ أوْصابِهِ، وأعادَ الأمْرَ إلى أرْبابِهِ، وانتَضَى الصَّارِمَ العَضْبَ[1] مِنْ قِرابِهِ، وإليه -عزَّ اسمُهُ- الرغبةُ في زيادةِ هذا الجمالِ، وحراسةُ هذا العِزِّ من عينِ الكمالِ، وإدامتُهُ موصولَ الأوْصالِ، نامياً على تَداوُلِ الغُدُوِّ والآصالِ.

شِعْر: [من الكامل]

١- **حتَّى نَرَى الدُّنْيا ربيعاً حاضِراً ... تُهْدي السُّرورَ لنا ورَوْضاً ناضِرا**

٢- **ونَرَى الزَّمانَ مُساعِداً ونرى السُّعو ... دَ طوالِعاً، ونَرَى النُّحوسَ غوائِرا**

---

[1] العضْب: السيف القاطع.

وكتبَ أيضاً يهنئه بالرئاسةِ كتابي، ومَنْ كانت له آبيةٌ، وعن صحّته نابيةٌ، فإنَّها تحلُّ عند الشيّخ الكَنَفَ الرَّحْبَ، وتُوْرِدُ الوِرْدَ العَذْبَ، وتنزلُ الوطنَ الذي لا تريدُ به بدلاً، ولا تبغي عنه حِوَلاً، ولمَّا عرفْتُ خَبَرَ ما أتاهُ السُّلْطانُ من تَشْرِيفِهِ بالمحلِّ الذي [٦٤/أ] يتزيَّنُ بهِ، ولم يزيِّنْهُ، ويتجمّلُ بهِ ولم يُجمِّلْهُ، وأصبحَ صدراً تبوّأهُ صدرٌ، وأفقاً طلعَ فيه بَدْرٌ، وعريناً سَكَنَهُ ليثٌ، وروضاً فاضَ عليه غَيْثٌ. قُلْتُ: حَقٌّ عادَ إلى أهْلِهِ، وفضيلةٌ صارتْ إلى مَنْ لا إنكارَ لفضْلِهِ. وقرينةٌ زُفَّتْ إلى مَنْ تدرَّعَ ظلالَها، وتسرْبَلَ جمالَها: [من المتقارب]

فلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إلاّ لَهُ ... ولمْ يَكُ يَصْلُحُ إلاّ لها

وكانَ ما نالني مِنَ السرورِ بقَدْرِ ما لي من التقدُّمِ في ولائِه، والاشتمالِ على الودِّ الذي لا كَدَرَ لِصفائِهِ. واللهُ يهنئهُ ما أوْلاهُ، ولا ينزعُ عنهُ ما كساهُ، ويبلِّغُهُ من السؤْدُدِ ما يَتَمنَّاهُ، ولا يُخْلِيْه من عزٍّ لا ينتهي مداهُ، وإقْبالٍ لا يلتقي طَرَفاهُ بمنِّهِ وفضلِهِ.

- فَصْلٌ في تَهْنِئَةِ مَنْ وُلِّيَ الديوان -

الشَّيْخ -أطالَ اللهُ بقاءَهُ- فيما أُسْنِدَ من أمْرِ الديوانِ إلى كفايتِهِ وغنائِهِ، ونِيْطَ بأمانتِهِ ووفائِهِ، يَجِلُّ عنْ أنْ يُهَنَّأَ بمثلِهِ، إلاّ أنَّ التهنئةَ مِنَ العاداتِ الجاريةِ، والرُّسومِ الماضيةِ. وأنا أسألُ اللهَ جلَّ وعزَّ أنْ يُهَنِّيَهُ ما أولاهُ، ويُعرِّفَهُ بَرَكَةَ ما أعطاهُ، ويقرنَ الصّنعَ والسَّعادةَ والخَيْرَ بما حباهُ، ويحرسَ عندَهُ أفضَلَ ما آتاهُ، ويبلِّغَهُ منْ دُنْياهُ وأخْراهُ، [٦٤/ب] أقْصَى ما يتمنَّاهُ ويَهْواهُ، ويُريهِ منْ مُواليهِ ومُعاديهِ مُرادَهُ ومُبْتَغاهُ.

- فَصْلٌ للصاحب في تهنئة قاضٍ بالخِلْعَةِ -

قدْ شُرِّفْتَ -أيُّها القاضي- أطالَ اللهُ بقاكَ، وأدامَ تَوْفيقَكَ ونُعْماكَ، من حضرةِ الأميرِ، حَرَسَ اللهُ مكانَهُ، وأدامَ سلطانَهُ، لما نجزَتْهُ لكَ عنايتي، وأثمرتْهُ لك رعايتي من الخِلْعةِ، وأُهِّلْتَ فيها لمزيدِ الكرامةِ والرِّفْعةِ، وليسَ الذي يحضُرُ فيُفاضُ عليهِ، كمنْ يُؤهَّلُ لإصْدارِها إليهِ، فهنَّاكَ اللهُ أنْ صِرْتَ المَمْطُوْرَ ببلدتِهِ، والمكفيَّ مشقّةَ نَجْعتِهِ[1]، وأعاننا وإياكَ، على الشكْرِ الذي هو عِقالُ[1] النِّعَمِ، ورِباطُ المِنَحِ يحرسُها على الشرودِ، ويحوطُها عن الندودِ[2].

---

[1] في المخطوط: "نجعة" والصواب ما أثبتنا، لأن المعنى يتطلبه والسُّجعة تَسْتقيم به. والنجعة: الرحلة في طلب الخير والرفد.

ومثْلُهُ: القاضي عَلَمُ العِلْمِ شَرْقاً وغرباً، ونَجْمُ الفضْلِ غوراً ونَجْداً، وشَمْسُ الأدَبِ براً وبحراً. فسبيلُ الأعمالِ أنْ تُهْنَا إذا رُدَّتْ إلى نَظَرِهِ الميمونِ، وعُصِّبَتْ برأيِهِ المأمونِ.

أَسْعَدَ اللّهُ القاضي بِما جُدِّدَ لهُ مِنْ رَأْيِ الأميرِ وارتضائِهِ، واعتمادِهِ لأجْلِ أمورِ الشريعةِ وانتصابِهِ، وأسْعَدَ الدينَ والمسلمينَ بِما أصارَهُ إليهِ، وجَعَلَ زِمامَهَ بيديهِ.

- فَصْلٌ آخر [٦٥/أ] لأبي أحْمَدَ الأزْدي-

وما أُهنِّئُ الشَّيْخَ برُتْبَةٍ ينالُها، وحالٍ سنيَّةٍ[٣] يَمْتَدُّ عليه ظلالُها؛ فإنَّ الرُّتَبَ، وإنْ جلَّتْ أقدارُها، وعظمتْ أَخْطارُها، تُسْتَقَلُّ إذا أُضيفَتْ إلى مِقْدارِهِ، وتُسْتَخفُّ إذا وَزِنَتْ بمعيارِهِ. ولكنِّي أُهنِّيْهِ بما قسَمَ اللّهُ -عزَّ اسمُهُ- من حُسْنِ رأيِ السلطانِ- أطالَ اللّهُ بقاءَهُ، ونصرَ لواءَه_ الذي هو الحَظُّ الأنْفَسُ، والعِزُّ الأقْعَسُ[٤]، والشَّرَفُ الأفْرَعُ[٥]، والمحلُّ الأرْفَعُ، والحالُ الذي يَتباهى بها الرجالُ، ويتناهى إليها الهِمَمُ والآمالُ، ولما انضمَّ الآنَ منه للشيخِ آنِفٌ إلى سالِفٍ، وأُمِدَّ تالِدٌ[٦] بطارِفٍ[٧]، خصَّني مِنَ السُّرورِ ما لا يُترجِمُ عنه، ما أحبِّره من السطورِ، على قضيَّةٍ ما يجمعُنا من الودِّ المعمورِ، والإخاءِ الموفورِ، والتصافي الباقي على الدُّهورِ.

- فَصْلٌ لأبي النَّصْرِ العُتْبي في التَّهْنئةِ بالعَمَلِ-

الحمدُ للّهِ الذي بلَّغَ الشيْخَ بعضَ آمالِهِ، وخَلَعَ عليه ثوبَ جمالِهِ، وعقَدَ له على ما خَطَبَهُ بصَداقِ[٨] فَضْلِهِ وكمالِهِ، وجَعَلَ ما أتاحَهُ لَهُ منْ ثِمارِ شبابِهِ، وعُجالةِ ما يستحقُّهُ بمحاسنِ آدابِهِ. وإليه الرغبةُ في أن نُهَنِّئَهُ ما أَوْلاهُ، وإسعاده بأوائلِ ما تمنَّاهُ، وتَدْريجِهِ [٦٥/ب] إلى ذروة الاستحقاق ببيضِ مساعيهِ، وغُرٍّ

---

(١) عِقال النعم: رباطها.
(٢) النُدود: مصدر نَدَّ، أي بَعُدَ وفَرَّ.
(٣) سنيَّة: طيِّبة وارفة.
(٤) الأقْعَس: الثابت المنيع. وتَقاعَسَ العِزُّ: امتنع ولم يُطَاطئ رأسَهُ.
(٥) الأفْرَع: الأعْلى. وفَرْعُ كل شيء أعْلاه.
(٦) التالِد: القديم الأصيل.
(٧) الطارِف: الجديد المُسْتَحْدَث.
(٨) الصَّداق: المهْر.

مآثِرِهِ ومعاليهِ، إنَّ القناةَ على الأيَّام [لا] تَستمرُّ كُعُوباً[1]، وإنَّما تَنْمَى وتُنْبِتُ أُنْبوباً فأنْبوباً، وأوَّلُ النُّورِ بُرْعُومٌ ثم يَتفتَّقُ، ومبدأُ الفَجْرِ سجْفٌ[2] ثم يتخرَّقُ، وأوَّلُ الغيْثِ قَطْرٌ ثم ينسكِبُ.

- ولَهُ فَصلٌ في إنْعام السُّلْطان-

الفَضْلُ جِسْمٌ، روحُهُ مساعدةُ الزمانِ، وصَدْرٌ، وشاحُهُ إنْعامُ السلطانِ، وكلُّ جِسْمٍ بغيرِ الرُّوْحِ باطِلٌ، وكلُّ صَدْرٍ بغيرِ الوِشاحِ عاطِلٌ.

- ولهُ في مَدْحِ السُّلْطان-

عَمَلُ السلطان حِبالةُ المنالةِ، وشرْكُ الدَّرَكِ، وقَيْدُ الصيدِ، ولولا الرفْقُ والمعونةُ لما الْتُزمَتِ المؤونةُ، ولم تُبْتَذَلِ الأعْراضُ المصونةُ، فَمَنْ أصابَ من عملِهِ سنيّاً، فلْيَأْكُلْهُ هنيّاً مريّاً[3].

- ولَهُ تهْنِئةٌ بِخلْعةِ السُّلْطان-

لولا أنَّ السُّلْطانَ خليفةُ اللهِ على إدالةِ حقِّهِ[4]، وإنالةِ خَلْقِهِ، وأنَّ كرامتَهُ نُسْخةُ صُنْعِهِ لِعَبْدِهِ، ولطفِهِ بإسعادِ جَدِّهِ، لكانَ مِنَ المُحالِ تهنئةُ مثْلِهِ بخلعةٍ تُجْبَى[5] إليه حبالُها بها، وزينةٍ بهيٌّ عليه ثيابُها، فما يُهَنَّأُ الدُّرُّ بِصَدَفِ جلْدِهِ، ولا السَّيْفُ بِحِلْيةِ غِمْدِهِ، ولا المِسْكُ بواقيةِ إهابِهِ[6]، ولا اللبُّ بغاشيةِ [٦٦/أ] قِشْرِهِ وحِجابِهِ. غيرَ أنَّ نظَرَ السُّلْطانِ عِزٌّ وشرَفٌ، وفخرٌ مُطْرَفٌ[7]، ونوْرٌ يخرجُهُ الربيعُ للأبْصارِ، ووَرَقٌ يبسطُهُ على الأشجارِ، فتحيا بنُضْرتِهِ العيدانُ، وتُجْلَى بخُضْرتِهِ الأغْصانُ. فهَنَّأَهُ اللهُ ما أوْلاهُ، ومتَّعَهُ فيما حَباهُ. ولازالَ والياً بالنعَمِ، باهِياً بالمجدِ والكَرَمِ.

---

(1) الكعُوب: جمع كَعْب، وهو العقدة بين الأنبوبين، أوهو طرف الأنبوب الناشز.
(2) السجْف: الستر.
(3) المريء: السائغ.
(4) الإدالة: الغَلَبة والنصر. يُقال: أُديل لنا على أعدائنا أيْ نُصِرْنا عليهم.
(5) تُجْبَى: تُجذب، وتحصل.
(6) الإهاب: الجلد أو الجسد.
(7) مُطْرَف: حديث.

- فَصلٌ لأبي الفَرَجِ بن هِنْدُو، كَتَبَ عن إلكيًّا الجليل[1] إلى الأميرِ مَسْعود لمَّا خَلَع عليه القادرُ باللهِ-

وإنَّ مولانا وسيِّدَ الأنامِ القادرَ باللهِ -أميرَ المؤمنينَ- أعزَّ الله نَصْرَهُ، ورفَعَ قَدْرَهُ، تتبَّعَ مواقِعَ ودائعِهِ، ومغارسَ صنائِعِه، وأجالَ فِكرَهِ الذي يهبطُ عليه التوفيقُ الإلهيُّ، ويتَّشِحُ فيه التأييدُ السَّماويُّ، فِيْمَنْ يُحمِّلُهُ أعباءَ الممالِكِ دانيها وقاصيها، ويضعُ في يدِهِ الثِّقافَ[2] حتى يقوِّمَ المُنْآدَ[3]، ويُهذِّبَ العبادَ، فألْهمه اللهُ تعالى لمَّا عَلِمَ خُلُوصَ نيَّتِهِ، ونقاءَ طَويَّتِهِ أنْ ينتخبَ لذلكَ البَدرَ المنيرَ اشتهاراً، والطَّوْدَ المُنيفِ وَقاراً، والغيثَ الهاطِلَ إنالةً، واللَّيْثَ الخادرَ[4] بسالةً، والبحرَ الزاخرَ علوماً وأدباً، [٦٦/ب] والقُسْطاسَ[5] المستقيم عدْلاً وإنصافاً، فولَّى بيدِهِ العاليةِ عقْدَ لوائِهِ الذي يخفقُ، بإذْنِ اللهِ، على الأقاليمِ السَّبْعةِ وترصيعَ تاجِهِ الذي تُلاقي معاقِدُه شَمْسَ النهارِ، وشخْصَ الأُبَّهةِ والوقارِ، ووَصَلَ ذلكَ لَهُ بنفائسِ المِنَحِ، وكرائمِ الخِلَعِ مِنْ ملابسَ وَهَبَ لها الربيعُ بَهْجَةَ أنوارِهِ، كأنَّها تصاويرُ مَنْقوشةٌ بالأقْلامِ، أو تماثيلُ مُغَلِّطةُ الأوْهامِ، تنوءُ بالْمراكبِ المقدودِ سيرُها مِنْ أديمِ السَّماءِ، المُشْتَقُّ حليُّها مِنْ كواكبِ الجوزاءِ، أو عَهْدٍ قد استُمْلِيَ عن العبارةِ العَلَويَّةِ التي تميسُ ألْفاظُها بينَ عزَّةِ الخِلافةِ، وهزَّةِ الأمامةِ، فانْتَصَبَ مولانا على سريرِ المُلْكِ، وبهاءُ تاجِهِ يَحْسُدُ لآلاءَ غرَّتِهِ، والخلْعةُ عليهِ تَتَخَشْخَشُ ارتعاداً مِن هَيْبَتِهِ، وهنَّأ اللهُ مولانا ما جُدِّد لهُ مِنْ هذهِ النعمةِ الغرَّاءِ، ورقَّاهُ إليهِ مِنْ هذهِ الرُّتْبةِ الشَّمْساءِ[6]، وأعانَهُ على أنْ يُحصِّنَها عن الزوالِ، ويقصَّ دونه أجنحةَ الانتقالِ، بالمثابرةِ[7] على طاعةِ اللهِ التي هي، بحمدِ اللهِ، شِعارُهُ[8] ودِثارُهُ[9]، والحفظِ لعبادِ اللهِ الذي هو فكرُهُ وإيْثارُهُ، وأشْعرنا اللهُ

---

(1) إلكيًّا: كلمة فارسية تعني الكبير.
(2) الثِّقاف: آله تسوّى بها الرماح.
(3) المنآد: المعوجّ.
(4) الخادر: المقيم في بيته. وخِدْر الأسد بيته.
(5) القُسْطاس: أعدل الموازين وأقْومها.
(6) الشمساء: الصعبة المُعانِدة.
(7) في المخطوط هامش جاء فيه: "المثابرة: المداومة".
(8) الشِّعار: الثوب الذي يباشر الجسد.
(9) الدثار: الثوب الذي فوق الشّعار.

مَعاشَرَ خَدَمِهِ التي هي لطاعةِ [٦٧/أ] مولانا أميرِ المؤمنين رسيلةً، وإلى مَرْضاةِ ربِّ العالمين وسيلةً.

- وللصَّاحِبِ في التَّهْنئةِ بالوزارة(١)-

أُهنِّئُ سيِّدي بالنعمةِ التي عَمَّتْ أهْلَ الأرْضِ، وخَصَّتْ ذوي الفَضْلِ، وقَدَّمْتُ مِنَ الدُّعاءِ ما أَسْرَرْتُ أكثرَ منْهُ وأوفَرَ، وأخْلَقَ بالإجابةِ وأجْدَرَ. ووَرَدَ الخَبَرُ بذكْرِ ما رآهُ السلطانُ أطالَ اللّهُ بقاءَهُ منْ تبليغِ الوزارة سُؤْلَها، وإعْطاءِ الرئاسةِ مأْمولَها، بِجَعْلِكَ -يا سيدي- لباساً لها من العزِّ لا تنضو(٢) جِدَّتُهُ، ولا تَخْلُقُ بُرْدَتُهُ وخِلْعتُهُ، التي لو أُفيْضَتْ على الشَّمْسِ لما طَلَعَتْ، والسَّيْفُ والمِنْطَقَةُ اللذين لا تُدانِيْهما أوْشحةُ المجرَّةِ، ولا تُساوِيْهُما الثُّريّا في محاسنهما الجمّةِ. فعرَّفَ اللّهُ سيِّدي مِنْ سعادةِ علمِهِ أفْضَلَ ما رماهُ بأملِهِ، ولقّاهُ منْ مناجِحَ أمْرِهِ أبْلَغَ ما انْتحاهُ بفكْرِهِ، وحَرَسَ ما أعْطاهُ عن أيدي التخوُّنِ، وحصَّنَ ما أوْلاهُ عن عوادي التَّحيُّفِ، إنَّهُ فَعَّال لما يريدُ. والحمدُ للّهِ الذي أقرَّ عَيْنَ الفضْلِ، ووَطَّأَ مِهادَ المجْدِ، وتَرَك الحُسَّادَ يتَعثَّرونَ في ذُيُولِ الخيبةِ، ويَسْقُطُونَ في فضولِ الحَسرةِ، حَمْداً يُديْمُ أَيَّامَ مولانا الأميرِ، ويحرسُ عزَّهُ ويُطيلُ بقاءَهُ، وينصرُ لواءَهُ [٦٧/ب] فلقدْ شَرَحَ صُدورَ المحاسِنِ، وشدَّ ظُهُورَ المحامِدِ، بِتَفْويضِ الصَّدْرِ إلى مَنْ وليَهُ بحقَّيْ قديمٍ وحديثٍ، وأوْليهِ بِفَضْلَيْنِ مُكْتَسَبٍ ومَوْروثٍ، وفَّقَهُ اللّهُ تعالى لطاعتهِ التي هي أسْعَدُ مَتْجرٍ، وأعْظَمُ مَفْخَرٍ، ولقّاهُ في نفسهِ أفضلَ سَعادةٍ قُسِمَتْ لوالي عملٍ، وأحْضَرَ بَرَكَةٍ أسْهَمَتْ بمسامي أملٍ بمنِّهِ.

- وللقاضي مَنْصُور فَصلٌ في التَّهْنِئَةِ بِخلْعةِ السُّلْطان-

اتَّصلَتِ الأخبارُ بِما جَدَّدَ لَهُ السُّلْطانُ، أطالَ اللّهُ بقاءَهُ، وشرَّفَهُ بهِ، من خِلْعَةٍ خَلَعَتْ أكْبادَ الحُسَّادِ، وأعادتِ الأيَّامَ كالأعْيادِ، فَقلْتُ: أمْرٌ جرى على سبيلهِ، وماءٌ انْصَبَّ إلى مَسيلهِ، ونجْمٌ طَلَعَ من مطالِعِهِ، وإحْسانٌ صادَفَ أحسَنَ مواقعِهِ. وكانَ سُروري بما يَسَّرَ اللّهُ من هذا الحالِ، سرورَ مَنْ وقفَ عليهِ بورودِهِ العذْبِ

---

(١) بعض عبارات هذا الفصل واردة في كتاب سحر البلاغة وسر البراعة (تحقيق عبد السلام الحوفي) ص٩٦- ٩٧.

(٢) نضا ينضو: بَلِيَ وتلف.

الزُلالِ، وطاعته التي لا تزدادُ إلاّ قوّةً على مرِّ الغُدوِّ والآصالِ. وسألْتُ اللهَ تعالى أنْ يجعلَها فاتحةَ أَسْبابٍ منَ العِزِّ، يَحْسدُ الأوَّلُ منها الآخرَ، ويُنافِسُ الواردُ منها الصادِرَ، حتَّى يطَّرِدَ لهُ أمانيهِ، ويعمرَ بما يحبُّهُ ويريدُهُ مغانيهِ، ولا يُخْلِيْهِ في كُلِّ وقتٍ مِنْ [٦٨/ب] عزٍّ جديدٍ، وظِلٍّ مِنَ السُّؤْدُدِ والشَّرَفِ مديدٍ.

- فَصْلُ الأَدْعيةِ للوالي -

خارَ[١] اللهُ لهُ فيما ولاّهُ وطوَّقَهُ، وبلَّغهُ في كلِّ حالٍ أملَهُ وحقَّهُ. وعرَّفَهُ مِنْ يُمْنِهِ الخَيْرَ والخَيْرةَ[٢]، والبركاتِ الحاضرةَ والمُنْتَظرةَ. وجعَلَ المنائِحَ إليهِ أرْسالاً، تأتيه اتّصالاً. وأحْضَرَ اللهُ السَّدادَ عَزْمَهُ، وألْزَمَ الرَّشادَ هَمَّهُ، وكَنَفَهُ[٣] بالعُصْمةِ وأيَّدَهُ، وقَرَنَ به التوفيقَ ولا أفردَهُ. وهنَّأه الموهبةَ التي ساقها إليهِ، ومَدَّ رِواقَها[٤] عليه.

وهنَّأَ خالِدُ بنُ عبد اللهِ[٥] عُمَرَ بنَ عبد العزيز، فقالَ: مَنْ كانتِ الخلافةُ زانَتْهُ فأنتَ زيَّنْتُها، ومَنْ شَرَّفَتْهُ، فإنَّك شرَّفْتَها، فأنْتَ كما قال الشاعر: [من الخفيف]

١- *وإذا الـدرُّ زانَ حُـسْنَ وجـوهٍ ... كـانَ لِلـدُّرِّ حُـسْنُ وجْهِـكِ زَيْنـا*

٢- *وَتَزيدينَ أطيبَ الطِّيبِ طِيْباً ... إنْ تمسِّيهِ، أيـنَ مِثْلُكِ أيْنـا؟؟*

لمَّا نَفَضَ رجاءُ بن حيوة[٦] يَدَه مِنْ قبْرِ سُلَيْمانَ بنِ عبد الملكِ، قامَ إلى عُمَرَ بنِ عبد العزيز، فقال: السَّلامُ عليك يا أميرَ المؤْمنين، واللهِ ما زيَّنَتْكَ الخلافةُ، ولقدْ زَيَّنْتَها، وهي كانتْ أحْوَجَ إليكَ مِنْكَ [٦٨/ب] إليها، وما مثلُكَ ومثلُها إلاّ كما قال الشاعر: «وإذا الدرُّ زانَ حُسْنَ وُجُوْهٍ» البيتان.

---

[١] خارَ: فضَّل وانتقى.

[٢] الخِيْرة: مصدر خارَ، ومثلها الخِيْرة. وفلان خيرة أصحابه، أفْضَلُهم.

[٣] كَنَفَه: أحاطه.

[٤] الرِّواق: السَّقْف والغطاء.

[٥] هو خالد بن عبد الله القسري أمير العراقين، وأحد خطباء العرب، يماني الأصل من أهل دمشق، ولي مكة سنة ٨٩ هـ، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة)، توفي سنة ١٢٦هـ.

[٦] هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندي، شيخ أهل الشام في عصره، من الوُعَّاظ الفُصَحاء العلماء، كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١١٢هـ.

- فَصلُ الأبياتِ في هذا المَعْنَى -

أنْشَدَني أبو منصور الثعالبي في تهنئة الأمير محمودٍ: [من الكامل]

١- نثَرَتْ عليكَ سُعُودَها الأفلاكُ ... وعَنَتْ لعِزَّةِ وَجْهِكَ الأمْلاكُ
٢- زُوِّجْتَ بالدُّنيا لأنَّكَ كفْوها ... فاسْعَدْ بها، ولْيَهْنكَ الإمْلاكُ
٣- فالأرْضُ دارُكَ، والورى لَكَ أعْبُدٌ ... والبدْرُ نَعْلُكَ، والسِّماكُ شِراكُ(١)

ولابن الرومي: [من البسيط]

١- مَنْ كانَ أهْلاً لإمْتاعٍ بدوْلَتِهِ ... فأنْتُمُ أهْلُ إمْتاعٍ وتَخليدِ
٢- فالنَّاسُ في روضةٍ منكمْ وفي عُرُسٍ ... والدَّهْرُ في جُمْعَةٍ منكمْ وفي عيدِ(٢)

ولعليّ بن عبد العزيز الجرجاني: [من البسيط]

١- زَهَتْ بكَ الخِلْعَةُ الميمونُ طائِرُها ... كزهْوِ خِلْعَةِ بَيْتِ اللهِ بالبيْتِ

ولابن الرستمي: [من الكامل]

١- ولئنْ كبُرْتَ عَنِ الملابسِ والحَلى ... وبكَ المَلابِسُ والحَلى تَتَشَرَّفُ
٢- فالبيْتُ يُكسَى، وهو أشْرَفُ بُقْعةٍ ... في كُلِّ عامٍ مَرَّةً ويُسَجَّفُ

ولأبي الحَسَنِ الأرباعيّ: [من الكامل]

[٦٩/أ] ١- عَلتِ الوزارَةَ إذْ عَلَوْتَ مَحلَّها ... يا خيرَ مَنْ عَقَدَ الأمورَ وحَلَّها
٢- إنَّ الوزارَةَ رُتْبَةٌ مَرْمُوقَةٌ ... خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هَوَىً لها
٣- هذي الوزارَةُ في الحقيقةِ لا التي ... كانتْ تقاسمُها الأراذِلُ قبْلَها

وقول آخر: [من البسيط]

١- لا زالَ مُلْكُكَ مَخْصوصاً بأربعةٍ ... أمْنٍ ويُمْنٍ وتأبيدٍ وتأييدِ
٢- وعِشْتَ للدِّينِ والدُّنيا وأهلِهِما ... وللْعُلى والنَّدى والبأسِ والجودِ
٣- فأنتَ للمُلْكِ لا فارَقْتَهُ أبداً ... كالنَّارِ للعُودِ، بلْ كالماءِ للعُودِ

---

(١) الأبيات الثلاثة في ديوان الثعالبي (ط الجادر) ص١٠٠. والسِّماك: نجم معروف. والشِّراك: سَيْر النعْل.
(٢) البيتان في ديوان ابن الرومي ٦٣٥/٢.

- فَصلٌ في مَدْحِ العَزْلِ لأبي نَصرِ العُتْبيّ -

لا يَهُمنَّكَ -مولايَ- عزلُكَ، ومَعَكَ فضلُكَ، فإنَّ عزْلَكَ، عِزٌّ لكَ. والعالِمُ، مَعْزولاً، أحْسَنُ منه مُوَلّى. والسَّيْفُ، مَسْلولاً، أبْهى منه في الغمْدِ مُحَلّى. والمِسْكُ يصدُقُ نَشْرُهُ، إذ أُخِذَ منه قِشْرُهُ، ويذكو نسيمُهُ إذا بُزَّ[1] عنْهُ أديمُهُ. واللهُ يخيرُ لكَ فيما يبتليك، ويحفظُ عليك مِنَ الفضلِ العظيمِ سَلَبَكَ.

قال الشاعر: [من مجزوء الكامل]

١- إنَّ الأميرَ هو الذي يُضحي أميراً يومَ عَزلِهْ

٢- إنْ زالَ سُلْطانُ الولا يةِ كانَ في سُلْطانِ فَضْلِهْ

[٦٩/ب] كَتَبَ أبو الفضْلِ الهمذاني إلى بعضهم:

نَهتِ الحكماءُ -أدامَ اللهُ عِزَّ الشَّيْخِ- عَنْ صُحْبَةِ الملوكِ، فقالُوا[2]:

«إذا خَدَمْتَهم مَلُّوكَ، وإنْ لم تَخْدُمْهم أذَلُّوكَ، وإنَّهم يَسْتَعْظِمونَ في الثَّوابِ رَدَّ الجوابِ، ويَسْتَحِلُّونَ في العِقابِ ضَرْبَ الرِّقابِ، [وإنهم ليعثرون على العثرةِ مِنْ خَدَمِهم فيبنون لها مناراً، ثم يوقدونها ناراً، ويعتقدونها ثأراً]، ويُغادِرون بلطيفِ التحفةِ، فلا يقيمون لها وزْناً، ولا يعرفون لها قدْراً».

وقالوا: كُنْ مِنَ الملوكِ، مكانَكَ من الشَّمْسِ، إنَّها لتُؤْذِيْكَ، والسَّماءُ لها مدارٌ، والأرْضُ [لك][3] دارٌ، فكيف لو أسفَّتْ[4] قليلاً. وإنَّ العاقلَ ليطلُبُ منها مَزيدَ بُعْدٍ، فيتَّخذُ في الأرْض سَرَباً، لواذاً منها وهرباً، ويبتغي في الأرْضِ نَفَقاً، فراراً منها وفَرَقاً. وكما ضَرَبُوا الشمسَ للملوكِ مثلاً، كذلكَ جعلُوا البَحرَ عنهم بدلاً، فقالُوا: «جاوِرْ مَلِكاً، أو بحراً، وأحْرِ براكبِ البحْرِ أن لا يَسْلَمَ». وقالوا: «مَثَلُ صاحبِ السُّلْطانِ، كراكبِ الأَسَدِ يهابُهُ الناسُ، وهو لِمَرْكَبِهِ أهْيَبُ».

---

(١) في المخطوط هامش يقول: "بُزَّ أيْ سُلِبَ". والأديم: القشر الذي يغطي المِسْكَ.

(٢) هذا الفصل في يتيمة الدهر: ٣٠٢/٤- ٣٠٣. وفيه تصويب وإضافة على ما جاء في المخطوط.

(٣) سقطت [لك] من المخطوط. وأضفناها من يتيمة الدهر.

(٤) في المخطوط هامش يقول: "أسفَّتْ أي دَنَتْ".

- فَصْلٌ في التهنئةِ بالخُروجِ مِنَ[1] الحَبْسِ -

بلغني الخبرُ بما اقتناهُ السلطانُ، أطالَ اللهُ بقاءَهُ، مِنَ المأْثرةِ [٧٠/أ] البكْرِ التي هي ديباجةُ الدُّنْيا، ومكرمةُ الدَّهْرِ، باستنقاذِهِ مِمَّا كانَ نَشَبَ فيه مِنَ المخالِبِ، واستلالِهِ ممَّا كان ألَحَّ عليه من النوائبِ، فقُلْتُ: هكذا يطلعُ البدْرُ مِنْ خلالِ السحابِ، وتشقُّ الشَّمْسُ جيْبَ الضَّبابِ. وهكذا يعتبُ الزمانُ إذا عتبَ، ويعتذرُ الدهْرُ إذا أذنبَ. والآنَ عادَ لواءُ المجْدِ مَنْشوراً، وسيفُ السؤددِ مَشْهوراً، وقد غَفَرْتُ للدهْرِ جنايَتَهُ، وبلغْتُ لهُ من الرِّضا غايَتَهُ. وقدْ أعْقَبَ الليلُ صُبْحاً مُنيراً، وعسى أنْ تكرهوا شيئاً، ويجعل اللهُ فيه خيراً كثيراً. والشرُّ قد يجلبُ خيراً غَمْراً، وسيجعلُ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْراً. وقدْ سَفَرتِ المِحْنَةُ عنْ حالٍ سرَّتِ الأوْلياءَ، وكبَتَتِ الأعداءَ، وانجلتْ عن قَدْرٍ زائدٍ، وجدٍّ صاعدٍ، وعزٍّ مُتَوالٍ، ومحلٍّ عندَ السلطانِ عالٍ. والحمْدُ للهِ الذي أجملَ الصُّنْعَ، وأحْسَنَ الدَّفْعَ، وإليهِ أرْغَبُ في أنْ يجعلَ ما فرَّجَهُ عنهُ خاتمةَ المضارِّ، وما منَحَهُ فاتحةَ المسارِّ، وأن لا يُرِيَهُ إلاَّ ما هِمَّتُهُ إليهِ طامِحةٌ، وأمانيهِ نَحْوَهُ جانِحةٌ، ولا يُخْلِيهِ من دولةٍ وثيقةِ الأرْكانِ، مُشَيَّدةِ البُنْيانِ، [٧٠/ب] ونعمةٍ مُبْيَضَّةِ المَطالعِ، مُخْضَرَّةِ المراتِعِ، بِمنِّهِ وطَوْلِهِ.

ويُقالُ لمَنْ تاهَ في ولايته: [من الوافر]

١- سكِرْتَ بإمْرةِ السلطانِ جِدّاً ... فلمْ تَعْرِفْ عدوَّكَ مِنْ صديقِكْ

٢- رُوَيْدكَ في طريقٍ سِرْتَ فيها ... فإنَّ الحادثاتِ على طريقِكْ

ويُقال له أيضاً: [من مجزوء الكامل]

١- سُكْرُ الولايةِ طَيِّبٌ ... وخمارُهُ صفْعٌ شديدُ

٢- كَمْ تائِهٍ بولايةٍ ... وبعَزْلِهِ يَسْعَى البريدُ

ولابنِ زُرَيْقٍ نصيحةٌ لِمَنْ يحجبُ الأقْرانَ عِنْدَ الولايةِ، ولا يرغبُ في شُكرهِم، وهو قولُه: [من البسيط]

١- إنَّا رأيْنا حجاباً مِنكَ أعْرَضَنا ... فلا يكُنْ ذُلُّنا في ذلكَ العَرَضا

---

[1] في المخطوط "عن". والصواب ما أثبتنا.

٢- إسمعْ لِنُصْحي ولا تغضبْ عليَّ فما أبغي بقولي لا مالاً ولا عَرَضا

٣- الشكْرُ يَبْقى ويَفْنى ما سِواهُ وكمْ سِواكَ قَدْ نالَ مُلْكاً، فانْقَضى

٤- في هذه الدَّارِ، في هذا الرُّواقِ على هذا السَّرِيرِ كانَ العِزُّ فانْقرضا

فَصْلٌ في التَّهْنئةِ بالنَّيْروز[1]

هَنَّأ اللّهُ الوزيرَ هذا النَّيْروزَ المُتَشرِّفَ بوفادِته عليهِ، المُهْدِيَ لِسعادته إليه، [٧١/أ] تهنئةً تتضمّنُ العُمْرَ الأكْلا[2]، والقَدْرَ الأعْلى، في نجمٍ صاعِدٍ، وجَدٌّ مُساعِدٍ، وأمْرٍ يمضي مضاءَ القَدَرِ، ودولةٍ تأمنُ لِقاءَ الغِيَرِ[3].

فَصْلٌ آخَرُ

أنا أدعو للشَّيْخِ بأَنْ يجعلَ اللّهُ هذا النَّيْروزَ طالِعاً عليه بالجِدِّ السعيدِ، والعِزِّ الجديدِ، وترادُفِ الخيراتِ، وانقيادِ الإراداتِ، وأنْ يُكرِّرَ عليهِ الأعْيادَ تكرُّرَ أيادِيْهِ على أوْليائِهِ، ويُديمَ لهُ العِزَّ دوامَ مَبارِّهِ لأصدقائِهِ.

فَصْلٌ آخَرٌ[4]

أسْعَدَ اللّهُ مولايَ بالنَّيْروزِ الواردِ عليهِ، وأعادَه ما شاءَ كيفَ شاءَ إليهِ، فهَذا اليومُ غُرَّةٌ في وَجْهِ الدَّهْرِ، وتاجٌ على مَفْرِق العصرِ، وهو في الأيَّامِ، كسيِّدِنا في الأنامِ، لازالَ يلبَسُ الأيَّامَ فيبْليها، وهو جديدٌ، ويقطعُ مسافَها، وهو سعيدٌ.

فَصْلٌ آخَرُ

أسْعَدَ اللّهُ سيِّدَنا بهذا النَّيْروزِ الحاضرِ، واليومِ الجديدِ الناضرِ، سعادةً تستمرُّ له في جميع أيَّامِهِ على العمومِ، لتكونَ مُشْبِهةً في أكنافِ المواهبِ لها، واتّصال المسارِّ فيها، وأسْعَدَه بهذا الربيعِ المُشْبِهِ أخلاقَهُ، [٧١/ب] فإنَّهُ الربيعُ الذي يتَّصلُ مَطَرُهُ، ويُؤْمَنُ ضَرَرُهُ، ويدومُ زهرُهُ، ويُتَعجَّلُ ثمرُهُ. لا زالَ آمِراً ناهياً سامِياً عالياً.

---

[1] النَّيروز: هو أكبر الأعياد الشعبية عند الفرس، ويقع ما بين ٢١ و ٢٥ آذار. وطوال هذه الأيام يستقبل ملوك الفرس الهدايا والتهاني، ويسعدون رعاياهم بأمثالها، ويظهرون للعامة، ويقابلون العظماء. وفيه يعيَّن الحكام، وتضرب النقود، وفيه امتداد لمظاهر عيْد (الزجموك) البابلي.
[2] الأكلأ: المحفوظ والمحروس.
[3] الغِيَر: تغيُّر الأحوال.
[4] هناك عبارات من هذا الفصل في كتاب سحر البلاغة وسر البراعة ص١٠٢.

- فَصلٌ في ذِكرِ الدَّارِ -

قال أبو الحَسَن المُزني لرجلٍ يَبْني دارَهُ: تأنَّقْ فيها، فهي عُشُّكَ، وفيها عيشُكَ.

وقالَ ابنُ المعتزِّ: «الدارُ الضيِّقةُ، العمرُ الأصْغَرُ».

وشاوَرَ جَعْفَرُ بن يحيى البرمكي أباه: أَيُوسِّعُ دارَهُ أمْ يُضيِّقُها؟ فقالَ: هي قميصُكَ، إنْ شئْتَ فوسِّعْهُ، وإنْ شئْتَ فضيِّقْهُ.

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «ثلاثةٌ من سعادةِ الرَّجُلِ: المنْزِلُ الواسِعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنيُّ».

وقالَ جعفرُ بن محمَّد الصادق عليه السَّلامُ: «مِنْ سعادةِ الرجلِ سَعَةُ دارِهِ، ونظافةُ مُتَوضَّاهُ».

وقال آخر: «تأنَّقُوا في الدِّهْليزِ، فإنَّهُ وَجْهُ الدارِ، ومُتَنفَّسُ الخَدَمِ، ومجلسُ الصديقِ إلى أنْ يُؤْذَنَ لهُ».

وقالَ قتيبةُ بن مُسْلِم للحُصَيْن بن مسلم: ما السرورُ؟ فقال: «امرأةٌ حَسْناء، ودارٌ قَوْراء، وفَرَسٌ مُرْتَبِط بالفناء».

ورُوي عن عيسى عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «الدُّنْيا قنطرةُ الإسلام، فاعبرُوها [٧٢/أ] ولا تَعْمرُوها». ورُوي أنَّه خَرَجَ منْ الدُّنْيا ولم يضعْ لبنةً على لبنةٍ.

- فَصلُ الأبْياتِ في التَّهنئةِ بالبِناء -

لبعضهم: [من البسيط]:

١- دارٌ على العزِّ والتأييدِ مَبْناها ... وللمكارمِ والعلياءِ مَغْناها

٢- فاليُمْنُ أقْبلَ مَقْروناً بيُمْناها ... واليُسْرُ أصْبَحَ موصولاً بِيُسْراها

٣- لَمَّا بنى النَّاسُ في دنياكَ دارَهُمُ ... بَنَيْتَ في دارِكَ الغَرَّاءِ دُنْياها

٤- فَلَوْ رَضِيتَ مكانَ البُسْطِ أعْيُننا ... لم تَبْقَ عَيْنٌ لنا إلاَّ فَرَشْناها

دخلَ أبو العيناء على المتوكّل، وهو يبني (الجعفري)[1]، فقالَ: يا أبا العيناء، كيفَ ترى دارَنا؟ فقال: «يا أميرَ المؤمنين الناسُ يبنونَ الدُّوْرَ في الدُّنْيا، وأنتَ تبني الدُّنْيا في دارِك»[2].

وذكر آخرُ هذا المعنى، فقال: [مجزوء الوافر]

١- وَلِـي مَسْأَلَةٌ بَعْـدُ ... فعـاجِلْني بإخْبـارِ

٢- بَنَيْـتَ الـدَّارَ في دُنْيـا ... كَ أَمْ دُنْيـاكَ في دارِ

أبو بكْر الخوارزمي: [من مجزوء الوافر]

١- بنيْـتَ الـدارَ عاليـةً ... كمِثْـلِ بنائِـكَ الشَّرَفا

٢- فـلا زالـتْ رؤوسُ عِـدا ... كَ في حيْطانِهـا شُرُفا(٣)

ومِنْ بدائعِ ما يُذْكَرُ في القَصْرِ قولُ الخليلِ بنِ أحمدَ: [من السريع]

[٧٢/ب]١- شَيَّدْتَ قَصْراً عالِيَاً مُشْرِقاً ... بطـائِرَيْ سَـعْدٍ ومَسْعُودِ

٢- كأنَّمـا يرفـعُ بُنْيانَهـا ... جِـنُّ سُـلَيمانَ بـنِ داوُودِ

- فَصلٌ في بدائع ما يُذْكَر في الحمَّامِ مَدْحاً وذمًّا -

ذُكِرَ الحمَّامُ عندَ الفضْلِ الرّقاشي[4]، فقالَ: نِعْمَ البيتُ الحمَّامُ يُذهِبُ القشافةَ[5]، ويُعْقِبُ النظافةَ، ويذيبَ التُّخْمةَ، ويُطيِّبُ القِشْرَةَ. فقيل في ذمِّهِ، فقال: يَهْتِكُ الأسْتار، ويذهِبُ الوقار، ويؤلِّفُ بينَ الأقْذار.

---

[1] الجعفري: قصر بناه المتوكّل في (سامرّاء) وأنفق على بنائه عشرة آلاف ألف درهم. ويقول ياقوت الحموي: "لم يَبْنِ أحد من الخلفاء بِسُرَّ مَنْ رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكّل". ويذكر من قصوره: العروس، والمختار، والوحيد، والغريب، والبرج، واللؤلؤة... الخ. انظر معجم البلدان (سامرّاء). وكان كلما بنى قصراً أمر الشعراء أن يعملوا فيه شعراً.

[2] قول أبي العيناء هذا في معجم الأدباء (ط الرفاعي) ١٨/ ٢٨٨. وكان ذلك سنة ٢٤٦هـ.

[3] البيتان لأبي بكر الخوارزمي في يتيمة الدهر ٤/ ٢٥٧.

[4] الفضل الرقاشي: هو الفضل بن عبد الصَّمد بن الفضل الرقاشي، شاعر مجيد من أهل البصرة، كانت بينه وبين أبي نواس مهاجاة. توفي نحو السنة ٢٠٠هـ.

[5] القشافة: قَذَرُ الجلْد.

وكانَ بعضُ المُجَّانِ في الحمَّام، فأرسلَ رِيْحاً لها صوتٌ، وعندَه شيْخٌ، فأرادَ أنْ يعلمَ هلْ سَمِعَه أم لا، فقالَ: يا شيخُ كمْ بقيَ من سَمْعِكَ؟ فقال: أسمعُ الكلامَ بعدَ الكلامِ، والرعْدَ في الغمامِ، والضراطَ في الحمَّام.

و دَخَلَ أبو حنيفةَ الحمَّام، فرأى رجلاً بلا إزار، فقال له الرَّجُلُ: مُذْ كَمْ ذَهَبَ بَصَرُكَ؟ قال: منذ هَتَكَ اللهُ سِتْرَكَ، وكَشَفَ عَوْرَتَك.

ودخَلَ الأصمعي حمَّاماً، فرأى فيه رجلاً جسيماً وسيماً، فقال: لعلَّهُ مِنْ قريشٍ، وانقبضَ عنهُ، فقالَ لهُ الرجلُ: ممَّنْ أنتَ؟ قال الأصمعي: مِنْ باهلة، وانْبَسَطَ لمَّا ابتدأه بالكلامِ، فقالَ: سألْتَ أصلحكَ اللهُ عنْ نَسَبي، فمِمَّنْ أنت؟ قال: من عَبْدِ القَيْسِ، فاستقلَّهُ واستذلَّهُ. فقالَ لهُ: ما اسمُكَ [٧٣/أ] قال: عَمْرَوَيْه[1]. قالَ: وما الصناعةُ؟ قال: الحِياكة، فدفع إليه اللِّيفَ، وقال: ادْلُكْنِي، وأنشأ يقول: [من مجزوء الرمل]

١- إنَّما أنتَ لَحاكَ اللهُ -يا عَمْرَوَيْهُ- جِيْفَهْ

٢- كُنْتَ أخشاكَ، فناوَلْتُكَ عندَ الاسمِ ليْفَهْ

٣- لَوْ كما تنقصُ تزدادُ، إذنْ كُنْتَ الخَلِيْفَهْ

ومِنْ طريفِ الحكاياتِ في الحمَّامِ ما رواهُ أبو الفَضْلِ الهمذاني عَنْ عيسى بن هشام، قال: لمَّا قفلْتُ من الحجِّ فِيْمَنْ قَفَلَ، ونزلْتُ خاناً مع مَنْ نَزلَ، قُلْتُ لغُلامي: أَجِدُ شعري طويلاً، وقد اتَّسخَ بدني قليلاً، فاخترْ لنا حمَّاماً ندخلُه، وحَجَّاماً[2] نَسْتعمله. وليكنِ الحمَّامُ واسعَ الرُقْعةِ، نظيفَ البقعةِ، طيِّبَ الهواءِ، مُعْتَدِلَ الماءِ. وليكنِ الحجَّامُ خفيفَ اليدِ، حديدَ المُوْسَى. فخرج الغُلام مَلِيًّا[3]، وعاد بطيًّا، وقالَ: قد اخترتُهُ كما رسمْتَهُ. فأخذْنا السَّمْتَ[4] إلى الحمَّام، فأتيناهُ ودخلناهُ. ودخلَ على أثري رَجُلٌ عَمَدَ إلى قطعةِ طينٍ، فلطخَ بها جبيني، عن جانبِ يميني، ثمَّ خَرَجَ ودَخَلَ آخرُ فَجَعَلَ يَدْلُكُني دلكاً يكدُّ العظامَ، ويَغمزُني غمزاً يهدُّ الأَوْصالَ، ويصفر صفيراً برشِّ البُزاقِ[5]، ثمَّ [٧٣/ب] عَمَدَ لرأسي يَغْسِلُهُ،

---

[1] في المخطوط: "عمرو بن". والصواب ما أثبتنا.
[2] الحجَّام: الحلاَّق.
[3] مليَّاً: ساعة طويلة.
[4] السمْت: الجهة.
[5] البُزاق: لغة في البُصاق.

وإلى الماءِ يُرْسِلُهُ، فما لَبِث أنْ دَخَلَ الأوَّلُ، وقال: ما لَكَ ولهذا الرأسِ، وهو لي؟ ثم قالَ الثاني: بلْ هذا الرأسُ حقّي ومِلكي وفي يدي. ثم تَلاكَما حتّى عَييا، وتحاكما إلى صاحبِ الحمّامِ، وقالَ الأولُ: أنا مالِكُ هنا الرأسِ، لأني لطخْتُ جبينَهُ، ووضعْتُ عليه طينَه! وقال الثاني: بلْ أنا مالِكُهُ، لأنّي دلكْتُ حامِلَهُ، وغمزْتُ مفاصِلَهُ. فقال الحمّاميُّ: ائتوني بصاحبِ الرأسِ حتّى أسألَهُ: ألَكَ هذا الرأسُ أمْ له. فأتياني، وقالا: لنا شهادةٌ عِنْدَك، فتجشَّمْ[1]. فقُمْتُ فأتيْتُ، شِئْتُ أمْ أبيْتُ. فقال الحمّامي: يا رجلُ لا تَقُلْ غيرَ الصِّدْقِ ولا تَشْهدْ بغيرِ الحقِّ، وقُلْ: هذا الرأسُ لأيِّهما هُوَ؟ فقلْتُ: يا عافاكَ اللهُ هذا رأسي[2] قد صحبني في الطريقِ، وطافَ معي بالبيتِ العتيقِ[3]، وما شككتُ أنّه لي، فقالَ: اسكتْ يا فُضولي. ثمَّ مالَ إلى أحَدِ القيِّمَيْنِ، فقالَ: لِمَ هذه المناقشةُ مع الناسِ، لأجلِ هذا الراسِ، يُنْقَل عن قليلٍ إلى لعنةِ اللهِ وحَرِّ سَقَرِه. وهَبْ أنَّ ذلك الراسَ ليْس[4]، وأنّا لم نَرَ هذا التَّيْس! قالَ عيسى بن هشامٍ: فقُمْتُ من ذلك المقامِ خجلاً، ولَبِسْتُ الثيابَ وَجِلاً، وانْسَلَلْتُ من الحمّام، وسَبَبْتُ الغلام[5].

[٧٤/أ] **ومن الأبيات الطريفة في الحمّامِ** ما أنشدَنا أبو منصور الثعالبي لنفسه: [من الوافر]

١- *وحمّامٍ لـه حرُّ الجحيمِ ... ولكنْ بَرْدُهُ بَرْدُ النّسيمِ*

٢- *وَجَدْتُ به ثواباً في عقابٍ ... وزُرْتُ به نعيماً في جَحيمِ(٦)*

كَتَبَ بديعُ الزَّمانِ على حَمّامِ دارِه بهراة: [من مجزوء البسيط]

١- *حمّامُنا قدْ حوى ثلاثاً ... طيِّبَ هواءٍ وطيبَ ماءٍ*

٢- *وصِحّةً لا مزيدَ فيها ... ينفي عن الجسْمِ كُلَّ داءِ*

ومِنْ أبْلَغِ ما قِيْلَ في ذَمِّ الحمّامِ قولُ ابن المعتزِّ: [من مجزوء المتقارب]

---

(١) تجشّم: تحمّل المشقّة.

(٢) سقطت هذه العبارة من المخطوط. وأضفناها من "المقامة الحلوانية" ذاتها.

(٣) أراد في حجِّهِ إلى البيت الحرام.

(٤) ليْسَ: كلمة لا تستعمل إلا للنفي، لذا جعلوها اسماً له. فقالوا اللَّيْس والأيْس، للعدم والوجود.

(٥) هذه هي "المقامة الحلوانية". وهي من مقامات بديع الزمان الهمداني، بيروت، ط٢، ١٣٠٦هـ ص١٨٠. وقد تصرَّف المؤلف في روايتها. وحلوان مدينة في العراق، وإليها نُسِبَتْ المقامة الحلوانية.

(٦) البيتان في ديوان الثعالبي (ط الجادر) ص١١٧.

١- وحمَّامُنَا كالعَجُوزِ يَشْقَى بِهِ الوارِدُ
٢- فبيتٌ لَهُ مُنْتِنٌ وبَيْتٌ لَهُ بارِدُ

- فُصُوْلُ التَّعازي -

- ١ -

- فصلٌ في ذِكْرِ عُموم المَوْتِ[1] -

إنَّ اللّهَ تعالى قد سوَّى بينَ البَرِيَّةِ، في ورودِ حوضِ المنيَّةِ، وحملهم فيها على عَدْلِ الحكومةِ والقضيَّةِ، لينظرَ كُلُّ أحدٍ لنفسِهِ، ويعلمَ أنَّهُ يجتني ثمَرةَ غرسِهِ، فبينما الإنسانُ في رجاءٍ فسيحِ الأرْجاءِ، إذا بهِ قدْ دُعِيَ فأجابَ مِنْ دونِ تعريجٍ على استعدادٍ، ولا تنفيسِ مُهْلَةٍ لأخْذِ زادٍ.

والموتُ خَطْبٌ عظيمٌ حتَّى هانَ، ومَسٌّ خَشِنٌ [٧٤/ب] حتَّى لانَ. والمرءُ يظنُّ أنَّهُ مُؤَخَّرٌ لِتمامٍ، ومُنسَّأٌ[2] لأيَّامٍ وأعْوامٍ، والمنونُ تَطلبُهُ حَثًّا وحَضًّا، حتَّى تُدركَهُ خبباً[3] ورَكْضاً. وللأيَّام مطايا يركضْنَ براكبِها إلى الأجْداثِ[4]، واللَّيالي حَبالَى لا يلِدنَ غيرَ الصروفِ والأحداثِ.

والمرْءُ لابسٌ من الجديدَيْنِ[5] ثوبَيْنِ يُبْليانِهِ، وراكِبٌ عَنْهما صَعْبَيْنِ[6] لا يراهما طوعَ عِنانِهِ، فبينما هو بهما في ميادين الآمالِ راكضٌ، مقدِّراً أنَّه لهما رائِضٌ[7]، إذْ عثَروا به من القبْرِ في مهواةٍ، وأتاهُ منْ أمْرِ الله ما هو آتٍ.

---

(1) بعض عبارات هذا الفصل وردت في سحر البلاغة وسر البراعة، ص١١٣.
(2) المُنَسَّأ: المُؤَجَّل.
(3) الخبب: ضَرْب من العدو يكون أقلَّ من الركْض.
(4) الأجداث: جمع جدَث، وهو القبْر.
(5) الجديدان: الليل والنهار.
(6) الصَّعْبان: المركوبان العَسِيران.
(7) الرائض: المروِّض.

- فَصْلٌ في هذا المعنى -

إنَّ اللّهَ تعالى بِعَدْلِهِ في القضيَّةِ، وحكْمِهِ في المنيَّةِ، جَعَلَ الدُّنْيا دارَ قلعةٍ وزوالٍ، ومنزلَ نَقْلَةٍ وارْتحالٍ، والآخرةَ دارَ قرارٍ ومقامٍ، ومحلَّ ثباتٍ ودوامٍ، يُؤذِنُ عبادَهُ بأنَّهم عن هذهِ سائِرون، وإلى غَيْرِها صائِرون، وبشَّرَهُمْ بأَخْذِ الزادِ، وحضَّهُمْ على الاسْتعدادِ، فاسْتَدلُّوا باشْتِراكِ الصغيرِ والكبيرِ، والرفيعِ والوضيعِ، في انقراضِ المدَّةِ، وانتهاءِ العدَّةِ، ووُرُوْدِ منهلِ المنيَّةِ، والتصافي على جَرْعها بالسويَّةِ.

ويُقالُ: الموتُ مَنْهلٌ موروْدٌ، سيَّانِ [٧٥/أ] فيهِ والِدٌ ومولودٌ.

ويُحْكَى أنَّ رجلاً رأى جنازةً، فقالَ لأبي الدَّرْداءِ: مَنْ هُوَ؟ فقال: «أنتَ، فإنْ كرهْتَ فأنا»[١].

قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢].

قالَ ابنُ المُعْتزِّ: «إذا كثُر الناعي إليكَ، قامَ الناعي بكَ»[٣].

وقال أيضاً: «الموتُ كَسَهْمٍ مُرسَلٍ إليكَ، وعمْرُكَ بقدْرِ سفرِهِ نَحْوَكَ».

- ويقالُ: «إنَّ رجلاً ماتَ لهُ وَلَدٌ، فلم يَجْزَعْ عليه. وقالَ: هذا أمرٌ كُنَّا نَتَوَقَّعُهُ، فلمّا وَقَعَ لم ننكِرْهُ».

- وكتَبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العزيزِ إلى عَمْرو بن عُبَيد: «أمَّا بعدُ، فإنَّا أُناسٌ مِنْ أَهْلِ الآخرةِ أُسْكِنَّا في الدّنيا، أمْواتٌ وآباءُ أمْواتٍ وأبناءُ أمواتٍ. والعَجَبُ لميِّتٍ يكتبُ إلى ميِّتٍ يعزِّيْهِ عنْ مَيِّتٍ»[٤].

---

[١] الخبر في ربيع الأبرار ١٨٩/٥. وأبو الدرداء: هو عُوَيْمر بن مالك الأنصاري الخزرجي صحابي من الحكماء الفرسان أسلم بعد بدر، وولي قضاء دمشق، وهو أحد من جمعوا القرآن، وتوفي سنة ٣٢هـ. بدمشق.

[٢] سورة الزُّمَر ٣٩/٣٠.

[٣] الخبر في ربيع الأبرار ١٩١/٥.

[٤] الخبر في عيون الأخبار ٥٧/٢ وربيع الأبرار ٥ / ١٨٣.

وقالَ الأَصْمعي: مررْتُ بأعْرابيةٍ، وبَيْنَ يديْها فتىً في السِّياق، ثم رجعْتُ، فرأيتُ في يَديْها قَدحُ سُوَيْقٍ تَشْربُهُ. قُلْتُ: ما فَعَلَ الشابُّ؟ قالتْ: قضى نَحْبَهُ، وواريناهُ. فقُلْتُ: ما أسرْعَ ما نَسيْتُموهُ! فقالت: [من الطويل]

١- على كُلِّ حالٍ يأكلُ المرْءُ زادَهُ ... على البؤْسِ والسَّرَّاءِ والحدثانِ

وقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «إِنَّما الحزنُ قَبْلَ المُصيبةِ، فإذا حلَّتْ فالْهُ عن مصابك»[1].

واشتكى بعضُ أهْلِ محمَّد بنِ عليّ، فجزعَ عليه [٧٥/ب] ثمّ أُخبِرَ بموتِهِ، فَسرَّى عنه، فقِيْلَ له في ذلكَ، فقال: «ندعو اللّه فيما نحبُّ، فإذا وَقَعَ ما نكْرَهُ، لم نخالفِ اللّهَ فيما أحبَّ».

وقال المتنبي: [من السريع]

١- نحنُ بَنُو المَوْتَى فما بالُنا ... نعافُ ما لا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ

٢- يموتُ راعي الضَّأْنِ في جَهْلِهِ ... مِيْتَةَ جالينوسَ في طِبِّهِ

٣- ورُبَّما زادَ على عُمْرِهِ ... وزادَ في الأَمْنِ على سِرْبِهِ(٢)

وقال أيضاً: [من الطويل]

١- وقَدْ فارَقَ النَّاسُ الأحِبَّةَ قَبْلَنَا ... وأَعْيَا دَواءُ الموتِ كُلَّ طَبيبِ(٣)

-٣-

- فَصْلٌ في عِظاتِ التَّعْزِيَةِ[4] -

لا مصيبةَ معَ الإيمانِ، ولا فجيعةَ مع القرآنِ، وكفى بكتابِ اللّهِ مُعَزِّياً، وبعمومِ الموتِ مُسَلِّياً. إنَّ الذي يخفِّفُ ثِقَلَ النوائبِ، ويُحْدِثُ السلوَّ عِنْدَ المصائبِ تذكُّرُ حُكْمِ اللّهِ في سيِّدِ المرسليْن، وخاتمِ النبيين محمّد صلَّى اللّهُ عليه وعلى

---

[1] قول عمر هذا في عيون الأخبار ٥٧/٢ ومحاضرات الأدباء ٥١١/٢. وقد قاله بعد وفاة ابنٍ له.

[2] الأبيات في ديوانه ٣٣٦/١- ٣٣٧ من قصيدة له يُعزي فيها أبا شجاع عضد الدولة بعمَّته، وقد توفيت في بغداد.

[3] البيت في ديوان المتنبي ١٧٥/١.

[4] ورد هذا الفصل في سحر البلاغة وسر البراعة ص١١٧ و ١١٨.

آلهِ أجمعين. فاذكُرْ فَقْدَ الرسولِ والوصيِّ والبتولِ والحسنِ والحسينِ مِنْ مَسْمومٍ ومَقْتُوْلٍ.

- ٤ -

- فَصْلٌ للأمير شَمْس المعالي(١) -

حَشْوُ هذا الدَّهْرِ الخؤونِ أحْزانٌ وهُمُومٌ، فصفوُهُ مِنْ غيرِ كَدرٍ معدومٌ. [٧٦/أ] والشيخُ يتأمَّلُ صروفَهُ وأحكامَهُ، ويَسْتَشْرِفُ أحوالَهُ وأخلاقَهُ، فإنْ وَجَدَ أحداً سَلِمَ من فَقْدٍ، وعَرِيَ مِنْ وَجْدٍ، فقد لقيَ خلافَ المعهودِ، وحُقَّ لهُ فَرْطُ الأسى على المفقودِ. وإذْ علمَ أن الخلْقَ فيه شَرَعٌ، وأنَّ الباقي للماضي تَبَعٌ، قدَّمَ من السَّلْوةِ والصَّبْرِ ما لا بُدَّ من المصيرِ إليه آخرَ الأمْرِ، ليحصلَ لهُ الأجرُ والثوابُ، يوم يُعْرَضُ الحسابُ، ويُرْفَعُ الحجابُ.

- ٥ -

- فَصْلٌ مِنْ كلامِ البُلَغاءِ في التَّعْزِيةِ -

عزَّى ابنُ شُمعونَ المذكرُ(٢) المهلبيَّ الوزيرَ(٣) عن بُنَيَّةٍ له، فقال: تعزَّ عن الريحانةِ التي اختارَ اللّهُ لكَ المثوبةَ عليها، على الاستمتاع بها.

وعزَّى أبو العيناء عبيدَ اللّه بن يحيى عن ابنٍ له، فقال: أيُّها الوزيرُ إذا تَخَطَّتْكَ البليَّةُ، وتعدَّتْكَ المنيَّةُ، وكنْتَ أنتَ البقيّةُ، فما هاهنا الرزيَّةُ، بلِ التعزيةُ تهنئةٌ، والمصيبةُ نعمةٌ. وقد أحْسَنَ الدَّهرُ إلينا إذْ تخطَّاكَ، وأنصفنا الموتُ إذْ تعدَّاكَ.

وعزَّاهُ مرَّةً أُخْرى، فقالَ: كانتِ التَّعْزيةُ لكَ لا عَنْكَ، ولك [٧٦/ب] الأجْرُ لا بكَ، وإنَّ قَدْرَكَ يجلُّ عن عِظتي. وفي كتاب اللّهِ ما عزَّاكَ، وفي نبيِّهِ ما أنْباكَ، ثم أنْشَدَ: [من السريع]

---

(١) شمس المعالي: هو قابوس بن وشمكير الديلمي، كان أميراً على طبرستان وجرجان في أواخر القرن الرابع الهجري وكان شاعراً وكاتباً، وله بعض الرسائل. وكان ظالماً عنيفاً، فثار عليه جنده، وقتلوه عام ٤٠٣هـ. انظر فيه يتيمة الدهر ٦٧/٤ فما بعدها، ومعجم الأدباء ٢١٩/١٦ فما بعدها.
ونص هذه التعزية في معجم الأدباء ٢٣٠/١٦ (ط الرفاعي) وفي ٢١٨٦/٥ (ط إحسان عباس).

(٢) ابن شمعون المذكر معاصر للصاحب بن عبَّاد (٣٨٥هـ) كان متصوِّفاً وبه تقوى. وقد سخر منه الصاحب ذات مرة لهوسه وهذيانه –انظر معجم الأدباء ٢٦٨/٦- ٢٦٩. وسيأتي مدح ابن شمعون للوزير المهلبي .

(٣) المهلبي الوزير: ترجمته مرَّت من قبلُ.

١- لا زِلْــتَ تَبْقــى ونُعَزِّيكـــا ولا نُعَــــزِّي أحـــــداً فيْكـــا

وعزَّى أبو بكرٍ عُمَرَ عَن طفْلٍ، فقالَ: «عوَّضَكَ اللّهُ منهُ ما عوَّضَهُ منكَ، يعني الجنَّة».

وأصيبَ بعضُ السَّلَف بابنٍ له، فجزعَ عليهِ، ثم تعزَّى عنهُ، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: «كان جُرْحاً فبَرأ».

وماتَ للحَسَنِ أخٌ، فأجْهَشَ عليه بالبُكاءِ، فقيلَ: وأنتَ أيضاً يا أبا سعيدٍ؟ فقال: «لقدْ بكى يعقوبُ على يوسفَ، حتَّى ابيضَّتْ عيناهُ، فما عيَّرَهُ اللّهُ بذلك». وكانَ يقولُ: «الحمدُ للّهِ الذي كلَّفنَا من الصَّبْرِ ما لو كلَّفنَا غيرَهُ، لصِرْنا فيهِ إلى مصيبةٍ، وآجَرَنا على ما لابُدَّ لنا منه».

كتابي، ولي جفونٌ مُخْضَلَّةٌ[1]، ودموعٌ مُنْهلَّةٌ، وأحشاءٌ محترقةٌ، وضلوعٌ على الكَمَدِ منطبقةٌ، وقلبي بالوَجْدِ والأسَفِ مَنُوْطٌ، وأنا بين الجَزَعِ مَقْبوضٌ ومبْسُوْطٌ، للخبرِ الذي فاجأني بالرزيّةِ التي أناختْ بعقوةِ[2] ذلك الشيخِ، الذي كانَ سراجاً [٧٧/أ] للعلْمِ منيراً، وطَوْداً[3] للفضْلِ كبيراً، أفرغَ اللّه عليه سِجَالَ[4] مَرْضاتِهِ، وأنْزَلَه الدرجاتِ العُلَى منْ صفاتِهِ، ويا لها مصيبةٌ تركتْ رُكْنَ الدِّيْنِ مُنْهداً، وأُفْقَ الفِقهِ مُسْوَدّاً، ويدَ الفَضْلِ قصيرةً، وأَعْيُنَ المسلمين غزيرةً، وأعادتْ في قوى المِلّة فَتْرةً، وفي قلوبِ أهلِها حَسْرةً، وألْبَسَتِ الأنامَ ثَوْبَ حِدادٍ، وأعادتْ نقصَ الأئمةِ في ازديادٍ. ولحا اللّهُ هذه الدُّنيا، فما أَحَدَّ على الأفاضلِ سُيُوفَها! وأَلْعَبَ بالأكارِمِ صُرُوْفَها! وأوْلَعَ بالصُّدورِ حُتُوْفَها! وقد علمَ الشيخُ أنَّ المنايا مناهِلُ مَوْرودةٌ، وإنّما هيَ آجالٌ محدودةٌ، وأنفاسٌ مَعْدُوْدةٌ، وللصَّبْرِ عاقِبةٌ محمودةٌ.

فلْيتأمَّلِ الدُّنْيا وعجائبَها، والأيَّامَ ونوائبَها، تَسْهُلْ عليه المصائبُ إذا دَهَمتْ، وتَهُنْ في عينيهِ الفجائعُ وإنْ عَظُمتْ. وأنا أرْغَبُ إلى اللّهِ تعالى في أنْ يُعينَهُ على

---

(١) مُخْضَلَّة: مُبْتَلَّة.
(٢) العَقْوة: الساحة وما حول الدار.
(٣) الطَّوْد: الجبل.
(٤) السِّجال: جمع سجل وهو الدلو المملوء ماء.

التـأدُّبِ بآدابـهِ، والانتهـاءِ إلى مـا يجـودُ بـهِ جزيلُ ثوابـهِ، وأنْ يُطيـلَ بقـاءَه، ويـديمَ نَعْماءَه، ويُقْذِي ناظِرَ الحدثانِ دون لقائِهِ، ويَسُدَّ طَرْفَ الغِيَرِ عن فنائِهِ.

-٦-

- فَصْلٌ في ذمِّ الجَزَع-

مَعْنى الجَزَع [٧٧/ب] الاستغاثةُ على مُدبِّر الأمورِ، ومُسَخِّر الجمهورِ، ومُيَسِّر المَيْسُوْرِ، ومُعسِّرِ المَعْسُوْرِ، ومصرِّفِ العبادِ على الحكْمِ المقدورِ. فلولا أنَّ بادهةَ المُصيبةِ تعمي عن شاكلةِ الصوابِ، لكانَ الجَزَعُ كبيرةً تخرُّ لها شمُّ الرِّعانِ[1]، وجريمةً يضيقُ عنها نطاقُ الغُفْرانِ، فما يَسْتَغيثُ على ربِّ سَمَائِهِ، إلاَّ مَنْ نَصَبَ رَبّاً بإزائِهِ، وطَمِعَ في العَوْنِ على حكمِهِ وقضائِهِ، لقدْ عَظُمَ بـه، واللّهِ، الإثْمُ والحَوْبُ، وضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ. ألا فلْيَسَلْ مَنْ غلبَ اللّهُ على هواه، طاعةً لهُ فيما قَضاهُ، أوْ لا، فَلْيَمْدُدْ بسببٍ إلى السَّماءِ.

-٧-

- مِنْ كلامِ البُلَغاءِ في ذمِّ الجَزَع-

الجَـزَعُ للربِّ مُسْخِطٌ، وللأجْرِ مُخْبِطٌ[2]، فعليكَ بعزيمةِ الصَّبْرِ وصريمةِ الجلَدِ، فإنَّهما في الدِّيْن حَتْمٌ، وفي الرأي حَزْمٌ، وليسَ في خلافِهما للحيِّ انتفاعٌ، ولا للميِّتِ ارتجاعٌ. واعلمْ أنَّ المتوفَّى لا تردُّهُ نارٌ تُلْهِبُها من الهمِّ على كبدكَ، ولا يُرجِعهُ انزعاجٌ تُسَلِّطُهُ بالحزنِ على جَسَدِك. وخيرٌ لكَ من ذلكَ أنْ تفعلَ ما يفعلُه الذاكرون، وتقولَ: «إنَّا للّهِ وإنَّا إليهِ راجعون»[3].

[٧٨/أ] وأنتَ تَعْلَمُ أنَّ نوائبَ الدَّهْرِ لا تُدْفَعُ إلاَّ بعزائمِ الصَّبْرِ فاجعَلْ بينَكَ وبَيْنَ اللَّوْعةِ الغالبةِ، والدمعةِ الساكِبةِ، حاجباً مِنْ لُبِّك، وحاجزاً مِنْ عَقْلِك، ودافعاً من دينِك، ومانِعاً من يقينِك.

---

(١) الرِّعان: جمع رَعْن، وهو أنف يتقدَّم الجبل.

(٢) المُخْبط: المُسْقِط والمفرق.

(٣) سورة البقرة ١٥٦/٢. وأول هذه الآية "الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا: إنا....".

كتبَ الأميرُ قابوسُ بنُ وشْمكيْرَ إلى أبي محمّدٍ الميكالي يُعزِّيْه:

الدُّنْيا –أطالَ اللهُ بقاءَ الشَّيْخِ– شجرةٌ ثَمَرتُها النوائِبُ، وبيضةٌ بضِمْنها العجائبُ، أوَّلُها رجاءٌ كالسَّرابِ، وآخرُها رداءٌ من تُرابٍ. والأيَّامُ والليالي مطيَّاتُ البلايا، وأُمَّهاتُ المنايا، بتجدُّدها تبلَى الأجْسامُ، وبتردُّدِها تَرْدَى الأنامُ. والدَّهْرُ داءٌ ليسَ لهُ دواءُ، لا حياءَ عندَهُ ولا وفاءُ، قاصِمُ الأصْلابِ، وقاسمُ الأسْلابِ، ما حَمَى أحَداً إلاَّ قتَلَهُ، وما رَبَّى ولداً إلاَّ خَذَلَهُ. شيْمتُهُ أنْ ينْقُلَ من محبوبِ البقاءِ إلى مرهوبِ الفناءِ، ويُبدِّل لذَّةَ الحياةِ، بغُصَّةِ الوفاةِ. والناسُ في أحْلامِ غفلةٍ وفي جَهْلةٍ يظنُّونَ أنَّ كونهم في الدنيا سيكون، ورحيلَهم عنها لا يكون، لا يدرونَ أنَّهم عنها راحلون، وعلى [٧٨/ب] مراكبِ الليل والنهارِ سائِرون، وأنَّ ذلكَ أعمارٌ لهم تمضي، وأَنْفاسٌ تنقضي، ومَنْ عَرَفَ هذه الأحوالَ معرفةَ الشيخ لَبِسَ الدهرَ على أخلاقِهِ، ولم يجزعْ مِنْ مُرِّ مذاقِهِ، واكتفى مُعزِّيْهِ بالنَّبْزِ اليسيرِ، واستغنى بفضْلِ علمِهِ عن التذكيرِ والتبصيرِ.

- ٨ -

- فَصلٌ في فَضيلةِ الاسْتِرْجاعِ وثواب المُصابين -

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[1]- الآية. قال ابن عبَّاس في الآية: أخْبَرَ اللهُ أَنَّ المؤمنَ إذا سلَّمَ لأمْرِهِ، ورَجَعَ عندَ المصيبةِ، كتبَ اللهُ له ثلاثَ مرَّاتٍ خِصالَ الخيرِ: الصلاةُ من اللهِ، والرَّحمةُ، وتحقيقُ سبيل الهُدَى.

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «مَنِ اسْتَرْجَعَ عندَ المصيبةِ، جَبَرَ اللهُ مُصيبتَهُ، وأحْسَنَ عُقْباهُ، وجَعَلَ لهُ خَلَفاً صالِحاً يَرْضاهُ».

---

[1] سورة البقرة ١٥٦/٢.

وقال صلّى الله عليه وعلى آلهِ وسلَّم: «عَجَبٌ للمؤْمنِ إنْ أصابَهُ خيْرٌ، حَمِدَ اللهَ وشكرَهُ، وإنْ أصابَتْهُ مصيبةٌ حَمِدَ اللهَ. وصَبْرُ المؤْمِن يُؤْجَرُ في كلِّ شيءٍ، حتَّى اللُّقْمةَ يدفعها إلى فيهِ»[1].

وقال ﷺ: «للموتِ فَزَعٌ، فإذا بَلَغَ أحدَكُم وفاةُ أخيهِ، فلْيَقُلْ [٧٩/أ] إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون، وإنَّا إلى ربِّنا لَمُنْقَلِبون، اللهمَّ اكتبْهُ عندكَ في المُحْسنين، واجعلْ كتابَهُ في عليين، واخلفهُ على عقبِهِ في الآخرين، ولا تحرمْنا أجْرَهُ، ولا تُفتِنَّا بَعْدَهُ».

وقالَ ﷺ: «أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْه، بَنَى اللهُ له بَيْتاً في الجنَّة: مَنْ كان عصْمَتُهُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وإذا أُعْطِيَ شيئاً، قالَ: الحمدُ للهِ، وإذا أصابَتْهُ مصيبةٌ، قالَ: إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون، وإذا أذْنَبَ ذنْباً قال: أَستغْفِرُ اللهَ».

وقالَ ﷺ: «ما مِنْ مُصيبةٍ يُصابُ بها المؤْمِنُ، إلاَّ يكفِّرُ بها عنْهُ حتَّى الشوكةَ يُشاكُها».

وقالَ ﷺ: «إذا أُصِيبَ أحَدُكم بمصيبةٍ، فلْيذكُرْ مصيبتَهُ فيَّ، فإنَّها أعْظَمُ المصائِب».

قِيلَ: إنَّ رجلاً كانَ يجيءُ بصبيٍّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، وإنَّهُ ماتَ الصبيُّ، فقالَ رسولُ اللهِ: «قومُوا بِنا إلى أخِيْنا أُعَزِّ»، فلمَّا أنْ دخلَ عليه قال لهُ: «أمَا يسرُّكَ أنْ يكونَ يومَ القِيامةِ بإزائكَ، يُقال له: ادْخُلِ الجنَّةَ، فيقولُ: أيْ ربِّ، وأبوايَ؟ فيُقالُ: ادخلِ الجنَّةَ، فيقولُ: أيْ [٧٩/ب] ربِّ، وأبَوايَ؟ فلا يزالُ يشفعُ لكُما، حتَّى يُشفِّعَهُ اللهُ، ويدخلكُما الجنَّةَ جميعاً؟».

وقال أبو الدَّرْداء: «ماتَ ابنٌ لسليمانَ بنِ داودَ، فوجدَ عليهِ وَجْداً شديداً، حتَّى عُرِّف في قضائِهِ، فتقدَّم إليه مَلَكان، فقالَ أحدُهما: إنِّي بذرْتُ بذْراً، فلمَّا استَحْصَدَ جاءَ هذا، فأفْسَدَهُ، فقالَ للآخرَ: ما تقول؟ قال: صَدَقَ، أخذْتُ الطريقَ، وأتيْتُ على زَرْعٍ، فنظرْتُ يميناً وشِمالاً، فلمْ أجدْ طريقاً إلاَّ عليهِ، فقالَ سليمانُ للآخرِ: لمَ بذرْتَ على الطريقِ؟ أمَا علمْتَ أنّهُ لا بُدَّ للنَّاسِ مِنْ أنْ يمرُّوا

---

[1] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ٤٣٤/٥. وعنها في مسند الإمام أحمد ١٨٢/١.

على الطريقِ؟ قالَ: لِمَ تحزنُ أنتَ على ابنكَ، أَما علمْتَ أن الموتَ طريقُ الناسِ إلى الآخرةِ؟!».

وعزَّى عليٌّ أميرُ المؤمنين كرّمَ اللّه وجهه، الأشْعَثَ بنَ قَيْس[1] عن ابنٍ له، فقال: «يا أشْعَثُ، إنْ تحزنْ على ابنِكَ، فقد استحقّتْ ذلك منك الرَّحِمُ، وإنْ تصبرْ، ففي اللّهِ خَلَفٌ. يا أشْعَثُ إنَّكَ إنْ صَبرْتَ جَرَتْ عليكَ المقاديرُ، وأنْتَ مأجورٌ، وإنْ جَزِعْتَ جَرَتْ عليكَ المقاديرُ، وأنتَ موزورٌ»[2].

وكانَ ابنُ عبَّاسٍ رضي اللّه عنه في سَفَرٍ، فنُعِيَ إليه بعضُ ولَدِهِ، فاسترجعَ، ثمَّ نزلَ، فصلَّى ركعتَيْنِ ثمَّ قال: "صنعْنا ما [٨٠/أ] أمرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ، ثم قرأ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[3].

٩

- فَصْلٌ -

المصيبةُ بالوَلَدِ سَهْمٌ لا يُنْزَعُ، وسُقْمٌ لا يُدْفَعُ، وجَزَعٌ ليسَ وراءَهُ صَبْرٌ، وكَسْرٌ ليسَ يَتْبعُهُ جَبْرٌ، ولكنْ كَيْفَ يُعاتَبُ الدَّهْرُ، وكيفَ يُسْتَرْجَعُ ما أخذَهُ القَبْرُ، وكيفَ يُحتالُ فيما لا حيلةَ له إلاَّ الصبْرُ.

ولئنْ كانَ اللّهُ تعالى سَلَبَ الأميرَ ريحانَهُ ورَوْضَهُ، فقد وَعدهُ في الكتابِ بشارةً وصلاةً ورحمةً وهدايةً. قالَ اللّهُ تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾[4]. فكيف يؤدّى شكرُ رَبٍّ يأخذُ واحداً، ويُعْطي أربعةً، ويتلفُ عبْداً له، أوْ أمةً، ويخْلِفُ عنه مغفرةً وجنَّةً؟ أعانَ اللّه الأميرَ على قلبِه بالصَّبْرِ، وشَغَلَهُ عنِ الجَزَعِ بارْتياد الأجْرِ: [من الطويل]

---

(١) الأشْعَث بن قيس: هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب، أبو محمد، أمير كنْدة في الجاهلية والإسلام، شهد اليرموك، فأصيبت عينه، وكان مع علي في صفّين على راية كندة، ومات بالكوفة سنة ٤٠هـ.

(٢) مَوْزُور: صاحِب وِزْر، أيْ ذَنْب.

(٣) سورة البقرة ٤٥/٢. وتتمة الآية: ﴿وإنَّها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعِيْن﴾.

(٤) سورة البقرة ١٥٥/٢ و ١٥٦ ونصُّ الآيتين: ﴿وبشِّرِ الصابرين، الذين إذا أصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالوا: إنَّا للّهِ، وإنَّا إليهِ راجعُون﴾.

١- مصائبُ دُنْيانا تفوتُ مدى العددِ وأوْجَعُها أنْ يُفْجَعَ المرءُ بالوَلَدِ

قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «دَفْنُ البناتِ مِنَ المكْرُماتِ».

ودَخَلَ رَجُلٌ على ابنِ عبَّاسٍ رضي اللّه عنهُ، فقالَ: إنَّ ابنتَكَ فلانةُ ماتتْ، فقال: «الحمدُ للّهِ أجْرٌ ساقَهُ اللّهُ، ومؤونةٌ كفاها اللّهُ، وعورةٌ سَتَرها اللّهُ»[1].

ومن الأبيات قَوْلُهُ: [من الكامل]

[٨٠/ب]١- لا تَعْتِبَنَّ على الزّمانِ وصَرْفِهِ ما دامَ يَقْنَعُ مِنْكَ بالأطْرافِ

ولآخر: [من البسيط]

١- إنْ تبقَ مُنْفَرِداً فالسيْفُ منفردٌ والبَدْرُ مُنْفَرِدٌ واللَّيْثُ مُنْفَرِدُ

-١٠-

- ومن فَصْلٍ لأبي بكْرٍ الخوارزْمي -

مَنْ كانَ لهُ بنتٌ، فهو بينَ أنْ يفتقرَ، والفُقْرُ ذلٌّ وصَغارٌ، وبينَ أنْ يفتضحَ، والفضيحةُ عارٌ وشنارٌ. وطُوْبى لِمَنْ صاهرَهُ القبْرُ، وخطَبَ إليهِ الدَّهْرُ، ووُضِعَ في ميزانِهِ المهرُ، ورُزِقَ خَتَناً، ابنتُهُ أبداً منه بكْرٌ، والحمدُ للّهِ الذي ساقَ إلى الأميرِ خَتَناً طالَ ما ترومُهُ بناتُ الأُمراءِ، بل بناتُ الخلفاءِ، فلْيَشْكُرِ الأميرُ ربَّهُ على نعمتِهِ، وليصفَعْ قفا الدَّهْرِ، فقدْ خَرَجَ عن ملكتِهِ، وأطالَ اللّهُ لهُ البقاءَ، وأتمَّ عليه النعماءَ، وأراهُ في وليِّهِ وعدوِّهِ ما شاءَ.

ابن لَنْكَك[2]: [من البسيط]

١- لولا تلهُّبُ أحشائي عليكَ أسىً لِما دَفَنْتُكَ إلاّ بَيْنَ أحْشائي

ولم نَسْمَعْ في التعزيةِ أبلغَ وأحْسَنَ مِنْ قولِ الشافعي رضي اللّه عنهُ: [من البسيط]

١- إنّا نعزّيكَ، لا أنّا على ثقةٍ مِنَ البَقاءِ ولكنْ سنّةُ الدِّيْنِ

---

[1] الخبر في ربيع الأبرار ١٩٢/٥.

[2] ابن لَنْكك: هو محمد بن محمد، أبو الحسن. ولَنْكَك: لفظ أعجمي يعني الأُعَيْرج. شاعر وناثر من أدباء البصرة. وكان معاصراً للصاحب بن عباد، وللمتنبي، وقد هجا هذا الأخير. توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر فيه يتيمة الدهر ٤٠٧/٢ فما بعدها، ومعجم الأدباء ٦/١٩ فما بعدها.

٢- فما المُعزّى بباقٍ بعدَ ميتتِهِ ... ولا المعزّي وإنْ عاشا إلى حِيْنِ[1]

[٨١/أ] وأحْسَنَ أبو فراس في قولِهِ: [من الكامل]

١- ألْمَرْءُ رَهْنُ مصائبٍ ما تنقضي ... حتّى يُوارَى جِسْمُهُ في رَمْسِهِ

٢- فمُؤَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدى في أهْلِهِ ... ومُعَجَّلٌ يَلْقَى الرَّدَى في نَفْسِهِ(٢)

وله أيضاً يُعزِّي سيفَ الدولةِ: [من السريع]

١- كُنِ المُعَزَّى، لا المُعزِّي بِهِ ... إذْ كانَ لابُدَّ مِنَ الواحِدِ(٣)

فُصُولُ الشُّكْرِ

- ١ -

- فَصْلٌ في مَدْحِ الشُّكْرِ -

الشُّكْرِ عِقالُ النِّعمِ، بهِ تُرتبطُ كرائمُها، ورباطُ المِنَحِ، به تَستزِينُ عقائِلها، وقيْدُ الإحْسانِ، بهِ تُسْتدام أوابدُه، وتُستجدُّ فوائدُه، وتُرْبَطُ شواردُهُ، ولذلكَ قيلَ: الشُّكْرُ قَيْدٌ للموجودِ، وصَيْدٌ للمفقودِ. والشكرُ مُسْتَحِقٌّ للمزيدِ، وعداً من اللهِ الحميدِ، بالزيادةِ للشَّاكرين من العبيدِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝﴾[4]. شَرَطَ على عبادِهِ الشُّكْرَ، وقابَلَ ذلكَ الشَّرْطَ بجزاءِ الزِّيادةِ، مؤكّداً بحرفَيْن يوجبان التوكيدَ، وهما: اللامُ والنونُ. فمَنْ شكرَ، فقدِ اسْتَهْدَفَ فنونَ الزيادةِ، واسْتُهْدِفَ للإفادةِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أُعطيَ أربعاً لا يُمْنعُ أربعاً: [٨١/ب] مَنْ أُعطيَ الدعاءَ، لا يُمنعُ الإجابةَ، لأنَّ اللهَ تعالى يقول﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[5]. ومَنْ أُعْطيَ الشُّكْرَ، لم يُمْنَع الزيادةَ، لأنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1].

---

[1] البيتان في ديوان الشافعي (تح يوسف علي بديوي) ص ١٣٦. بخلاف في الرواية.

[2] البيتان في ديوان أبي فراس ٢/٢٣٣- ٢٣٤. ورواية البيت الأول في المخطوط "المرء نَصْب مصائب"، واخترنا رواية الديوان.

[3] البيت في ديوان أبي فراس ٢/٧١.

[4] سورة إبراهيم ١٤/٧.

[5] سورة غافر ٤٠/٦٠

لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1]. ومَنْ أُعْطِيَ الاستغفارَ، لم يُمْنعِ المغفرةَ، لأنَّ اللهَ يقولُ:﴿ فَقُلْتُ اَسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾[2]. ومَنْ أُعْطِيَ التوبَةَ، لم يُمْنعِ القبول، لأنَّ الله يقولُ:﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾[3].

وقال صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وسلَّمَ: «ولا يشكُرُ اللهَ مَنْ لا يشكُرُ النَّاسَ».

عَنْ قتادة في قوله تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[4]. قال: حقٌّ على اللهِ تعالى أنْ يُعطيَ مَنْ سألَهُ، ويزيدَ مَنْ شَكَرَه. واللهُ مُنْعِمٌ يحبُّ الشاكرينَ، فاشكروا لله نِعَمَهُ.

ومعنى الشكرِ ذِكْرُ المُحْسِنِ بإحْسانِهِ، ونشرُ أياديهِ وامتنانِهِ، والتحدُّثُ بما أنْعَمَ بهِ عليكَ، والإشادةُ بما أسْدَى إليك. قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[5]. وقالَ ﷺ: «مَنْ لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومَنْ لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللهِ. والتحدُّث بنعمةِ اللهِ شُكْرٌ، [٨٢/أ] وتركُه كفرٌ، والجماعةُ رحمةٌ، والفرقةُ عذابٌ».

وحقيقةُ مَعْنَى الشُّكْرِ في اللُّغةِ، عرفانُ الإحْسانِ، ونشرُهُ وإظْهارُهُ بالاعترافِ بهِ. ومن هذا يُقال: دابَّةٌ شَكُورٌ، إذا أظْهَرتْ من السِّمَنِ فوقَ ما تُعْلَفُ. ويدلُّ على صحَّةِ هذا أنَّ نقيضَهُ الكُفْرُ. وكُفْرُ النِّعْمةِ سِتْرُها، فلمَّا كانَ نقيضُهُ السِّتْرَ، بانَ أنَّ مَعْناهُ الإظْهارُ.

-٢-

- فَصْلٌ في مَعْنَى الحَمْدِ والشُّكْرِ والفرْقِ بينهما -

الحمدُ فوقَ الشُّكْرِ، لذلك قال اللهُ تعالى:﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[6]. فحمْدُ اللهِ، والثناءُ عليهِ، والشكرُ لنِعَمِه.فإذا حَمِدْتَ اللهَ، فقدْ شكرْتَهُ على فَضْلِهِ، وفنونِ نِعَمِهِ. وقدْ يُسْتعملُ الحمد، ولا يُرادُ به معنى الشكرِ، كما يُقال: حَمِدْتُ فلاناً على عِلمهِ وعلى شجاعتهِ. قالَ ﷺ: الحمْدُ ليسَ الشُّكْرَ، وما شكرَ اللهَ عبدٌ لا يَحْمدهُ. ثُمَّ الشكرُ على ثلاثة أقْسامٍ:

---

[1] سورة إبراهيم ٧/١٤.

[2] سورة نوح ١٠/٧١.

[3] سورة التوبة ١٠٥/٩. وانظر ما يشبه هذه الأقوال في البيان والبيتين ١٩٧/٢.

[4] سورة إبراهيم ٧/١٤.

[5] سورة الضُّحى ١١/٩٣.

[6] سورة الأنعام ٤٥/٦. ومرَّتِ الآية في سُوَرٍ أخرى كثيرة.

شُكْرُ القَلْبِ، وهو الاعتقادُ بأنَّ اللهَ وليُّ النِّعَمِ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[1]. وشُكْرُ اللِّسانِ، وهو إظهارُ النعمةِ، بالذكْرِ لها، والثناءِ على مُسْدِيها، قال اللهُ [٨٢/ب] تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]. وهذا رأسُ الشُّكْرِ المذكورِ. وشكرُ الجوارحِ، وهو آدابُها في الطاعةِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[3]. وقامَ رسولُ اللهِ ﷺ، حتَّى تفطَّرتْ قدماهُ، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، أَلَيْسَ قد غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ[4]؟ قالَ: أفلا أكُونَ عَبْداً شَكُوْراً؟!

- ٣ -

- فَصْلٌ -

واعلمْ أنَّ حقيقةَ الشُّكْرِ على ما أصابَكَ مِنْ خَيْرٍ، أو اجْتَنَبكَ مِنْ شَرٍّ أو خَيْرٍ، للهِ تعالى، ولذلكَ قالَ: «الحمدُ للهِ». قالَ ابنُ الأنباريُّ: حقيقةُ الحمْدِ تحصُّلُ كُلِّ الحمدِ للهِ لا لغيرِهِ، ذلكَ أنَّا نرى بني الدنيا يُنْعِمُ بعضُهم على بعضٍ، فيحمدُهُ على إنعامِهِ، فيكونُ حقيقةُ الحمدِ في ذلكَ. إذْ هُوَ الذي أنْعَمَ على الذي أنعمَ بما أنْعمَ بهِ ورزَقَهُ إيَّاه. وهو الذي وفَّقَ المُعطي العطيَّةَ وأجْراها على يدَيْهِ. فكانَ حقيقةُ الإنعامِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وذكَرَ ابنُ التومِ بيانَ هذا الفَصْلِ الذي ذَكَرهُ ابنُ الأنباري، فقالَ: إنَّما يجبُ أنْ تَشْكُرَ مَنْ جادَ عليكَ، فلكَ جادَ ونَفَعَكَ، أرادَ مِنْ غيرِ أن [٨٣/أ] يرجعَ إليهِ جودُهُ بشَيءٍ من المنافعِ على جهةٍ من الجهاتِ. وهو اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، ألا ترى أنَّ عطيَّةَ الرجلِ لصاحبهِ لا تخلو مِنْ أنْ تكونَ للهِ أوْ لغيرِهِ، فإنْ كانَ للهِ، فثوابُها على اللهِ، ولا معنى للشكْرِ، وإنْ كان لغيْرِ اللهِ، فلا يخلو مِنْ أنْ يكونَ لطلَبِ المجازاةِ. وهذه تجارةٌ، والتاجرُ لا يُشْكرُ على تجارَتِهِ، وجَرِّ المنفعةِ إلى نَفْسِهِ. وإمَّا أنْ يكونَ لخوْفِ يدِهِ، أوْ لِسانِهِ، أوْ رجاءِ نُصْرتِهِ. ولا مَعْنَى لشكْرِ مَنْ هذه إحدى أحوالِهِ. وإمَّا أن يكونَ للرقَّةِ والرحمةِ، ولما يجدُهُ من الألَمِ

---

[1] سورة النَّحْل ٥٣/١٦. وتتمة الآية: ﴿ثُمَّ إذا مَسَّكُمْ الضرُّ فإليه تجرون﴾.

[2] سورة الضُّحى: ١١/٩٣.

[3] سورة سبأ ١٣/٣٤. ونصُّ الآية: ﴿يعملون لهُ ما يشاءُ مِنْ محاريْبَ وتماثيلَ وجفانٍ كالجوابِ وقُدُورٍ راسياتٍ، اعملوا آلَ داودَ شُكْراً. وقليلٌ مِنْ عباديَ الشَّكُوْرُ﴾.

[4] هذا القول تذكيرٌ بالآيتَيْن الكريمتَيْن: ﴿إنَّا فَتَحْنا لك فَتْحاً مُبيناً، ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدَّم من ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ، ويُتِمَّ نعمتَهُ عليكَ ويهديك صراطاً مُسْتقيماً﴾ سورة الفتح ١/٤٨ و ٢.

في قلبهِ. ومَنْ جادَ على هذه السبيلِ، فإنَّما داوى نَفْسَهُ من دائها، وخفَّفَ عنها ثِقَلَ بُرَحائها، فأمَّا مَنْ مَدَحَهُ بشَّارُ بنُ بُرْدٍ[1] بقوله: [من الخفيف]

١- لَيْسَ يُعْطِيكَ للرَّجاءِ وللخَوْ فِ ولكنْ يَلَذُّ طَعْمَ العطاءِ(٢)

فأيُّ مَعْنَى لشُكْرِ مَنْ يُعْطي لاجْتِلابِ لذَّتِهِ ويجيبُ داعي رَأْفَتِهِ؟! وقد علمْتَ بهذا أنَّ حقيقةَ الشكْرِ للهِ تعالى.

وأمَّا الشكرُ للنَّاسِ على ما يحصُلُ منهم مِنْ بِرٍّ وإحْسانٍ، فقدْ وَرَدَ بهِ السُّنَّةُ. وهو ما رَوَيْنا منْ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ [٨٣/ب] لم يشكرِ النَّاسَ لمْ يَشْكُرِ اللهَ».

-٤-

- فَصْلٌ مِنْ كلامِ البُلَغاءِ في الشُّكْرِ على الاصطناع-

مَنْ شَكَرَ الشيخَ على الأيادي تقلَّدَها، والمساعي تخلَّدَها، والمعالي تشيَّدَها، كانَ كمنْ شكرَ الغيْثَ على انسجامِهِ، والصُّبْحَ على ابْتسامِهِ، فإنَّ الشيخَ يُحْسِنُ طَبْعاً لا تطبُّعاً، ويتفضَّلُ تَبرُّعاً وتطوُّعاً، لا تملُّقاً وتصنُّعاً، كالماءِ يجري إلى قرارِهِ، والفُلْكِ يتهادى إلى مدارِهِ.

-٥-

- فصلٌ آخَرُ-

فواضِلُ سيِّدنا عندي شتَّى الفنونِ، مُرَتَّبةُ الأوهامِ والظنونِ، تَرِدُ عليَّ من كلِّ طريقٍ، وتأتيني من كُلِّ فجٍّ عميقٍ: [من الطويل]

١- ويلزمُني في الرَّحْلِ إذْ أنا نازلٌ وَيَلْحقُني في الرَّكْبِ إذْ أنا راحِلُ

فما عِنْدي مِنْ معاني الاستحقاقِ، إلاَّ طاعَةٌ مُشْرِقَةُ الآفاقِ، ومُوالاةٌ غَضَّةُ الأوْراقِ، ولا أمْلِكُ مِنْ واجبِ الجزاءِ، إلاَّ سائِرِ الثناءِ، ودائمِ الدُّعاءِ. وهما غايتا أمثالي في شُكْرِ النِّعَمِ والآلاءِ.

---

[1] هو بشار بن بُرْد العقيلي، أبو مُعاذ. ولد ضريراً، ونشأ بالبصرة، وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، واتهم بالزندقة، فمات ضرباً بالسياط سنة ١٦٧هـ. وقد طَبَعَ ديوانه محمد الطاهر بن عاشور، ونشره في القاهرة بدءاً من عام ١٩٥٠م في أربعة أجزاء.

[2] البيت في ديوانه ١/١١١.

- فَصْلٌ آخَرُ -

أنا أرْفَعُ قَدْرَ تِلْكَ النِّعْمةِ، عن الشُّكْرِ بغيرِ الطاعةِ والخدمةِ. فأمَّا نَظْمُ الكلامِ [٨٤/أ] ونثرُهُ، وطَيُّ القولِ ونَشْرُهُ، فلِلْنِّعَمِ المتداولَةِ، والمِنَنِ المُتناوَلَةِ، وإنْ لم أكنْ أهْلاً لآلائكَ التي ملكْتَ بها رِقِّي[١]، فأنتَ لها أهلٌ: [من الطويل]

١- فإنْ لمْ يكنْ أهْلاً لنُعْماكَ منهُمُ فأنتَ لِما أوْليتَ مِنْ نِعَمٍ أهْلُ

ولسيِّدنا عِندي في كُلِّ حِيْنٍ مِنَّةٌ تالِدةٌ[٢]، وعارِفةٌ طارِفةٌ[٣]، فأخذي شكرٌ جديد، لا يثقُ بهِ إلاَّ مَنْ يأْوي إلى رُكنٍ شديد. وها أنا أُبْدي وأُعيدُ، وأُحْسِنُ وأُجِيْدُ، وأُدْرِكُ الغايةَ وأزيدُ، ثم لا أَبْلُغُ ما أريدُ. وفَّقَني اللهُ لِشُكْرِ أيادِيْهِ، ونَشْرِ مَعالِيْهِ، كما وفَّقَهُ لإلْحاق عوائدِ البِرِّ ببوادِيْهِ، وإيْرادِ روائحِ الفَضْلِ على غوادِيْهِ، وأبْقاهُ بقاءَ ذِكْرِ ما يوليهِ، وأراهُ ما يحبُّهُ ويُرْضيْهِ في مُوالِيهِ ومُعادِيْهِ.

وكتَبَ أبو الفضْلِ الهمذانيُّ إلى الأمير أبي علي:

الشكْرُ -أطال اللهُ بقاءَ الأميرِ- يُسْتَحَبُّ سماعُهُ، وتختلفُ أنْواعُهُ. فأَوْلاهُ بالقَبولِ ما صَدَرَ عن صَدْرِ الولاءِ، وشُفِّعَ جَهْرُ الثناءِ فيهِ بسرِّ الدُّعاءِ، ثم لم يَشُبْهُ مِنَ النِّفاقِ رَنَقٌ[٤]، ولم يُجْرِ اللِّسانَ بهِ مَلَقٌ. ولي، إنْ شاءَ الله، مِنَ الثِّقةِ عندَ الأميرِ الأجلِّ أكبرُ منْ هذا المحلِّ، فلما لا أَشْكُرُ [٨٤/ب] نِعَمَهُ، وهيَ ضافيةُ المدارعِ[٥]، صافيةُ المشارعِ[٦]، مضيئةُ المطالِعِ. ومَنْ لي بلسانٍ يُؤْثِرُ الشُّكْرَ شرطَهُ، ويُعطي النَّشْرَ خطَّهُ[٧]. ومتى أجدُ في كَرَمِهِ فترةً، فأشكُرُ ما سَلَفَ، أو مِنْ نِعَمِهِ فُرْجةً، فأذكُرُ ما غَبَرَ منها، فقُصارايَ أنْ أرْشُقَ أسبابَ السَّماءِ بسهامِ الدُّعاءِ، وما أحْلَى ثمارَها، وأظهرَ آثارَها، في رُقْعةِ ملكِهِ، وصفحةِ عِزِّهِ، لا زالَ

---

(١) الرِّق: العبودية.
(٢) التالد: القديم.
(٣) الطارف: الجديد والمُحْدَث.
(٤) الرَّنَق: الكَدَر. والترنيق من الأضداد، يكون تكديراً، ويكون تصفيةً.
(٥) المدارع: جمع دُرَّاعة أو مدرعة وهي ضَرْب من الثياب، وقيل هي الجُبَّة المشقوقة المقدَّم.
(٦) المشارع: جمع شريعة أو شِراع أو مِشْرعة، المواضع التي يُنْحَدَر إلى الماء منها. وقد تكون الماء بعينِهِ.
(٧) في المخطوط "حظَّه" ولعلَّه (خطَّه) انسجاماً مع السجعة.

كذا يعنو[1] القضاءُ لإرادتِهِ، ويجري معهُ الإقْبالُ على عادتِهِ، ولا زالَ شكرُنا على ما يوليه، بطول سَفِرنا فيه.

وكَتَبَ إلى أبي العبَّاس الاسْفرابيني[2]:

وفيما يقولُ الناسُ من حكاياتهم أنَّ أعْرابياً نامَ ليلاً عن حَمْلِهِ، فَفَقَدَهُ، فلمَّا طَلَعَ القمرُ، وجَدَهُ، فرفعَ إلى اللهِ يدَهُ، وقالَ: أشْهَدُ أنَّكَ أعْلَيْتَهُ، وجعلْتَ في السماءِ بيتَهُ، ثُمَّ نَظَرَ إلى القَمَرِ، فقالَ: إنَّ اللهَ صوَّرك، فنوَّرَكَ، وعلى البروجِ دوَّرَكَ، فإذا شاءَ قدَّرَك، وإذا شاءَ كوَّرَك، فما أعْلَمُ مزيداً أسألُهُ لكَ. ولئِنْ أهْدَيْتَ إلى قلبي سروراً، لقد أهْدَى اللهُ إليك نوراً. والشيخُ -أدامَ اللهُ عِزَّهُ- ذلك القمرُ المُضِيءُ، وأنا ذلك الأعْرابي، لقدْ أعْلَى اللهُ قدْرَهُ، [٨٥/أ] وأنْفَذَ بينَ الجلودِ واللحومِ أمْرَهُ، ونَظَرَ إليه وإلى الذين يَحْسدُونَهُ، فجعلَهُ فوقَهُمْ، وجَعَلَهُم دونَهُ. ولا أعْلَمُ مزيداً أسْألُهُ إلاَّ الدَّوامَ، واللهُ يديمُ له ظلالَ النعمةِ ومجالَ القدرةِ.

-٧-

- فَصْلٌ لأبي الفَرَجِ عليّ بن الحُسَيْن الكاتِب-

كُلَّما هيَّأتُ لِنعَمِ مولانا التي تراكمتْ لديَّ، وتزاحمتْ عليَّ، شكراً، أخرجُ بهِ منْ ضمانِ الكُنُودِ[3]، وأحْتمي به مِنْ سِمةِ الجحودِ، وإنْ لم يبلغْ شأوَ يسيرِها، ولم يوازنْ عُشْرَ عشيرِها[4]، تطوَّل بإسداءِ أُخْرى تفوقُها عندَ الاستباقِ، في الحُسْنِ والإشْراقِ، وتقولُ للشكرِ: أنا أحقُّ بك، فأينَ تريدُ، وبأيٍّ نعمةٍ تُشيدُ، حتَّى يبقى شكري حائِراً بليداً، لا يدري أيَجْلُوْ طارفاً[5] أم تليداً[6].

---

(١) يعنو: يخضع وينقاد.

(٢) أبو العباس الإسفراييني: هو الفضل بن علي وصَفَه الثعالبي فقال: هو من حسنات نَيْسابور ومفاخرها. وهو الآن الحكيم والزعيم بإسفرائين. انظر: يتيمة الدهر ٤/٥٠٥.

(٣) الكنود: النكران والجحود.

(٤) العشير: هو العُشْر أيضاً، وهو الجزء من عَشَرة. ومثلُهما الثمنُ والثَّمينُ والسُّدُس والسَّديس.

(٥) الطارف: الجديد المُحْدَث.

(٦) التليد: القديم الراسخ.

- ٨ -

- فَصْلٌ آخَرُ -

اسْتَمْرَرْتُ فِي شُكْرِ ما خوَّلَني وشرَّفَني وجَمَّلَني، لأنّي أطْمَعُ في بلوغِ، وأحبُّهُ ببذْلِ وسَعْيِ، وأَنْفي بُممْكنِ الشكْرِ سِمَةَ الكفرانِ عن نفسي، وكيفَ لي بلوغُ شكْرِ مَنْ لحمي ودمي مِنْ نوالِهِ، وحياتي وروحي بعضُ أفْضالِهِ، ومَنْ لا أفْتَحُ عيني إلاَّ على طولِ أوْلانِيْه، ولا أَرْفُلُ إلا في ثوبِ مَجْدٍ كسانِيْه.

- ٩ -

- فَصْلٌ في الحَثِّ على الاصْطِناع -

[٨٥/ب] الأحرارُ تُسْتَعْبَدُ بالإحْسانِ، مِنْ حيثُ تُسْتَعْبَدَ المماليكُ بالأَثْمانِ. على أنَّ المملوكَ يُعْتَقُ بنطْقةٍ، ويُباعُ في صفقةٍ، ويزولُ عنْهُ الرِّقُّ في لحظةٍ. والحُرُّ لا تزيدُهُ الأيَّامُ إلاَّ رِقّاً لمن اصطنَعَهُ، وتواضُعاً لمن رَفَعَهُ.

- ١٠ -

- فَصْلٌ آخَرُ -

لم تزلْ أيادي الشَّيخِ تطوّقُ بعُقُودِها مُقلَّدَ الأعْناقِ، وتَسْتَعْبِدُ بحُسْنِ آثارِها الأحرارَ عبوديةً تقضي لهم بالعتاقِ.

لا جَرَمَ، لقدْ جَعَلَتْ تحدو بذكْرِها سفرُ الرِّفاقِ، ويَعْبُقُ بِنَشْرِ مَعاليهِ أقطارُ الجوِّ وأرْجاءُ الآفاقِ، ولا كالصنيعةِ عنْدَ فُلانٍ، فإنَّها صنيعةٌ كريمةٌ أُسْدِيَتْ إلى مُسْتَحقٍّ لها، قائمٍ بحقوقِها، ومُنحتْ بَرّاً بها، بريئاً مِنْ عُقوقِها، [من الطويل]:

مُراعٍ شُرُوطَ المكْرماتِ مُحافِظٌ عليها، كأَنَّ المكرماتِ شرائعُ

وحَسْبي غمرتهُ مِنْ سجالِ[1] الإنْعامِ عليه أمدادُه، وتضاعفتْ لديهِ أعدادُه، وضاقَ في القيامِ بقضاءِ حقِّهِ مجالُهُ ومُرادُه. أتانا على بُعْدِ المزارِ استجادُهُ، يُنافِي قضاءُ الشكْرِ واستِمْدادُه[2]. إنَّ في الموجِ للغريقِ لعُذْراً واضحاً أنْ يفوْتَهُ تَعْدادُه،

---

(١) السِجال: الدِّلاء الممتلئة.

(٢) كذا في المخطوط. وهي غامضة، ولا يتضح معها المعنى.

فوجَبَ [٨٦/أ] علينا إجابتُهُ إلى ما التمسَ وإنْجادُهُ، فأجبْناهُ بولاءٍ للشَّيْخِ[١] ثابتٍ أوتادُهُ، لا زالَ مشْكوراً بكُلِّ لسانٍ، مُوَفَّقاً لكلِّ خيرٍ وإحسانٍ، وما استُحْسِنَ إحْسانٌ إلى إنْسانٍ.

-١١-

- فَصْلٌ في الألْفاظِ الصالِحةِ لهذا المَعْنَى[٢]-

الشكْرُ تُرْجمانُ النِّيَّةِ، ولسانُ الطويَّةِ[٣]، وشاهدُ الإخْلاصِ، وعنوانُ الاختصاصِ، والسَّبَبُ إلى الزيادةِ، والطريقُ إلى السَّعادةِ. ومنْ شَكَرَ قليلاً، استحقَّ جزيلاً.

الشُّكْرُ قَيْدُ النِّعَمِ وشِكالُها[٤]، ورِبْقتُها[٥] وعِقالُها. عندي لفلانٍ مَبارٌّ أعْجَزَني شكرُها، كما أعْوزَني حَصْرُها، فَليْسَ يبلغُ شُكْرَها أشْواطي، لا أتَلاقَى يسيرَ حقّهِ بإفْراطي، ولو استغرقْتُ الدَّهْرَ لساناً، واتَّخذْتُ الرِّيْحَ تُرْجماناً، ليُشيْعا إنعامَهُ حقَّ الإشاعةِ، لقصُرَتْ بهما يَدُ الاستطاعة.

أنا أشكرُكَ شُكْرَ الأسيْرِ لِمنْ أطْلَقَهُ، والمملوكِ لمنْ أعْتَقَهُ، لا بَلْ شُكْرَ البَلَدِ القَفْرِ، لإلْمامةِ القَطْرِ[٦]. وأُثْني عليهِ ثناءَ العطشانِ الوارد، على الزلالِ البارِدِ، والرَّوْضِ المُمْحَلِ، على الغَيْثِ المُسْبَلِ.

أشكرُهُ شُكْرَ [٨٦/ب] الأرْضِ للدِّيَمِ، وزهيرٍ لِهرَمٍ[٧]، شُكْراً مَلأ القلْبَ واللِّسانَ، كشُكْرِ حسَّانَ لآلِ غسَّانَ.[٨] شُكْراً كأنْفاسِ الأحْبابِ، أوْ أنفاسِ الرِّياضِ غِبَّ[٩] الأمطارِ. الشكرُ أزْكَى مقالٍ، ولشواردِ النِّعَمِ أوْثَقُ عِقالٍ. موقِعُ

---

[١] في المخطوط "الشيخ" ولعلَّ الصواب ما أثبتْنا.

[٢] عبارات هذا الفصل جاءت في كتاب سحر البلاغة وسر البراعة ص٧١ و ٧٢. ولكن دون نقل حرفي.

[٣] الطويّة: الدخيلة.

[٤] الشِّكال: العِقاد والرباط.

[٥] الرِّبْقة: الخيط أو الحبل.

[٦] إلمامة القَطْر: الإصابة الخفيفة للمطر.

[٧] زهير وهرم: هما زهير بن أبي سُلْمى الذي اشتُهر بمدْح هرم بن سنان في الجاهلية. وهرم هو الذي أسْهم بماله وجهده، مع الحارث بن عوف، في إصلاح ذات البيت بين عبس وذبيان اللتين احتربتا في حرب داحس والغبراء، فأصلح بينهما.

[٨] أراد حسَّان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ. وهو الذي أكثر من مدائحهَ في بني غسَّان في الجاهلية، وكان مما قاله فيهم على سبيل المثال:

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ ... *شُمُّ الأنوفِ منَ الطِّرازِ الأوَّلِ*

[٩] غِبَّ: عَقِبَ.

الشكرِ منَ النِّعْمةِ، موقعُ القِرى مِنَ الضَّيْفِ، إنْ وَجَدَهُ لم يَرُمْ[1]، وإنْ فَقَدَهُ لم يَقُمْ.

- ١٢ -

- فَصْلُ الأَبياتِ في هذا المَعْنَى -

أَحْسَنُ ما نذكُرُهُ في هذا الفَصْلِ قَوْلُ الهُزَيْمي[2]: [من المتقارب]

١- لَـئِنْ قُمْـتَ في حـاجتي آنِفـاً — ونَفَّـضْتَ عَـنْ وَجْـهِ حـالي الغُبـارا

٢- فكـمْ مِنَّـةٍ لـكَ في سـالِفٍ — علـيَّ كَبَيْـتٍ مِـنَ الـشِّعْرِ سـارا

٣- ومـا كـانَ نَفْعُـكَ لـي مَـرَّةً — ولا مَـرَّتَيْنِ، ولكـنْ مِـرارا(٣)

وقول محمود الورَّاق[4]: [من الطويل]

١- ولَوْ كانَ يَسْتَغْني عَنِ الشُّكْرِ ماجِدٌ — لِرِفْعَـةِ شَـأنٍ أوْ عُلُـوِّ مَكـانِ

٢- [illegible] أمَـرَ اللّـهُ العِبـادَ بِـشُكْرِهِ — فَقالَ: "اشْكُروني أيُّها الثَّقَلانِ"(٥)

وقولُ أبي فراس: [من السريع]

١- إنِّـي امـرؤٌ أوْلَيـتَني نِعَمـاً — أوْهَـتْ قُـوَى شُـكْري فقـدْ ضَـعُفا

٢[أ/٨٧]- لا تُسْدِيَنَّ إليَّ عارِفَةً — حتَّـى أقُـومَ بـشُكْرِ مـا سَـلَفا(٦)

وقَوْلُ المأْموني[7]: [من الطويل]

---

(١) لم يَرُم: أراد لم يَبْغِ شيئاً غيرَه.

(٢) الهُزَيْمي: هو أبو النصر المعافى بن هُزَيْم، أديب أبيورد وشاعرها. وأبيورد مدينة بخراسان. له من الكتب: محاسن الشعر، وأحاسن المحاسن. انظر يتيمة الدهر ٤/ ١٤٧.

(٣) الأبيات الثلاثة للهُزَيمي في اليتيمة ٤/ ١٤٩.

(٤) محمود الورَّاق: هو محمود بن الحسن، من شعراء العراق في القرنين الثاني والثالث الهجريين. وهو شاعر الحكمة والموعظة. وقد لقِّب بالورَّاق وبالنخَّاس أيضاً. توفي نحو سنة ٢٢٥ هـ - انظر فيه مقدمة ديوانه بتحقيق د. وليد قصَّاب.

(٥) البيتان في ديوان محمود الورَّاق (تحقيق وليد قصّاب) ص١٩٦. والثَّقلانِ: الإنْسُ والجنُّ.

(٦) البيتان في ديوان أبي نواس ص٤٣٣. والرواية: "أنتَ امرؤ جلَّلتني نِعماً".

(٧) المأموني: هو أبو طالب عبد السلام بن الحسين المأموني من أولاد المأمون أمير المؤمنين، أديب وشاعر، توفي سنة ٣٨٣هـ.

١- فَلَوْ أنَّ أعْضائي تَحَوَّلْنَ ألْسُناً   لِشُكْرِ الذي أوْلَيْتَ لم تُوَفِّ حقَّهُ

وقول الآخر: [من الخفيف]

١- كُلَّما قُلْتُ أعْتَقَ الشُّكْرُ رِقِّي   جَعَلَتْني لَكَ المكارِمُ عَبْدا

ومِنَ الألفاظ المُسْتَحْسَنَة في الشُّكْرِ:

«كيفَ يُشْكَرُ القَمَرُ على أنْ يلوحَ، والمِسْكُ على أنْ يَفُوحَ، وكيف يُقالُ للنَّجْمِ ما أضواكَ، وللفَلَكِ ما أعلاكَ، ولِلْعَسَلِ ما أحلاكَ؟!».

وكتبَ أبو العَيْناء إلى بَعْضهم:

«مَهْما جهلْتُ، فَلَسْتُ أَجْهَلُ أنّي الرَّجُلُ الذي خافَ، فآمَنَهُ عِزُّكَ، وظُلِمَ، فانتصرَ له عَدْلُكَ، واخْتَلَّ، فنعشَهُ فضْلُكَ، فمَنْ شكَرَكَ، فإنَّما شكرَكَ لنفسِهِ، ومَنْ كَفَرَكَ، فكفى باللهِ مُجازِياً ومُثِيباً، فنفَّسَ اللهُ مُدَّتَكَ، ولا زال عنّا ظِلُّكَ».

-١٣-

- وَمِنْ فَصْلٍ لِمَنْصور الهَرَوِي[(١)] -

ولوْ كانَ ما أَوْلانِيْهِ مِنْ إحْسانِهِ، وأفاضَهُ عليَّ مِنْ بركاتِ زمانِهِ، بحيثُ يَصِفُهُ لِساني، ويشرحُهُ جَناني، ويقومُ في الإعْرابِ عنه بياني، لقُمْتُ وقَعدْتُ، وأبدأْتُ [٨٧/ب] وأَعَدْتُ، وطويْتُ ونَشَرْتُ، ونظمْتُ ونثرْتُ. ولكنّي عرفْتُ الحالَ، فقصَّرْتُ المقالَ، على أنّي ثنيتُ العِنانَ، والمجالُ فَسيحٌ، وقبضْتُ اللسانَ، ولسانُ الحالِ فصيحٌ. وهلْ يَخْفَى المِسْكُ وروائحُهُ فائحةٌ، وينكتِمَ الصُّبْحُ، وتباشيرُهُ لائحةٌ؟ وآخرُ ما أملكُ إدامةُ الثناءِ، وإدْمانُ الدُّعاءِ، وأرجوهُما يَقعانِ في الجزاءِ، موقعَ الأجزاءِ، فأقول: اللهُمَّ، اجزِ الشَّيْخَ خيرَ ما تجزي به كريماً، أوْلى فضْلاً عظيماً، وأَسْدَى برّاً جسيماً. وأَدِمْ لهُ جميلَ العادَةِ، وصِلْ لهُ أبداً الصنيعَ بالإعادةِ، ولا تُعْدِمْهُ مزيدَ اليُمْنِ والسعادةِ، واجعَلْهُ مَوْفورَ العِزِّ والسِّيادةِ، دائمَ النماءِ والزيادةِ، على منتهى المحبَّةِ والإرادةِ. إنَّك على ما تَشاءُ قديرٌ، وبالإجابةِ جديرٌ.

---

(١) هو القاضي أبو أحمد منصور بن أبي منصور الأزدي، ترجمته مرَّتْ من قبلُ.

- ١ -

- فُصُوْلُ الشَّفاعةِ والعِنايةِ -

قالَ اللهُ تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[1].

عن مُجاهدٍ في الآيةِ، أنَّهُ قالَ: شَفاعةُ النَّاسِ بعضُهم لِبَعْضٍ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ما مِنْ شفاعةٍ أفْضَلُ مِنْ شفاعةِ اللِّسانِ». قالوا: [٨٨/أ] يا رسولَ اللهِ: وما شفاعةُ اللِّسانِ؟ قالَ: «تَحْقُنُ بها الدِّماءَ، وتجرُّ بها إلى أخيكَ المَنْفَعَةَ، وتدفعُ عنهُ الكُرْبَةَ، وتفكُّ بها الأسيرَ».

وقالَ بعضُ الصالحين: «الشفاعةُ يجري أجرُها ما جرتْ مَنْفَعَتُها».

- ٢ -

- فَصْلٌ لأبي نصرٍ العُتَبي في الشَّفاعة ومَعْناها والحَثّ عليها -

الشفاعة أخْتُ السَّماحةِ، فهذهِ بالجاهِ الموفورِ، وتلْكَ بالمالِ المذخورِ، وأعْرَقُها في الكَرَمِ، أغْرَقُها في بَحْرِ الهِمَمِ. والكريمُ يرى المسألةَ في خاصِّ أمرِهِ لَوْماً، وفي مصلحةِ الإخوانِ والجيرانِ فَرْضاً مَحْتوماً، وأمراً مجزوماً. وللمشفوعِ إليه حظَّانِ: حظٌّ بإجابةِ الشافعِ، وحظٌّ بإغاثةِ اللهيفِ الضارعِ. وللشفيعِ حظَّانِ، إنْ وَجَدَ إسْعافاً، رَهَنَ على الشكرِ مقلَدَهُ، وإنْ صادَفَ ردًّا، عضَّ على الذُّلِّ يَدَهُ. فاللَّئيمُ مَنْ رَدَّ المُسْتَشْفِعَ فيما يَسْتَعينُ بهِ عليهِ، وألأمُ مِنْهُ مَنْ رَدَّ الشَّافِعَ فيما أخْلَقَ بهِ وَجْهَهُ إليه.

- ٣ -

- فَصْلٌ في التَّرْغيْبِ في الشَّفاعَةِ -

قالَ إبراهيمُ السَّمّانُ: قُلْتُ لِرجُلٍ منْ وُجوهِ الكوفةِ لا يجفُّ لبدُهُ، ولا يَسْتريحُ قَلْبُهُ، ولا تَسْكُنُ حَركتُهُ في طَلَبِ حوائجِ [٨٨/ب] النَّاسِ: خَبِّرني عنِ الشَّيءِ الذي هوَّنَ عليكَ ما أرى مِنَ النَّصَبِ، وقوَّاكَ على التَّعَبِ، فقالَ: واللهِ سمعْتُ تغريدَ الطَّيْرِ في الأسحارِ، على أَفْنانِ الأشجارِ، وخَفْقَ أوْتارِ العيدانِ، وترجيعَ أصْواتِ القِيانِ الحِسانِ، فما طَرِبْتُ مِنْ صَوْتٍ قطُّ طَرَبي منْ ثناءٍ حَسَنٍ، من

[1] سورة النِّساء ٨٥/٤.

لسانٍ بيِّنٍ ، على رَجُلٍ مُحْسِنٍ، ومن شُكْرِ حُرٍّ لِمُنْعِمٍ، ومن شفاعةِ مُحْتَسِبٍ صابرٍ، لطالبِ شُكْرٍ.

وقالَ زيادٌ: اشْفَعُوا لِمَنْ وراءَكم، فليسَ كُلُّ أَحَدٍ يصلُ إلى السُّلْطانِ، ولا كُلُّ مَنْ يَصِلُ إليهِ يقدرُ على كلامٍ.

- ٤ -

- فَصْلٌ لأبي الفَرَجِ عليّ بن الحُسَيْن الكاتِب -

«الشفاعةُ تعْزِيرٌ بالجاهِ، ما لم يكنْ صاحبُها على ثقةٍ منَ الإطْلابِ، وطمأْنينةٍ مِنَ الإيْجابِ. وما أَتَشفَّعُ له إلاَّ إذا كانَ جاهي موفوراً، لم يثْلُمْه الردُّ والممانعةُ، ولم يخترمْهُ[1] التَّسْويفُ والمدافعةُ».

ولَهُ أيْضاً: «مَنْ مَتّ[2] إلى الشَّيْخِ بكرمِهِ الذي خصَّهُ اللهُ بجمالِهِ، وركَّبه في خصالِهِ، فقدْ تدرَّعَ بأكرم شفيعٍ عليهِ، وتَشبَّثَ بأوْكِدِ عصْمةٍ لدَيْهِ، إذْ كانَ الكَرَمُ، بحَمْدِ اللهِ، قبْلَتَهُ التي إيَّاها [٨٩/أ] يُوَلِّي، وإمامَه الذي لَهُ يُوالي. وقد اقتصرْتُ عليهِ توسُّلاً، واكتَفيْتُ بهِ توصُّلاً».

ولَهُ أيْضاً: «أنا –أطالَ اللهُ بقاءَ مولايَ- لا أَجْعَلُ شفاعتي بذلَّةٍ، ولا أعيرُها كُلَّ مَنْ سَنَحَتْ له حاجةٌ، علماً بأنَّها إذا كثرتْ وتوالَتْ، توهَّمَها المَشْفُوْعُ إليه مجازاً لا حقيقةً، فلم يكنْ لها ثمرةٌ، ولا في تجشُّمِها طائِلٌ ومَنْفعةٌ، فإذا حَبَوْتُ بها أحداً، لم يُشَكَّ في اختصاصِهِ بي، وحظْوتِهِ من اهتمامي، فكانَ بالإجابةِ جديراً، ومن النجاح قريباً».

ولهُ أيْضاً: «مَنْ كانتْ شفاعتُهُ زكاةَ جاهٍ، ونافِلةَ كَرَمٍ، فشفاعتي لفُلانٍ صدرتْ عنْ أسبابٍ: أجْرَيْتُهُ مجرى نفسي، وجعلْتُ حالتَي السرَّاءِ والضرَّاءِ شِرْكةً بَيْنَهُ وبيني. وسَواءٌ أُسْدِيَ الخيْرُ إليَّ أوْ إليهِ، ووُضعَ عِنانُ الإيجابِ في يديَّ أوْ يدَيْهِ».

---

(١) في المخطوط هامش يقول: "يخترمه: يقتطعه".

(٢) في المخطوط هامش يقول: "مَتَّ: طَلَبَ القُرْبَ".

- ٥ -

فصلٌ من كتاب لأبي الفَتْح البُسْتي -

كتب عن الأمير محمود إلى قابوسَ شفاعةً لأبي نَصْرٍ وأبي سَعْدٍ ابنَيْ أبي بكر الإسماعيلي:

مَنْ علَّم الأميرَ الكَرَمَ، لكأنَّما علَّمَ الغيْثَ سجاماً[1]، واللَّيْثَ إقْداماً، وذاك لأنَّ المكارمَ مِنْ خصائِصِ معانيهِ، [٨٩/ب] ونتائجِ مَساعِيْهِ ومعاليهِ، غيرَ أنَ العادةَ جاريةٌ بهزِّ السَّيْفِ، وإنْ كان ماضي الغِرارِ[2]، وقَدْح الزَّنْدِ لانتضاءِ[3] ما فيه من الأنوارِ. ومَساقُ هذا القولِ إلى ذكْر أبي نَصْرٍ وأبي سَعْدٍ ابَني الشيخ أبي بكْرٍ الإسماعيلي، أيَّدَهُما اللهُ، ورحمَ أباهما، فإنَّهما غُصْنا دوحةٍ شريفةٍ، وفَرْعا نَبْعةٍ صليبةٍ، ولِكلٍّ منهما الفضائِلُ التي سارتْ أخْبارُها، والمحاسِنُ التي سالتْ أوْضاحُها[4]. ولئنْ جرى منهما فيما تقدَّم زلَّةٌ، فقدْ يكبو الجوادُ الحليمُ، وينبو الحُسامُ، ومنْ عادتِهِ التصميمُ. ولو لم يكنْ هَفْوٌ، لما عُرِفَ عَفْوٌ. والكريمُ إذا قَدَرَ غفَرَ، وشكَرَ الظفرَ، فأنا أسألُ الأميرَ أنْ يمنَّ عليَّ فيهما، بما يعيدُ جاهَهُما، ويُقيلُ عَثْرَتَهما، ويقبلُ بُغيتَهما، والسلامُ.

- ٦ -

- فَصْلٌ للأميرِ قابوسَ: شَفاعةٌ في العَفْوِ -

العَفْوُ عن المجرمِ منْ مواجبِ الكَرَمِ، وقبولُ المعْذرةِ من محاسنِ الشِّيَمِ، لاسيَّما إذا كانَ فيما بَدَرَ منهُ ساهياً، ولما كُتِبَ عليه من سُوْءِ الإنْفاقِ ماحياً، وألْفيتُ فلاناً بحالٍ لا يُقاسُ إليها حالٌ، وضرورةٍ لا يُوازَى بها مثالٌ، قدْ زالَ قرارُهُ[5]، [٩٠/أ] وأظْلَمَ نَهارُهُ، قد أثَّر فيه خجلةُ العثارِ، ونهكَتَهُ[6] ذلَّةُ الاعتذارِ،

---

(١) السجام: الانصباب والانسكاب.

(٢) الغِرار: المثال الذي يضرب عليه نَصْل السيف ليصلح.

(٣) الانتضاء: الاكتشاف.

(٤) الأوضاح: الحلي من الدراهم الصحاح، وهي هنا بمعنى جمالاتها.

(٥) قرارُه: هدوؤه وسكينته.

(٦) نهكته: أتعبته وبهظته.

ينكتُ[1] الأرْضَ ببنانِ التَّحيُّرِ، ويغيِّمُ السماءَ بأنفاسِ التحسُّر، فحملني ما تبيَّنْتُ فيهِ منَ الذهولِ، وما دَبَّ في جِسْمِهِ منَ الذُّبولِ على تَقْويةِ قلْبِهِ، وتَسْكينِ ما بِهِ، إذْ كانَ كالغريقِ يطلُبُ مُتَعَلَّقاً، والأَسيرِ يَلْتَمسُ مُطْلِقاً، فضمنْتُ لهُ من الأستاذِ عَطْفاً، يُزيلُ زلازلَ نَفْسِهِ، ويُرْخي خُناقَ نَفَسِهِ، واثِقاً بفضلِهِ، وهو وَليُّ التفضُّلِ بتحقيقِ ظنِّهِ وظَنِّي، وصَرْفِ الخجلِ في خيبتهِ عنِّي، فقدْ تَوسَّلَ بخطابي إليهِ، وأمَّلَ كشْفَ ما دهمَهُ بشفاعتي لديهِ. وزَنْدُ الشَّفيعِ يُوْري[2] نارَ النجاحِ، ومِنْ كفِّ المُفِيْضِ[3] يُنْتظَرُ فوزُ القِداحِ.

- ٧ -

- فَصْلٌ لأبي أحْمَد الأزْدي -

الشيخُ -أطالَ اللهُ بقاءَهُ- سَحابُ أنعامِهِ لأهلِ الفضْلِ ماطرةٌ، وبحورُ أياديهِ لأولي النعم زاخِرةٌ، فمنِ انْتَحى حَضْرَتَهُ لازالتْ مأنوسةً، وقَصدَ سُدَّتَه لا بَرِحَتْ محروسةً، ورَدَ على الجنابِ الرَّحْبِ، والمنْهلِ العَذْبِ، والمرادِ المريعِ، والمحلِّ الوسيعِ، والمَرْتَعِ العشيبِ، والمرْبَعِ الخصيبِ. ومَنْ لجأ [٩٠/ب] إلى ذُرَى[4] كَرَمِهِ، أحلَّهُ ذَرَى[5] نِعَمِهِ، ومَنْ تفيَّأَ بظلِّهِ، أَسْبَلَ عليهِ ذَيْلَ فضلِهِ، ومَنْ ألَمَّ بفنائِهِ، غَرَّقَهُ في بحارِ نَعْمائهِ، ومَنْ تَشرَّفَ بالمقامِ ببابهِ، أمْطَرَهُ سجالَ إيجابِهِ. ولذلك أصبحَ، والمكارِمُ عليهِ موقوفةٌ، وأعِنَّةُ المعالي إليهِ مَصْروفةٌ، والدَّهْرُ بمحاسِنِهِ متطرِّزٌ، والزمانُ بمكانِهِ مُتَعزِّزٌ، فدامَ لواءُ الكرمِ بيدهِ معقوداً، وظلُّه على العِلْمِ وأهلِهِ مَمْدوداً، لا زالَ محلُّهُ مُنْتَجعَ الأحْرارِ، ومَقْصدَ الزوَّارِ، وأطالَ اللهُ بقاءَهُ في نعمةٍ سابغةِ السِّرْبالِ، ودولةٍ وافيةِ الأذْيالِ، ما سارَ سائرٌ، وطارَ طائِرٌ. ومَساقُ هذه المُقدِّمة إلى ذكْرِ فلانٍ، وهو مِمَّنْ لهُ الأَذِمَّةُ[6] المرعيَّةُ، والمواتُّ القويَّةُ بفضْلِهِ وأدبهِ ونَسَبِهِ، والخصالُ الحميدةُ التي اجتمعت لهُ، والأَنْحاءُ السديدةُ التي خُصَّ بها، ومشاهَدَتُهُ تُغْني عن الشهادةِ لهُ، وخُبْرُهُ يُرْبي على الإخْبارِ عَنْهُ. والشَّيْخ إذا

---

[1] نكت الأرْضَ: قرعها بإصبعه، أوْ بعُوْدٍ معه. وهذه كناية عن التفكُّر.

[2] أوْرَى يُوْري: أشْعَل يُشْعِل.

[3] المُفيض: مَنْ يخرج القداح في لعبة المَيْسرِ بكفِّهِ.

[4] الذُّرَى، بضم الذال: أعلى الشيء وأشرفه.

[5] الذَّرَى، بفَتْح الذال: الكَنَف والملجأ.

[6] الأذمّة: جَمْع ذِمَّة، وهي العهد.

جَرى على سجيَّتِهِ المعهودةِ، وطريقتهِ المحمودةِ، في إنْزالِهِ مِنْ منازِلِ الرعايةِ أعلاها، وإحْلالِهِ مِنْ مراتبِ الإيجابِ أَسْناها، وإيلائِهِ [٩١/أ] مِنَ التوافُرِ أوْفاهُ، وإيْتائِهِ مِنَ البرِّ أهناهُ، استفادَ شُكراً لا يَنْسَدُّ مَنْبَعُهُ، وثناءً يُشْرِقُ بالسُّعُودِ مَطْلَعُهُ.

- ٨ -

- فَصْلٌ آخَرُ له -

الشَّيْخُ بأخْذِ الحمدِ من مستقرَّهِ بصيرٌ، وباجْتِلابِ المَجْدِ من أماكِنِه جديرٌ. وكُلُّ لسانٍ بِنَشْرِ محاسنِهِ رَطْبٌ، وكلُّ شِرْبٍ في شُكْرِ فواضلِهِ عَذْبٌ. وفلانٌ مَنْ لا خفاءَ لَهُ بفضْلِهِ واعْتدالِهِ واشتمالِهِ على المعاني التي يبرزُ بها على أشكالِهِ، مِنَ الأفاضِلِ وأمثالِهِ، وهو لما ينالُهُ مِنْ توفُّرِ رعايةٍ شاكِرٌ، ولما يفيضُ عليه من إيجابِهِ وعنايتِهِ ناشِرٌ. والشَّيْخُ إذا رآهُ بعينِ الإحْسانِ ملاحظةً، وأوْجَبَ على جيْرتِهِ وأذِمَّتِهِ مُحافظةً، صَدَرَ عنْ حُكْمِ السُّؤْدُدِ الذي هو الكفيلُ بتمهيدِ أرْكانِهِ، والمجدِ الذي هُوَ المليُّ ببِسْطِ بنيانِهِ.

- ٩ -

- ومِنْ فَصْلٍ آخَرَ -

وليس مِنْ إنصافِهِ، إكْثاري في عَدِّ أوْصافِهِ، ومشاهدتُهُ أنطقُ بما يحويهِ، ومُعاشَرتُهُ أفْصَحُ بما يَنْشرُهُ ويَطْويهِ، فلْيَخْبَرْهُ الشَّيْخُ يجدْ خُبْرَهُ يُصغِرُ خَبَرَهُ، وعينَهُ تُحقِّقُ أثَرَهُ، فأصحِبْتُهُ هذه الصحيفةَ وما يَخصُّهُ من الرعايةِ، ويدُلُّ عليهِ عُرْفٌ يضعُهُ موضَعَهُ، [٩١/ب] وإحْسانٌ يوقِعُهُ موقِعَهُ، والسلامُ.

وقِيْلَ: "شَفَاعةُ اللِّسانِ أفْضَلُ زكاةِ الإنسانِ. والشفاعاتُ زَكَواتُ المروءاتِ".

- ١٠ -

- فَصْلُ الأَبْياتِ في هذا المعنى -

أحسنُ ما يُنْشَدُ في هذا الفَصْلِ قولُ أبي الطَّيِّبِ: [من الطويل]

١- *إذا عَرَضَتْ حاجٌ إليهِ فَنَفْسُهُ ... إلى نَفْسِهِ فيها شفيعٌ مُشَفَّعُ*(١)

وقول آخر: [من الطويل]

(١) البيت في ديوان أبي الطيِّب ٢/ ٣٥١.

١- إذا الشافِعُ استَقْصَى لكَ الجهْدَ كُلَّهُ   وإنْ لمْ يَنَلْ نُجحاً، فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ

وقول الفرزدق[1]: [من البسيط]

١- لَيْسَ الشَّفيعُ الَّذي يَأْتِيكَ مُؤْتَزِراً   مِثْلَ الشَّفيعِ الذي يأْتِيكَ عُرْياناً(٢)

وقول آخر: [من الطويل]

١- لَئِنْ سَرَّني فِي الأمْرِ أنَّكَ شافِعي   لقدْ ساءَني الدَّهْرُ أنَّكَ تَشْفَعُ

آخر: [مِنَ الطويل]

١- إذا ما بِهِ جِئْنا شَفيعاً لحاجَةٍ   لَهُ شافِعٌ عندَ الخليفةِ يُنْجِحُ

- فَصُوْلُ المَادِح والأَثْنِيَةِ-

- ١ -

- فَصْلٌ-

هو السيِّدُ بالإطْلاقِ، الماجِدُ بالاتّفاقِ، الكريمُ بالإجْماعِ والإطْباقِ، السجيحُ الأخْلاقِ، الطاهِرُ الأعْراقِ، سيِّدُ خراسانَ، ومَنْظورُ [٩٢/أ] العراقِ، سابِقُ حَلَبةِ الشَّرَفِ، وحامِلُ رايةِ الكَرَمِ، فالليالي بأفعالِهِ مُشْرِقةٌ، والأقْدارُ من خوفِهِ مُطْرقةٌ، يحمدُهُ أولياؤهُ، ويشهدُ لَهُ بالفضلِ أعْداؤهُ. يُقابلُنا البرْدُ[3] من بُرْدِهِ[4]، ويشْمِلُنا السَّعْدُ من سعْدِهِ. ولو فَخَرَ المجدُ لم تَلْقَهُ يفخرُ بشيءٍ سوى مَجْدِهِ، لا يَفْتُرُ من مَجْدٍ يَبْنيهِ، وإحْسانٍ يُوْليهِ، وخيرٍ يُسْديهِ، وفَخْرٍ يَقْنيهِ، ودِيْنٍ يحميهِ. ساعاتُهُ بِرٌّ، ونظراتُهُ بِشْرٌ. أعمالُهُ بيضٌ، وفعالُهُ مُسْتَفيضٌ. وذكرُهُ سائِرٌ، والثناءُ به طائِرٌ، ومحلُّهُ مُحْتَشَمٌ، ومقامُهُ مُقَدَّمٌ، وخُلْقُهُ مَوْمُوْقٌ، وفَضْلُهُ مَرْمُوْقٌ.

---

(١) الفرزدق: هو همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس. من شعراء البلاط الأموي. قيل في شعره: لولاه لذهب ثلث لغة العرب. وهو صاحب النقائض مع جرير والأخطل. ولقّب بالفرزدق لجهامة وجهه. وتوفي في بادية البصرة وقد قارب المئة، وكان ذلك سنة ١١٤هـ. وطبع ديوانه في دار صادر ببيروت. في مجلدين. وانظر الفرزدق، لشاكر الفحّام، والفرزدق، لخليل مردم بك.

(٢) البيت ليس في ديوانه –طبعة صادر.

(٣) البَرْد: هو ضد الحر، وهنا يعني الهناءة والطيب.

(٤) البُرْد: ثوب فيه خطوط.

مَرْمُوْقٌ. وبَذْلُهُ مَشْهُوْدٌ، وجُوْدُهُ مَعْهودٌ. وقال العُمانِيُّ[1] في المأمونِ: "لا دِيْنَ إلاَّ بِكَ، ولا دُنْيا إلاَّ معكَ، ولا خيرَ بعدَ اللهِ إلاَّ مِنْكَ".

وقالَ ابن شَمْعونَ في المهلبيِّ الوزير:

«هو إبراهيميُّ الجُوْدِ، إسماعيليُّ الوَعْدِ، شَعْبيُّ التوفيق، يُوْسفِيُّ العَفْوِ، مُحَمَّديُّ الخُلُقِ، خليليُّ السَّخاءِ والوفاءِ، هاشميُّ المَفاخِرِ[2]، مَرْضِيُّ الأوَّلِ والآخِرِ، حاتِميُّ الجُوْدِ والفوائدِ، بَرْمكيُّ القِرى والموائِدِ[3]».

وقال أبو الفَرَجِ البَبَّغا[4] في أبي تَغْلب الحمداني:

[٩٢/ب] «هو قَمْرِيُّ التَّصْويرِ، شَمْسيُّ التأثيرِ، مُشْتَرِيُّ الجُوْدِ، مرِّيخيُّ البأْسِ، عُطارِدِيُّ الآدابِ، زُهْرِيُّ السياسة، زُحَلِيُّ الإناءة».

وقال ابن المعتزّ في ابن حَمْدون النديم:

«ما هُوَ إلاَّ غذاءُ الرُّوحِ، وريْحانَةُ الأُنسِ، وظَرْفُ الظَّرْفِ، وعُذْرُ الدَّهْرِ».

وقال أبو بكر الخوارزميُّ في شَخْصٍ:

«هُوَ مِنَ الطرازِ الأوَّلِ، والطِّينةِ العتيقةِ، والأَرومةِ القديمةِ، وبقيَّةُ الناسِ الذين لا يوجدون إلاَّ في الدفاتِرِ، ولا تخرجُ أساميهم إلاَّ مِنْ كُتُبِ المآثِرِ».

وله أيضاً: - **فَصْلٌ**-

هو رَجُلٌ ما لعطاياهُ اسمٌ غيرُ الجزيلِ، ولا لأَفْعالِهِ نَعْتٌ غيرُ الجميلِ، أوَّلُ لقائِهِ بِشْرٌ، وآخره برٌّ. ومقدِّمةُ أفعالِهِ إلى زُوَّارِهِ بُشْرى، وساقتُهُ نُعمَى. أكثَرُ ما كانَ نَوالاً، أشدُّ ما كانَ السَّائلُ سؤالاً، وأعْظَمُ ما كانَ ألْطافاً، أكثَرُ ما

---

[1] العُماني: هو محمد بن ذؤيب الفُقَيْمي، ولم يكن من عُمان، وإنما أطلق عليه هذا اللقب دُكينُ الراجز، وهو شاعر وراجز. ويُقال إنه عاش ١٣٣ سنة، وله أخبار مع المهدي والرشيد. كان يُوْزَن بالعجاج ورؤبة. وتوفي سنة ٢٢٨هـ.

[2] قال معاوية: "إذا لم يكن الهاشميُّ جواداً لم يُشْبِهْ قومَه" البيان والتبيين ٦١/٤.

[3] برمكي القرى والموائد: نسبةً إلى بني برمك، وهم ستة: خالد وولده يحيى وأولاده الأربعة وهم الفضل وجعفر وموسى ومحمد. وقد روى بعض ضروب كرمهم الوطواط في كتابه غرر الخصائص الواضحة ص٢٥١- ٢٥٣. ومدح كرمهم كثير من الشعراء مثل بشار بن برد، وسلم الخاسر، ومروان بن أبي حفصة.

[4] هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي، من أهل نَصيبين. شاعر وناثر، اتصل بسيف الدولة، وكاتب أبا إسحق الصابي. وتوفي سنة ٣٩٨هـ.

كانَ الزائِرُ إلْحافاً[1]. قد تكافأتْ أقْسامُ فَضْلِهِ، وتناصرَتْ محاسِنُ قولِهِ وفِعْلِهِ، فلمْ يُشْغِلْهُ السَّخاءُ عَنِ الشجاعةِ، ولا ثنى عِنانَهُ عِلْمُ الحديْثِ والأَثَرِ، مِنَ الكلامِ والنَّظَرِ، ولا قَدَحَ في هَيْبتِهِ ما أوْدَعَ القُلُوْبَ من محبَّتِهِ، ولا بخَّسَ الرئاسةَ [٩٣/أ] حَقَّها، منْ حيثُ وَفَّى العشيرةَ حَظَّها، فهو القويُّ في غير عُنْفٍ، واللَّيِّنُ في غيرِ ضَعْفٍ. والشجاعُ إلاَّ أنَّهُ سخيٌّ، واللُّغويُّ إلاَّ أنَّهُ نحويٌّ، والسُّلْطانُ إلاَّ أنَّهُ تَقِيٌّ. يَسْكُتُ حِلْماً لا حَصَراً[2]، وينطقُ علْماً لا هَذَراً[3]، ويحلُمُ كَرماً لا غَفْلَةً، ويُعاقِبُ سياسةً لا عجلةً، ويُعْطي جُوْداً لا تَبذيراً، ويمنعُ نَظراً[4] لا تَقْتيراً[5]، ويُقْدِمُ شجاعةً لا خَرَقاً[6]، ويتوقَّفُ حَزْماً لا جُبْناً.

[من الكامل]

١- لا عَيْبَ فيه يُعابُ إلاَّ أنني   أُمْسِيْ عليه مِنَ العيوبِ شَفيْقا

- ٢ -

- فَصلٌ لأبي الفَضْلِ الميكالي -

أخْلاقُكَ قدْ أَخَذَتْ من الوَرْدِ عَرَقَهُ، ومن النَّدِّ عَبَقَهُ. أخْلاقُكَ هي المِسْكُ لولا فَأْرَتُهُ[7]، والوَرْدُ لولا مرارتُهُ، والماءُ لولا إسْراعُهُ إلى الكَدَرِ، والرَّوضُ لولا حاجتُهُ إلى المَطَرِ، وَجْهُهُ البَدْرُ لولا محاقُهُ، والمُشْتري لولا احتراقُهُ. له الشَّرَفُ اليفاعُ، والأمْرُ المُطاعُ، والعِرْضُ المَصُوْنُ، والمالُ المُضاعُ، وله النَّوالُ السَّكْبُ، والرأيُ العَضْبُ، وفيه الإباءُ المرُّ، والكَرَمُ العَذْبُ.

---

(١) ألْحف إلْحافاً: ألحَّ إلحاحاً.

(٢) الحَصَر: ضربٌ من العِيِّ، وعدم القدرة على الكلام.

(٣) الهَذَر: الكلام الكثير الخطأ والباطل، والذي لا يُعْبَأ به.

(٤) النَّظَر: التريُّث والتمهُّل.

(٥) التقتير: الإقلال من العطايا والمنح.

(٦) الخَرَق: الجهْلُ والتهوُّر والحماقة.

(٧) وشرح الجاحظ معنى (فأرة المسْك)، فقال: الناس يجدون ريْح المِسْك في بيوتهم في بعض الأحايين، وهي ريح فأرة يُقال لها: "فأرةُ المسك". وفي موضع آخر قال: بل هي الخِشْف تضعه الظبية أشْبَه بالفارة. انظر الحيوان ٧/٢١٠، و ٥/٣٠٤.

- ٣ -

[٩٣/ب] – فَصْلٌ لِغَيْرِهِ –

لهُ عبْرةٌ يترقرقُ فيها ماءُ الكَرَمِ، ويُقْرأُ منها صحيفةُ حُسْنِ الشِّيَمِ. يُحْيي القلوبَ بلقائِهِ، قَبْلَ أَنْ يُميتَ الفقْرَ بعطائِهِ. لهُ خُلُقٌ لو مُزِجَ البَحْرُ بهِ لنفى مُلُوْحَتَهُ، وصفّى كدورَتَهُ. أخلاقٌ خُلِقْنَ من الفَضْلِ، وشِيَمٌ تُسامُ فيها بوارقُ المجْدِ.

- ٤ -

– فَصْلٌ آخَرُ –

مِنْ بركاتِ فَضْلِ اللّهِ عليكَ، وإحْسانِهِ إليكَ، أنَّ المُثْني عليكَ بمحاسِنِكَ يخشى التفريطَ لاستحقاقِكَ، أكثرَ مما يخشى الإفراطَ في ذكْرِ شمائِلِكَ وأخْلاقِكَ، إذْ كانتْ معانِيكَ راجحةً بأوْصافِ مادِحيكَ، والمُثْنين عليكَ بما فيكَ، فما ينتهي القولُ إلى غايةٍ في وصْفِ خصالِكَ، إلاّ أربى عليه صُنْعُ اللّهِ لكَ في كريمِ أقوالِكَ، وتوفيقُهُ إيَّاكَ لنفائسِ أفعالِكَ.

- ٥ -

– فَصْلٌ –

كأنَّ اللّهَ تعالى لم يخلقْهُ إلا لِيُعْلِمَ خَلْقَهُ كيفَ يُحْيي مَيِّتَ الكَرَمِ، وكيفَ يَرُدُّ ذاهِبَ الهِمَمِ، وليلزمَ حجّتَهُ مَنْ جَحَدَ إحْياءَ المَوْتَى، وقالَ بِقِدَمِ الدُّنْيا، فإنَّ مَنْ قَدَرَ على أنْ يُحْيي مَيِّتَ الخُلُقِ، قَدَرَ على أنْ يُحْيي ميِّت الخَلْقِ، [٩٤/أ] وليكذِّبْ عَبيدُ بنُ الأبْرَصِ[١] في قولِهِ:

«وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ»[٢]

---

[١] عَبِيْد بن الأَبْرصَ: شاعر جاهلي من بني أسد، قتله المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه، نحو سنة ٥٥٠م. وقد نشر ديوانه د.حسين نصار في القاهرة عام ١٩٥٧.

[٢] هذا عجز بيْت لعبيد، وصدره: "وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ"، ديوانه ص ١٣. وهو من معلّقته التي تقع في خمسين بيتاً.

ولبيد بين ربيعة[1] في قوله:

«ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافِهِمْ»[2]

فقد رأيْنا مَنْ يعيشُ في كنفِهِ الأعداءُ، فكيف الأوْلياءُ؟ ويَرِدُ بحرَهُ المُفْحَمون، فكيفَ الشُّعراءُ؟

- ٦ -

- فَصْلٌ لأبي الفَرَجِ بنِ هنْدُو -

كَتَبَ عنْ مَلِكِ طَبرسْتانَ إلى الأميرِ محمودٍ[3]: وإذا جَمَعَ الملوكُ مِضْمارَ التساجُلِ والتباري، ووزنَهُمْ مِعْيارُ التفاضُلِ والتباهي، كانَ فَخْرُ مولانا أبْعَدَ إحْضاراً[4]، ومجْدُهُ أرْجَحُ مِقْداراً، فَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ نِظاماً لأسْبابِ مفاخِرِهِمْ، وجمّاعاً لأفْرادِ مآثِرِهِم، حتَّى شرقَ شَمْسٌ، وهمْ بَيْنَ كوكبٍ وشهابٍ، وتدفَّقَ بحرٌ بَيْن جَدْولٍ وسرابٍ، فالمَنْصِبُ زكيٌّ كريمٌ، والمنظَرُ بَهِيٌّ وسيمٌ، والمِقْوَلُ يحكيهِ السَّيْفُ البتَّارُ، والخُلُقُ يَغْذيهِ الأَرْيُ المُشتارُ[5]، والفَهْم قد انْتُهِكَ له غطاءُ الدقائقِ، حتَّى بَلَغَ بهِ أمَدَ الحقائقِ، والحِلْمُ تخفُّ له الأطوادُ راسيةً، والبأسُ تخيمُ[6] عنه الآسادُ ضاريةً، والهِمَّةُ قِمَّةُ الجوزاءِ، والصَّدْرُ سِعَةُ الدَّهناء[7]، والسياسةُ ثِقافُ[8] البواطِنِ والظواهِرِ [٩٤/ب] والعَدْلُ قِسْطاسُ[9] الأكابِرِ والأصاغِرِ. لذلكَ استرعاهُ اللهُ العِبادَ والبلادَ، وجَعَلَهُ لدينِهِ العتادَ والعِمادَ،

---

(1) هو لَبِيْد بن ربيعة بن مالك العامري، شاعر مخضرم، وفدَ على النبي ﷺ وأسلم. وهو أحد شعراء المعلقات السبع. وقد نشر ديوانه بشرح الطوسي إحسانُ عباس في الكويت. انظر فيه: الشعر والشعراء ٢٧٤/١ فما بعدها و٢٤٦/٢ فما بعدها وخزانة الأدب ٢٤٦/٢.

(2) هذا صدر بيت، وعجزه: "وبقيْتَ في خلفٍ كجلد الأجربِ" وهو من قصيدة لبيد في رثاء أخيه أربد. ديوان لبيد ص١٥٧.

(3) أراد الأمير محمود الغزنوي.

(4) الإحضار: عَدْوُ الفَرَس. و وَرَدَ هذا الشرح في هامش المخطوط.

(5) الأرْيُ المُشتار: العَسَل المُجْتَنَى.

(6) تَخِيْم: من الخَيْم، وهو الجُبْن. وورد هذا الشرح في هامش المخطوط.

(7) الدهناء: اسم صحراء واسعة في شبه الجزيرة العربية.

(8) الثِّقاف: الآلة التي تُسَوَّى بها الرماحُ إذا اعوجَّت.

(9) القِسْطاس: أَعْدَلُ الموازين وأقْوَمُها.

فأضحَتْ يدُ الشِّرْكِ مبتوكةً[1]، ومنَّةُ[2] الكُفْرِ منهوكةً[3]، وبيضةُ الدِّيْن مَحْفوظةً بصيانتِهِ، وثغورُ المسلمين محفوفةً بحصانتِهِ. فالحَمْدُ للهِ على ما وحَّدَهُ بهِ من هذه الصفاتِ، التي واحِدَتُها تُوْفِي على رَبْوةِ الفَخارِ، وفارِدَتُها تَكْفيهِ كُلْفَةَ الاسْتكثارِ، فهو الفَذُّ الذي لا يُقْرَنُ بهِ في فَضائِلِهِ رسيلٌ[4]، والبدْرُ الذي لا يُبْتَغَى على محاسِنِهِ دليلٌ.

- ٧ -

- فَصلٌ آخَرُ لَهُ -

أنا أحمدُ اللهَ، إذْ جَعَلَ فُلاناً غُرَّةَ[5] هذا العَصْرِ البهيمِ، وزينةَ هذا الدّهْرِ الذَّميمِ، فاسْتَبَدَّ بالكرَمِ حتَّى لم يُشارَكْ فيهِ، ولم يَطِرْ سواهُ بنواحيهِ، واسْتَنْقذَ الكرامَ، وهم في مخالِبِ النوائبِ، حَتَّى وسَمَهَم برِقِّه، وأثْقلَهم بحقِّه. وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يُهنِّئَهُ ويُهنئنا فيه هذه النعمةَ التي لمثْلها يُزادُ العمْرُ، والمالُ الغَمْرُ[6]، والولايةُ والأمْرُ، ويبقيه سابقاً في الميدانِ، راجِحاً في الميزانِ، فَلَهُ الشَّوْطُ الأَبْعَدُ في الفتوَّةِ، والأمَدُ الأَقْصَى في المروَّةِ. والهِمَمُ قاصِرةٌ عَنِ [٩٥/أ] الدخولِ في مضمارِهِ، وآيسةٌ من لُحُوْقِ غبارِهِ.

- ٨ -

فَصلٌ آخَرُ لَهُ -

فضائِلُ مولايَ، لو لمْ ينطقْ بها لسانٌ، ولم يَخُطَّ في وَصْفِها بنانٌ، لتحقَّقَتْ تجربةً عن عِرْقِ[7] الفَضْلِ وطُلُوْعِهِ من نصابِ[8] المجدِ، فكيفَ وهي منصوبةٌ على الأعلامِ، مكْتوبةٌ بالأقْلامِ. وسروري -يعلمُ اللهُ تعالى- بها سرورُ مَنْ حواها،

---

[1] المَبْتوكة: المقطوعة. وبتك: قطع.
[2] المنَّة: القوَّة.
[3] منهوكة: أي ضعيفة، وورد هذا الشرح في هامش المخطوط.
[4] الرسيل: الفحل. وتقول العرب للفحل يُرْسَل في الشَّوْل ليضربها رَسيلاً. وهذا رسيل بني فلان أي فحل إبلهم.
[5] غُرَّةُ العَصْرِ: رأسه وسيِّده.
[6] الغَمْر: الكثير.
[7] العرْق، هنا الأصل. وعرق كل شيء، أصله.
[8] النصاب: الأصل والمرجع.

وتوشَّحَ بحليتِها وارْتداها، إذْ كُنْتُ بحقِّ مولايَ له قسيماً في ثمراتِ غصونِهِ، قريرَ العينِ بلمعانِ نجومِهِ.

- ٩ -

- فَصْلٌ للأُسْتاذ أَبي بَكْر -

هو الرَّجُل يَصغُر عِنْدَهُ العُظَماءُ، وتخرسُ بَيْنَ يديهِ البُلَغاءُ، وينقطعُ في مِضْمارِهِ الكُتَّابُ والشُّعراءُ، وتتناصَرُ على كلامِهِ الملوكُ والأُمراءُ، ويتشفَّعُ بهِ إلى زمانِهِ الأصْدقاءُ، ويفخرُ بلُقْياهُ على آبائِها الأبْناءُ، كما يفخرُ بولادتِهِ على الرجالِ النِّساءُ، وذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يشاءُ. والأَلْسِنةُ كُلُّها في مديحهِ لسانٌ، والناسُ كلُّهم في محبَّتِهِ إِنْسانٌ. وقد تقاطَرَ أبناءُ الرغباتِ إلى بابِهِ أَرْسالاً[١]، ونفروا إليه خِفافاً وثقِالاً.

- ١٠ -

- فَصْلٌ آخَرُ لَهُ -

واللهِ، لو أنَّ الكَرَمَ طافَ في أهلِهِ، لما وَقَفَ إلاَّ على [٩٥/ب] بابِهِ، ولو ضَلَّ لما نُشِدَ إلاَّ من دارِهِ، ولو كانَ امرأةً لما أُرْخِيَ إلاَّ عليه سِتْرُها، ولا وُجِدَ إلاَّ لديهِ مَهْرُها.

- ١١ -

- فَصْلٌ لأبي الفَضْلِ بديعِ الزَّمانِ -

طَلَعْتُ مِنَ الشَّيخِ العميدِ على شَخْصٍ يَسَعُه الخاتَمُ، ولا يَسَعُه العالَمُ، ونَفْسٍ تهتزُّ عِنْدَ المكارِمِ كالغُصْنِ، وتثبُتُ عندَ الشدائدِ كالرُّكْنِ، وسُلْطانٍ يحلمُ حِلْمَ السَّيْفِ مُغْمَداً، ويغضبُ غضبتَهُ مجرَّداً. فهو عندَ الكَرَمِ لَيِّنٌ كصفحتِهِ، وعندَ السياسةِ خَشِنٌ كشفرتِهِ. ومَلِكٍ يأتي الخيرَ سجيَّةً، ويفعَلُ الكَرَمَ عمْداً ونيَّةً، ويفعلُ الشرَّ كلفةً أوْ خَطِيَّةً، فهو ضرورٌ بآلاتِهِ، نَفُوعٌ بذاتِهِ، عطارِدٌ[٢] بقلمِهِ ودواتِهِ، مرِّيخٌ[٣] بسيفِهِ وقناتِهِ. عَيْبُهُ أنْ لا عَيْبَ فيهِ، فيصرفَ عينَ الكمالِ عن معاليه.

---

[١] الأَرْسال: الأفواج والفرق المتقطعة يتلو بعضها بعضاً.
[٢] عطارد بقلمه: أراد أنه كوكب الكتّاب، لأن عطارد هو كوكب الكتَّاب ، اللسان (عطرد).
[٣] مرِّيخ بسيفِهِ: أراد كوكب المريخ الذي هو من الكواكب الخُنّس في السماء الخامسة. والمريّخ أيضاً: الرجل الأحمق.

وصادَفْتُ مِنَ الشيخِ الموفَّقِ مَلكاً يُشاهَدُ عِياناً، وجبلاً سُمِّي إِنْساناً، وحُسْناً قدْ مُلِئَ إِحْساناً، وأسداً قد لُقِّبَ سُلْطاناً، وبحراً قَدْ أمْسَكَ عِناناً[1].

- ١٢ -

- فَصْلٌ لَهُ فِي الأميرِ خَلَفِ بن أَحْمدَ[2] -

وَرَدْنا منْ حَضْرتِهِ، عَرَصَةَ[3] العَدْلِ، وساحةَ الفَضْلِ، وسُدَّةَ البَذْلِ، ومَوْسَمَ [٩٦/أ] العِلْمِ، ومشْعرَ الدينِ، ومَشْرَعَ المجدِ، ومطلعَ الجوْدِ، ومنزعَ الأملِ، ومَرْتَعَ الحمْدِ، ومفزعَ الشكْرِ، ومصدعَ الفقْرِ، فجعلَ حَبْسَنا سجستانَ وقيْدَنا. وكأنَّما خُلِقَ ليقبلَ المستحيلَ مانِعُهُ، ويصدِّقَ بالمحالِ سامِعُهُ، فيَعْلَمَ أنَّ البَحْرَ يجري على رجْلَيْنِ، وأنَّ المجدَ يُتصوَّرُ للعَيْنِ، وأنَّ العدلَ يتبسَّمُ، والجودَ يتجسَّمُ، والنجمَ يتكلَّمُ، والليثَ يتكرَّمُ. ولوْ طلبْتُ ملكاً في أخْلاقِهِ، مُتُّ ولم ألاقِهِ، أو كريماً في جودِهِ، عُدِمْتُ قبْلَ وجودِهِ. وهذا وَصْفٌ إنْ أطلْتُهُ طالَ، ونَشَرَ الأذْيالَ، ويَستْغرقُ القرْطاسَ، بلِ الأنْفاسَ، وأفْنِي الأعمارَ، بلِ الأعْصارَ، ولم أبلغِ المِعْشارَ، وأستنفدُ الأقْلامَ، بلِ الكلامَ، ولم أبْلغِ التمامَ. فما ظَنُّ الشيخِ بمَلِكٍ شَهِدَتْ له الفراسةُ رضيعاً، أنْ لا يكون وضيعاً، والمخايلُ فطيماً، أنْ[4] يكون سمحاً كريماً، والشواهدُ صبيّاً، أنْ ينزل مكاناً عليّاً، والشمائِلُ غلاماً، أن يكون ملكاً هُماماً.

---

(1) العَنان: السَّحاب، أو المزن التي تمسك الماء.

(2) هو الأمير خلف بن أحمد بن الليث السِّجزي كان ملكاً بسجستان. وكان من أهل العلم والفضل والسياسة. توفي في بلاد الهند محبوساً بعد أن سُلب منه ملكه سنة ٣٩٩هـ. وكان بديع الزمان قد امتدحه في ست مقامات. وهذه المقامة إحداها.

(3) في المخطوط هامش يقول: "عرصة، منصوبٌ، بأعني مضمراً". والعَرَصَة: بقعة ليس فيها بناء.

(4) في المخطوط وردت كلمة "لا" بعد "أن"، وهذا يفسد المعنى. وتكرّرت "لا" بعد "أن" في السجعات التالية. وقد حذفناها ليستقيم المعنى.

- ١٣ -

- فَصْلٌ فِي الأَلْفاظِ الصالِحَةِ لِهذا المَعْنَى -

لَهُ أصلٌ راسخٌ، وفَرْعٌ شامخٌ، ومجْدٌ باذِخٌ[١]، وحَسَبٌ شادِخٌ[٢]، قدْ ركَّبَ اللهُ دوحتَهُ في قرارةِ المجْدِ، وغَرَسَ نَبْعتَهُ في مَحلِّ الفَضْلِ. [٩٦/ب] نَسَبٌ ضَخْمٌ، وشَرَفٌ فخْمٌ، قد استَوْفَى شَرَفَ الأَرومةِ[٣]، بِكَرَمِ الأبوَّةِ والأمومة.

هو الطيِّب أصلاً وفَرْعاً، الزكيُّ بذراً وزَرْعاً. قد جَمَعَ إلى عزِّ النصابِ[٤]، فَضْلَ الآداب.

هم عُصبةٌ خيِّرةٌ، فضلُها راهِنٌ، وشَرفُها على شَرَفِ النماءِ ، وشَجَرةٌ طيِّبةٌ، أصلُها ثابتٌ، وفرعُها في السماءِ. قد جَمَعَ شَرَفَ الأخْلاقِ، إلى شَرَفِ الأعْراقِ، وكَرَمَ الآدابِ، إلى كَرَمِ الأنسابِ. لا غَرْوَ أنْ يَغْمُرَ فَضْلُهُ، وهو نَجْلُ الصِّيْدِ[٥] الأكارمِ، ويغزُرَ علْمُهُ، وهو فَيْضُ البحورِ الخضارمِ[٦]، له مَجْدٌ يَلْحظُ الجوزاءَ من عالٍ، ويطولُ النجمُ كُلَّ مطالٍ. شَرَفٌ تضعُ الأفلاكُ له خُدودَها وجباهَها، وتلثمُ النجومُ أرْضَهُ بأفواهِها وشفاهِها.

- ١٤ -

- فَصْلٌ فِي الأَلْفاظ التي تُسْتَعْمَلُ فِي المدْح بالجودِ والكَرَمِ -

ينابيعُ الجُوْدِ تتفجَّر منْ أناملِهِ، وربيعُ السَّماءِ يضحكُ عن شمائِلِهِ، فلو أنَّ البحْرَ مَدَدُهُ، والسَّحابَ يَدُهُ، والجبالَ ذهَبُهُ، لقصَّرَتْ عمَّا يهبُهُ. قدْ حَكَّمَ الآمالَ في أمْوالِهِ، واستَعْبَدَ الأحْرارَ بِفَعالِهِ. لا يبلغُ كَعْبُ[٧] في الجودِ كَعْبَهُ، هو جوادٌ ملءَ لِباسِهِ، مُوَفَّقٌ مدَّ أنفاسِهِ.

---

(١) الباذخ: العالي والشامخ.
(٢) الشادِخ: المنتشر والطويل والمتّسع.
(٣) في المخطوط: "الأدومة" وهو خطأ، والصواب ما أثبتنا. والأرومة: الأصل.
(٤) النِّصاب: الأصل والمرجع.
(٥) الصِّيْد: جمع أصْيَد. وهو الذي يرفع رأسَه كِبْراً.
(٦) الخضارم: جمع خِضْرِم، وهو الكثير الماء.
(٧) كَعْب: أراد كعب بن مامة، وهو مَضْرب المثل في الجود.

- ١٥ -

- فَصْلٌ في ما يُمْدَحُ بِهِ في العِلْمِ والأدَبِ -

[٩٧/أ] العِلْمُ حَشْوُ ثيابِهِ، والأدَبُ مِلءُ إهابِهِ. هو شخْصُ الأدبِ ماثِلاً، ولِسانُ العِلْمِ قائِلاً. ما يؤْنِسُهُ مِنَ الوحْشةِ إلاّ الدَّفاتِرُ، ولا يصْحبُهُ في الوحدة إلاّ المحابرُ. قدْ جَمَعَ الحِفْظَ الغزيرَ، والفَهْمَ الصحيحَ، والأدَبَ القويَّ القويمَ.

- ١٦ -

- فَصْلُ الأبيات في هذا المَعْنَى -

مِنْ أَحْسَنِ ما يُذْكَرُ في هذا الفَصْلِ قولُ ابنِ نُباتةَ[١]: [من البسيط]

١- *لَمْ يُبْقِ جُوْدُكَ لي شيئاً أُؤَمِّلُهُ ... تَرَكْتَني أصْحَبُ الدُّنْيا بِلا أَمَلِ*[٢]

وقَوْلُ أبي فِراسٍ في سَيْفِ الدولةِ: [من السريع]

١- *مَحَلُّكَ الجوزاءُ أوْ أرْفَعُ ... وصَدْرُكَ الدَّهناءُ أوْ أوْسَعُ*

٢- *وقَلْبُكَ الرَّحْبُ الذي لم يَزَلْ ... للجِدِّ والهَزْلِ بِهِ مَوْضِعُ*

٣- *رَفِّهْ بِقَرْعِ العُوْدِ سَمْعاً، غدا ... قَرْعُ العوالي جُلَّ ما تَسْمَعُ*[٣]

ولِهذه الأبيات سَبَبٌ: وهو أنَّ سَيْفَ الدولةِ قَلَّ ما كانَ يبسطُ مَجْلسَ الأنْسِ لاشتغالِهِ بتدبير الجُيوشِ، ومُلابَسةِ الخُطُوْبِ، فوافَتْ حَضْرَتَهُ إحْدى المحسَّناتِ من فتياتِ بغدادَ، وتاقتْ نَفْسُ أبي فراسٍ إلى سَماعِها، ولم يُرِدْ أنْ يَبْتَدِئَ باسْتِدْعائها قَبْلَ سيفِ الدولةِ، فكتبَ إليهِ هذهِ الأبياتَ، يحثُّهُ على اسْتحضارِها، [٩٧/ب] فبلغت هذه الأبياتُ المهلبيَّ الوزيرَ، فأمَرَ القيانَ والقوّالِيْنَ بتحفُّظها وتلْحينِها، وصارَ لا يشربُ إلاّ عليها.

---

[١] هو عبد العزيز بن عمر السعدي، ولد ببغداد، من شعراء بلاط سيف الدولة الحمداني. مدح بعض رجال عصره، وتوفي سنة ٤٠٥هـ. وطبع ديوانه ببغداد ١٩٧٧.

[٢] البيت في ديوان ابن نباتة ١/٢٠٨.

[٣] الأبيات في ديوان أبي فراس ٢/٢٤٣.

ومن ظريف ما يُذكرُ في هذا الفصْل قولُ المُستَهامِ الحلَبيِّ[(١)]: [من السريع]

١- ذُو مَنْظَرٍ دَلَّ على مَخْبَرٍ ... دلالةَ اللّفظِ على المَعْنى

٢- تُطْرِبُهُ الأشْعارُ في مَدْحِهِ ... ولم يضَعْ قائلُها لَحْنا[(٢)]

وقولُ أَبي تمّام: [من الوافر]

١- ونغْمةِ مُعْتفٍ تأتيهِ أحلى ... على أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّماعِ[(٣)]

ثم قول البحتري: [من الكامل]

١- نَشْوانُ يَطْرَبُ للمديحِ كأنّما ... غَنّاهُ مالِكُ طيّئٍ أو مَعْبَدُ[(٤)]

ثم قول ابن الرومي: [من البسيط]

١- كلُّ الخلالِ التي فيكُمْ مَحاسِنُكُمْ ... تَشابَهتْ منكُمُ الأخْلاقُ والخلَقُ

٢- كأنّكُمْ شَجَرُ الأُتْرُجِّ طابَ معاً ... أصلاً وفرْعاً، وطابَ العُودُ والورقُ

وقال ابنُ كُناسةَ: لم يُمْدَحْ بأحْسنَ مما مَدَح أميَّةُ بن [أبي] الصَّلْت[(٥)] عبدَ اللّه بنَ جُدْعان[(٦)] في قولِهِ: [من الطويل]

١- وما بَلَغتْ كفُّ امرئٍ مُتناوِلاً ... مِنَ المَجْدِ إلاّ حيثُ ما نِلْتَ أطْوَلُ

[٩٨/أ] ٢- وما بلَغَ المُثْنونَ في الخيرِ مِدْحةً ... ولو صَدَقُوا، إلاّ وما فيكَ أفضلُ[(٧)]

---

(١) المُستهام الحلبي: هو أبو الحسين. قال عنه الثعالبي: "هو غلام أبي الطيب اللغوي والببغا" ،تتمة اليتيمة ص ١٨.

(٢) البيتان مع ثلاثة أخر، للمُستهام في تتمة اليتيمة ص ١٨.

(٣) البيت في ديوان أبي تمام ٣٣٩/٢. والرواية: «يرجوه أحلى». والمعْتفي: طالب العطاء.

(٤) البيت في ديوان البحتري ٦٢٩/١، برواية "يطرب للسؤال".

(٥) هوَ أميّة بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي شاعر مخضرم من أهل الطائف. كان ممن حرّموا على أنفسهم الخمرة قبل الإسلام ونبذوا عبادة الأصنام. وهو أول من جعل في أول الكتب باسمك اللهمّ. قال فيه الأصمعي: «ذهب أميّة في شعره بعامة ذكر الآخرة». وقال فيه الرسول ﷺ: «آمن لسانه وكفر قلبه». انظر الأغاني ١٢٠/٤ فما بعدها، وخزانة الأدب (ط هارون) ٢٤٧/١ فما بعدها.

(٦) هو عبد الله بن جُدْعان التيمي القرشي أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية. كان جواداً سخياً. يُعدُّ من حكام العرب في الجاهلية. انظر فيه المحبر ١٣٧، وخزانة الأدب ٣٦٦/٨ (ط هارون).

(٧) البيتان في ديوان أمية بن أبي الصلْت ص٥٥٣. وقد أدرجهما المحقّق بين الأبيات التي أُنْشِدت لأميّة، وهي ليست له. ويُعْزَى البيتان للخنساء أيضاً، وهما في ديوانها (ط صادر) ص٦٥.

وقولُ الفرزدق: [من الكامِل]

١- إنّ المهالبةَ الكرامَ تحمَّلوا ... دَفْعَ المكارهِ عَنْ ذوي المَكْروهِ

٢- زانُوا قديمَهُمْ بِحُسْنِ حديثِهم ... وكريمَ أخلاقٍ بحُسْنِ وُجُوهِ(١)

ثم قول الشيخ أبي منصور الثعالبي: [من الكامل]

١- أوْفَى على شَرَفِ الكمالِ بمجْدِهِ ... واللهُ يَصْرِفُ عَنْهُ عينَ كمالِهِ(٢)

ولهُ أيضاً: [من الوافر]

١- نَظَرْتُ فَلَمْ أجِدْ لكَ مِنْ نظيرٍ ... ولمْ أسْمَعْ بمثْلِكَ مِنْ وزيرِ

٢- كريمُ الخيْمِ مَغْسُولُ السَّجايا ... وساعِ الخطْوِ في خَيْرٍ وخيْرِ[٣]

٣- شَرِكْتَ الشمسَ في حُسْنٍ ونُورٍ ... وأرْبَاءٍ على القَمَرِ المُنِيرِ

٤- فدُمْ كدوامِها، واسعدْ بمُلْكٍ ... كبيرٍ واستَدِمْ صَدْرَ السَّريرِ(٤)

ومما يُذْكَرُ في هذا المعنى قول أبي تمّام: [من الوافر]

١- فلوْ صوَّرْتَ نَفْسَكَ لمْ تَزِدْها ... على ما فيكَ مِنْ كَرَمِ الطِّباعِ(٥)

وقولُهُ أيضاً: [مِنَ الوافر]

١- دَنَوْتَ تواضُعاً، وعلَوْتَ قدْراً ... فَشَأْناكَ انْحِدارٌ وارْتِفاعُ

[٩٨/ب]٢- كذاك الشمسُ تبعُدُ أنْ تُسامَى ... ويَدْنُو الضوءُ منها والشُّعاعُ(٦)

وقولُ ابن الرُّومي: [مِنَ البسيط]

١- لولا عَجائِبُ صُنْعِ اللهِ ما نَبَتَتْ ... تِلْكَ المكارِمُ في لَحْمٍ، ولا عَصَبِ(٧)

---

(١) البيتان في ديوانه (ط صادر) ٢/ ٣٥٠.

(٢) البيت غير موجود في ديوان الثعالبي ولا في مستدركاته.

(٣) الخيْم: الشِّيْمة والطبيعة والخُلُق والسجيَّة. وقيْل: أصله فارسي مُعرَّب لا واحدَ لهُ من لفظه ،اللسان (خيم). والخَيْر: ضد الشر، والخِيْر: التَّخْييرِ والخيَار.

(٤) البيتان ١ و ٢ ليسا في ديوان الثعالبي ولا في مستدركاته.

(٥) البيت في ديوانه (بشرح التبريزي) ٢/ ٣٤٠.

(٦) البيتان للبحتري، وهما في ديوانه ص٢٢٨. وغير صحيح قول المؤلف إنهما لأبي تمام، كما يفهم من عبارته: "وقوله أيضاً".

(٧) البيت في ديوانه ١/ ١٩٦.

وله: [مِنَ البسيط]

١- بَراكُمُ اللهُ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ كَرَمٍ ... أزكى مِنَ الماءِ بَلْ أذكى مِنَ الشُّعَلِ

٢- تلوحُ في دولةِ الأيامِ دَوْلَتُكُمْ ... كأنها مِلَّةُ الإسلامِ في المِلَلِ(١)

وله: [من الطويل]

١- رَجَحْتُمْ على أكفائِكُمْ إذْ وُزِنْتُمْ ... وهَلْ تَستوي الآلافُ والعشراتُ؟!(٢)

وقول كشاجم[٣]: [مِنَ البسيط]

١- أحْيا بِكَ اللهُ هذا الخَلْقَ كُلَّهُمُ ... فَأنتَ رُوحٌ، وهذا الخَلْقُ جُثْمانُ(٤)

السري: [من الكامل]

١- شخصَ الأنامُ إلى كمالِكَ فاستَعِذْ ... مِنْ شَرِّ أعينِهِمْ بعيبٍ واحدِ(٥)

وقَوْل عليّ بن العبّاس: [مِنَ الكامل]

١- ما وَجْهَ التأميلَ نَحْوَكَ آمِلٌ ... إلاّ التقى التأميلُ والتَّمْويلُ

٢- لا زالَ تَعْويلٌ عَلَيْكَ مُصَدَّقاً ... وعلى عَدُوِّكَ رَنَّةٌ وعَويلُ

وله: [من المُنْسرح]

١- ماذا على مَنْ يَراكَ في بَلَدٍ ... ألاّ يَرى شَمْسَهُ ولا قَمَرَهْ

٢- ولا على مَنْ يراكَ في زَمَنٍ ... ألاّ يرى نَوْرَهُ ولا زَهَرَهْ

وقول البحتري: [من الكامل]

---

(١) البيتان في ديوانه ٥/٢٠٥٢.

(٢) البيت في ديوانه ١/٣٨٩.

(٣) كشاجم: هو محمود بن الحسين، شاعر متفنن من كُتَّاب الإنشاء، وهو من أهل الرملة بفلسطين، فارسي الأصل. وتوفي كشاجم سنة (٣٦٠هـ). له من المصنّفات: المصايد والمطارد، وأدب النديم. وطبع ديوانه في بغداد بتحقيق خيرية محمد محفوظ، عام ١٩٧٠.

(٤) البيت ليس في ديوان كشاجم (ط بغداد).

(٥) البيت ليس في ديوان السري الرفاء.

١-]١١/١/٩٩[- لا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فإنَّهُ قَمَــرُ التأمُّــلِ مُزْنَــةُ التأميــلِ(١)

وله: [من الكامل]

١- مُتَقَبِّلٌ مِنْ حَيْثُ جاءَ حَسبْتَهُ لِقَبُولِــهِ في القَلْــبِ جــاءَ مُبَــشِّرا(٢)

وقول القاضي عليّ بن عبد العزيز: [من الطويل]

١- وهَلْ زادَ وَجْهَ البَدْرِ نوراً وَبَهْجَةً إطالَــةُ ذي وَصْــفٍ وإكثــارُ مــادِحِ؟

ابن الرومي: [من البسيط]

١- وقَـلَّ مَـنْ ضُمِّنَتْ خيراً طَوِيَّتُـهُ إلاّ وفي وَجْهِــهِ للخَــيرِ عنــوانُ(٣)

وله: [من البسيط]

١- لــهُ ســحائِبُ جُــوْدٍ في أنامِلِــهِ أمطارُهــا الفِـضَّةُ البيـضاءُ والــذَّهَبُ

٢- يقولُ في العُسْرِ: إنْ أيسَرْتُ ثانيةً أمْسَكْتُ عَنْ بَعْضِ ما أُعْطي وما أَهَبُ

٣- حتّــى إذا عــادَ أيّـامُ اليَـسارِ لَــهُ رأيْــتَ أمْوالَــهُ في النّــاسِ تُنْتَهَــبُ(٤)

وقول الصُّوْلي(٥): [من الطويل]

١- يَغُــضُّونَ عَنْــهُ هَيْبَــةً ويَــراهُمُ بطَـرْفٍ رفيـعِ اللَّحظِ ليسَ بذي غَضٍّ

٢- إذا ما بدا، والقَوْمُ فوقَ سُرُوْجِهِم تَـاثرتِ الأَشـرافُ منْـه علـى الأرْضِ(٦)

آخر: [من الرَّمل]

١- أنْـتَ كُـلُّ النـاسِ عنـدي، فـإذا غِبْـتَ عــن عَـيْنيَّ لم أَلْـقَ أحَـدْ

آخر: [من البسيط]

١- قَـدْ قُلْـتُ لَمّـا أتَيْنـاهُ فأكْرَمَنـا إنَّ الليـاليَ قَـدْ أبْقَـيْنَ إنْـسانا

---

(١) البيت في ديوان البحتري ١٦٥٩/٣.
(٢) البيت في ديوان البحتري ٩٧٩/٢.
(٣) البيت في ديوان ابن الرومي ٢٤٢٨/٦.
(٤) الأبيات الثلاثة ليست في ديوان ابن الرومي.
(٥) هو إبراهيم بن العباس الصولي كاتب وشاعر من رجال الدولة العباسية وأعلام إدارتها توفي في العام ٢٤٣هـ. ونَشَرَ ديوانه عبد العزيز الميمني في كتابه "الطرائف الأدبية".
(٦) البيت في ديوان الصولي ١٨٥. والرواية "ما بدوا".

آخر [من السريع]

١- أَلْبَسَهُ اللهُ ثِيابَ العُلَى فلمْ تَطُلْ عَنْهُ ولم تَقْصُرِ

ومِنَ المديحِ الجليلِ قولُ القائلِ: [من البسيط]

[٩٩/ب]١- إفْخَرْ فما مِنْ سماءٍ للعُلَى رُفِعَتْ إلاَّ وأَفْعالُكَ الحُسْنَى لها عَمَدُ

٢- واعذرْ حَسُودَكَ فيما قَدْ خُصِصْتَ بهِ إنَّ العُلَى حَسَنٌ في مِثْلِها الحَسَدُ

- فُصُوْلُ الأدْعية-

- ١ -

- فَصْلٌ في فَضْلِ الدُّعاءِ-

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1]. أَمَرَ عبادَهُ بالدُّعاءِ وشَرَطَ لهم بالإجابةِ. وهو -تعالى ذِكْرُهُ- المليُّ بما شَرَطَ، والوفيُّ بما وَعَدَ، فإذا أخْلَصَ العبْدُ في الدُّعاءِ، واسْتَكْمَلَ شرائِطَهُ، لم يَعْدَمْ موعودَ الإجابةِ مِنَ اللهِ تعالى.

وقالَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ: يا رسولَ اللهِ إنَّا نَدْعو بدُعاءٍ كثيرٍ، منْهُ ما نَرَى إجابَتَهُ، ومنْهُ ما لا نَرَى إجابتَهُ، فقالَ: «والذي نَفْسُ محمّدٍ بيدِهِ، ما منكُمْ مِنْ أحَدٍ يدعو بدُعاءٍ إلاَّ استُجيبَ لهُ، أو صُرِفَ عنه مِثْلُهُ سُوْءاً، إذا لم يدعُ بمأْثمٍ أو قطيعةِ رَحمٍ»[2] قالوا: يا رسولَ اللهِ إذا تكثُر؟ قال: «فاللهُ أكثَرُ وأطْيَبُ ثلاثَ مرَّاتٍ».

وقالَ ﷺ: «الدُّعاءُ سلاحُ المؤْمنِ، وعمادُ الدينِ، ونورُ السّمواتِ والأرْضِ».

- ٢ -

- فَصْلٌ مِنْ كلامِ البُلَغاءِ في الدُّعاءِ-

كتَبَ أبو بكرٍ الخوارزمي إلى بعضهم: [١٠٠/أ] لا زالَ الفَضْلُ ثابتَ المناكِبِ، مُقيَّدَ الجوانِبِ، ولا سَلَبَ اللهُ الزمانَ جمالَهُ بذِكْرِهِ، والعِبادَ بَهاءَهم بطُوْلِ عُمْرِهِ، ولا زالَ جاهُهُ مَبْذولاً، وبابُهُ مأْهولاً، وفَضْلُهُ مأْمُوْلاً، وسَيْبُهُ[3]

---

[1] سورة غافر ٤٠/٦٠. ونصُّ الآية كاملة: ﴿وقالَ ربُّكم: ادعوني أستجبْ لكُمْ، إنَّ الذين يَسْتَكْبِرون عن عبادَتي سيدخلونَ جهنَّمَ داخِرِيْن﴾.

[2] الحديث في موسوعة أطراف الحديث ١٠/٣٦٥.

[3] السَّيْب: العطاء.

مَسْؤولاً، وسيفُهُ على أعداءِ الدينِ مَسْلُولاً، وعدوُّهُ بِجَسَدِهِ مَقْتولاً، ولا زالَ الشَّرْقُ يُباهي بِهِ الغَرْبَ، والعَجَمُ تُباهي به العُرْبَ، بل لا زالتْ نَيْسابورُ تُفاخِرُ به البلادَ[1]، وأهلُها تُباهي بِهِ العِبادَ: [من الطويل]

١- وهذا دُعاءٌ لو سكتُّ كُفيتُهُ لأنّي سَأَلْتُ اللهَ فيكَ وقدْ فَعَلْ

-٣-

- فَصْلٌ آخَرُ لَهُ -

هنّأ اللهُ الشيخَ ما أوْلاهُ، وبارَكَ لَهُ فيما أعْطاهُ، وأراهُ في أُولاهُ وأُخْراهُ، وفيمَنْ والاهُ وعاداهُ، ما يريدُهُ، وآتاهُ فيما يَسْمَعُهُ ويراهُ، ما يقْترحُهُ ويتمنَّاهُ، وأرى فيه ما أرْضاهُ، حتَّى أرى الدَّهْرَ، وهو عَبْدُهُ ومولاهُ، والسَّيْفَ، وهو يتْبَعُ مرادَهُ وهواهُ، والإقْبالَ، وهو يتَّبعُ طريقَهُ وخُطاهُ، والموتَ، وهو سلاحُهُ ومُداهُ[2]، يُفْني مَنْ أفْناهُ، ويُبْقي مَنْ أبْقاهُ، ويرى في الآمالِ والآجالِ ما يراهُ، وأدامَ اللهُ سُلْطانَهُ، وأعْلَى مكانَه، وثبَّتَ أرْكانَهُ، وهَزَمَ بإقْبالِهِ أقْرانَهُ، وجَمَّلَ ببقائِهِ زمانَهُ، [١٠٠/ب] وحكَّمَ في أعْدائهِ سيفَهُ وسنانَهُ، وقَلَمَه ولسانَهُ، وجعلَ الأيَّامَ عليهم أمْدادَهُ وأعْوانَهُ، ولازالتِ السَّلامةُ تلزمُ بابَهُ، وتعمرُ جنابَهُ، وتخدمُ رِكابَهُ.

-٤-

- فَصْلٌ آخَرُ لَهُ -

أُعيذُهُ باللهِ مِنْ عَيْنِ التَّمامِ، ومن حوادثِ الأيَّامِ، وعوارِضِ الأَنامِ، إلاَّ عارضَ سلامةٍ وسلامٍ. واللهُ يُنَقّيْه ويُبَقّيه، ويُوفّقه ويُكافِيه، ويَكْفيه ويُوْليه، ويُعْطيه ما يَبْتغيه، ويتجاوزُ بهِ إلى ما يَرْتجيهِ، ويَتناقضُ بهِ دُعاءُ أعاديْه، ويزيدُهُم في عَددِ مَوَاليه، ويَسْخطُهُمْ بما يُرْضيه، ويُريهِ فيهم ما يَشْتهيه، ويُملِّكُهُ عِنانَ أيَّامِهِ ولياليْه، وجَعَلَ قلائدَهُ مِنْ أياديه، وجَعَلَ السُّعُوْدَ تُصبِّحُهُ وتُمسِّيْه، وتُراوِحُ بابَهُ

---

[1] في المخطوط: "تتأخَّر منه البلادُ" وهو تحريف وخطأ. والصواب ما أثْبَتْنا.
[2] مُدَاه: جَمْعٌ، مفرده مِدْية، وهي آلة حادة قاطعة.

وتُغادِيـه[1]، وحَشَرَهُ في زُمْرةِ محمَّدٍ ﷺ وذَوِيـه، "يَوْمَ يَفِرُّ المرءُ مِنْ أخيـه، وأُمِّـه وأبيه"[2].

- ٥ -

- فَصْلٌ آخَرُ لَهُ-

أطالَ اللهُ بقاءَكَ طويلَ الباعِ على الآمالِ والأمْوالِ، نافِذَ التوقيعِ في الأرْزاقِ والآجالِ. رسيلُهُ[3] الأقْدارُ، وعطاؤهُ الأعمارُ، وخَليفتاهُ في أوْليائِهِ وأعْدائِهِ: الإقبالُ والإدْبارُ، وأبْقى أعداءَهُ، وهمْ أحياءُ، حَسداً لأوْليائِهِ، [١٠١/أ] وأحيَا أوْلياءَهُ شماتةً بأعدائِهِ، فإنَّ أعداءَهُ يركضون في ميدانٍ طالَ ما عَثَرَ فيهِ النَّاسُ، وتقطَّعتْ فيهِ النفوسُ والأنفاسُ.

[من الطويل]

١- *وفي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَها   ويجهدُ أنْ يأتي لها بضريبِ*[4]

- ٦ -

- فَصْلٌ آخرُ-

اللهُمَّ، أَبْقِ فُلاناً حتَّى يَفْنَى الأبَدُ والأزَلُ، وخلِّدْهُ حتى يَرَى مِثْلَ نَفْسِهِ، وما أظنُّكَ تَفْعَلُ، واجعلِ الدَّهْرِ سُؤْلَهُ[5] وغلامَهُ، والأيَّامَ قَوْسَهُ وسهامَهُ، ولا تَرْضَ لهُ إلاَّ بأَقصَى مراتِبِ النِّعَمِ، كما لمْ تَرْضَ لَهُ إلاَّ بأقْصَى غاياتِ الهِمَمِ. واللهُ أكْرَمُ مِنْ أنْ لا يُجيبَ دُعاءً غَرَسَهُ الإحْسانُ، وصدَقَ فيهِ القَلْبُ واللِّسانُ، وأطالَ بَقاءَهُ، وحَفِظ على الزَّمانِ بهاءَهُ، وأدامَ عِزَّهُ وعلاءَهُ، وأراهُ في أوْليائِهِ وأعْدائِهِ ما شاءَهُ، وجَعَلَ الأيَّامَ إلى مطالبِهِ سُفَراءَه، والسُّعُوْدَ لحاجاتِهِ كُفَلاءَهُ، وعرَّفَهُ كُلَّ يَوْمٍ منْ صُنْعِهِ ما يفرِّقُ فيه فِكْرُهُ، ويُقصِّرُ عَنْهُ شُكْرُهُ، حتَّى تكونَ الآمالُ صنيعتَهُ، والأرْزاقُ عطيَّتَهُ، والأعْمارُ صِلَتَهُ، والجمالُ خِلْعَتَهُ، والمنايا عقوبتَهُ، والعافيةُ دِرْعَهُ وبطانَتَهُ، وقلوبُ الأحْرارِ ذخيرتَهُ.

---

[1] تراوح: تأتي مساءً، من راح يروح. وتُغادي: تأتي باكراً من الغُدُوِّ.
[2] سورة عبس ٨٠/٣٤ و ٣٥.
[3] الرَّسيلُ: المُوافِق لك في النضال.
[4] في المخطوط هامش يقول: "أي، وهم في تَعَبٍ مَنْ يحسد".
[5] السُّؤْل: الأمنية.

- ٧ -

- أدْعيَةُ القاضي الهَرَوِيّ -

إلى اللهِ تَعالى جدُّهُ الرَّغْبةُ [١٠١/ب] في أَنْ يهنِّئَ مولانا ما خوَّلَهُ[١]، ويمدَّنا خيرَ ما نوَّلَهُ[٢] أوَّلَهُ، ويجعلَ السَّعْدَ قرينَهُ، واليُمْنَ كيفَ تقلَّبَ أليفَهُ وخدينَهُ، ولا يُخلِّيهِ في دَوْرٍ من أدْوارِه، وطَوْرٍ مِنْ أطوارِهِ، وساعةٍ من آناءِ ليلِهِ ونهارِهِ، مِنْ نَعْمةٍ لا تَبْلغُها الهِمَمُ وإِنْ لمحتْ[٣]، ولا تتجاوزُها الأماني وإنْ جمحَتْ، ولا تنالُها الأوْهامُ وإنْ طَلِبَتْ، ولا تُقلِّبُها الأيَّام، وإنِ انْقَلَبَتْ:

[من الطويل]

١- *ومِنْ دَوْلةٍ غرَّاءَ لا مُنْقَضى لها* ... *ولا مُنْتَهى للدَّهْرِ منها إلى طَرَفْ*[٤]

٢- *وَتَخْدُمُها الدُّنْيا وتَنْتَظِمُ المُنَى* ... *وتطَّرِدُ العَلْيا ويَنْتَعِشُ الشَّرَفْ*

٣- *وهذا دُعاءٌ لا يُرَدُّ فإنَّهُ* ... *على سَنَنٍ لا وَكْسَ فيه ولا سَرَفْ*

أبْقاه اللّهُ للثناءِ يُمَدُّ عليه ظلالُهُ، وللشُّكرِ يَحلُّ بفنائِهِ عِقالُهُ، وللعزِّ يُؤْمَنُ عنْهُ انتقالُهُ، وللإقبالِ تتَّصلُ بِهِ أوْصالُهُ:

[من الطويل]:

١- *وتمَّتْ له النُّعْمى وذَلَّتْ لهُ المُنَى* ... *وحلَّتْ بِمَنْ عاداهُ قاصِمةُ الظَّهْرِ*

٢- *ولا رَحَلَتْ عنْهُ السَّعادةُ ساعةً* ... *ولا عرفتْ أيَّامُهُ نُوَبَ الدَّهْرِ*

---

[١] خوّله: شرحها الناسخ في المخطوط قائلاً: "خوَّلَه، أيْ ملَّكَهُ".

[٢] قال في هامش المخطوط: "نوَّلَهُ من النوالِ، وهو العطاء".

[٣] قال في هامش المخطوط: "لمحتْ بمعنى لَمَعَتْ".

[٤] قال في هامش المخطوط: "ومنْ دولةٍ عَطْفٌ على منْ نعمةٍ".

- ٨ -

- أدْعِيَةُ الشَّيْخِ أبي بَكْرِ القُهَسْتاني[1] -

أطالَ اللّهُ بَقاءَ مَوْلانا في قُدْرةٍ، يُمَدُّ نِطاقُها على الخافِقَين[2]، وعزَّةٍ يُضْرَبُ رواقُها [١٠٢/أ] على المَشْرِقَين[3]، وبَسْطَةٍ تَبْسُطُ على رِقابِ الدَّهرِ يَدَهُ، ورِفْعةٍ تُبَشِّرُ بالمزيد غَدَهُ، ودولةٍ يَنْتَشِرُ في الآفاقِ شُعاعُها، ويمتدُّ على وَجْهِ البسيطةِ شِراعُها، ما عُرِفَ البقاءُ، واختلفَ الظلامُ والضياءُ. والعَبْدُ ما يزالُ ليلاً ونهاراً، يدعو اللّهَ سِرّاً وجَهاراً، ويَسْألُه بالحُجَجِ وبأَنْجحِ المسائِلِ إليهِ، وأوْكدِ الوسائلِ لدَيهِ، أنْ يَجْعلَ حَضْرَتَهُ المأنوسةَ حَرَماً، ويملأها من حياطتِهِ ووقايتِهِ حَرَساً. إنَّ الدُّعاءَ أفْضَلُ ما تنالُهُ أيْدي العبيدِ والخَدَمِ، ولا يسْتغني عنهُ السَّادَةُ وأَوْلياءُ النِّعَمِ. اللّهُمَّ إسمَعْ كُلَّ دُعاءٍ صالحٍ فيهِ وأجِبْ، وإذا أجبْتَ فأكْثِرْ ما أجَبْتَ وأطِبْ.

إنَّ الكبيرَ يَسَعُ بذلُهُ، وأنْتَ الذي يُؤْتِي كُلَّ ذي [فَضْلٍ][4] فَضْلُه.

- ٩ -

فَصْلٌ لَهُ في الدُّعاءِ يومَ العيدِ

حيَّا اللّهُ تَعالى وَجْهَ مولانا في هذا العيدِ، بالنجْمِ السعيدِ، والسَّعْدِ العَتيدِ، والفألِ الحميدِ، والعيشِ الرَّغيدِ، والطيرِ الميمونِ، والخيرِ المَضْمونِ. وأراهُ منِ اشتِدادِ الساعِدِ، وامتِدادِ الباعِ إلى المُساعِدِ كُلَّ ما لمْ يطمحْ إلى مُرْتَقاهُ بوهْمٍ، ولم ينزعْ إلى مرْتَماه بِسَهْمٍ، ولقَّاهُ في هذا العامِ، وما يتلوهُ مِنَ الأعوامِ، منَ الأُنْسِ الكامِلِ، [١٠٢/ب] واليُمْنِ الشامِلِ، والسُّرورِ الحاضِرِ، والنعيمِ الناضِرِ، والعِزِّ الظاهِرِ، والنُّورِ الزاهِرِ، كُلَّ زيادةٍ، يأخذُ الآمالَ بذوائبها ونواصيها، ويُوفِّي

---

(١) أبو بَكْر القُهَسْتاني: هو علي بن الحسين القُهَسْتاني، وصفه الثعالبي فقال: "شخْصُ الفضل وصورته، وينبوع الكرم ومعدنه ووَفضة الأدب وغديره" وهو ناثر وشاعر. وينسب إلى (قوهستان) وهي جبال بين هراة ونيسابور. انظر فيه: تتمة اليتيمة ص٢٦٤ فما بعدها. ومعجم البلدان "قوهستان"، ودمية القصر (تح التونجي) ٧٧٨/٢ فما بعدها.

(٢) الخافقان: المَشْرق والمغرب. وفي اللسان: يُقال للمغرب: الخافق، وهو الغائب، فغلَّبوا المغربَ على المشرق، فقالوا: الخافقان، كما قالوا: الأبوان، (اللسان: خفق).

(٣) المشرقان: المشرق، والمغرب. وفي اللسان: غلب لفظ المشرق لأنه دالّ على الوجود، والمغرب دالٌّ على العدم، (اللسان: شرق).

(٤) سقطت هذه الكلمة من المخطوط. وأَضفناها ليستقيم المعنى.

على دوانيها وقواصيها. وبلّغَهُ مِنْ فَضْلِهِ مالا تَسْمو إليهِ أَوْهامُ الأيّامِ، ولا تَسْخُو به أحْلامُ المَنامِ، واجْعَلْ ما قدَّمَهَ في هذه الأيَّامِ، وحلَّى بهِ صحائفَهُ مِنَ الصّيامِ والقِيامِ، سَعْياً مَشْكوراً، وبِرًّا مَبْروراً، وعملاً مَقبولاً، وبعظيمِ الغُنْمِ مَوْصَوْلاً، وتجارةً لن تبورَ[1] صَفْقَتُها الرابحةُ، ولن تشولَ كفّتُها الراجحةُ، ولا زالت طريقتُهُ المُثْلَى، وكلمتُهُ العُلْيا، وكلمةُ حاسديه السُّفْلَى، "ولسوفَ يعطيه ربُّه فيَرْضى"[2].

- ١٠ -

- فَصْلُ الأَبْياتِ في الأَدْعِيَة -

قالَ البُحْتري: [مِن المُنْسرِح]

١- كـانَ لـه اللّهُ حَيْـثُ كـانَ ولا ... أَخْـلاهُ مِـنْ عِـزِّهِ ومِـنْ نِعَمِـهْ
٢- حاجاتُنـا أنْ تطـولَ مدَّتُـهُ ... وسُـؤْلُنا أنْ يُعـاذَ مِـنْ عَدَمِـهْ(٣)

ولـه: [من الخفيف]

١- حاطَهُ اللّهُ حيْثُ أمْسَى وأضْحَى ... وتَـولاّهُ حَيْـثُ سـارَ وحـلاّ(٤)

ولـه: [من الكامل]

١- واللّهُ يُبْقِيـهِ لنـا ويَحُوطُـهُ ... وَيُعِـزُّهُ ويَزِيـدُ في تَأْيِيـدِهِ(٥)

وقال أبو فراسٍ: [من الوافرِ]

[٣٠/أ] ١- أراني اللّهُ طَلْعَتَهُ سريعاً ... وأَصْحَبَهُ السَّلامةَ حَيْثُ سارا
٢- وبلّغَـهُ أمانِيَـهِ جميعـاً ... وكـانَ لـهُ مِنَ الحَدَثانِ جارا(٦)

---

[1] تبور: تكسد.
[2] إشارة إلى سورة الضُّحى ٩٣/٥. ونصُّها: ﴿ولسوفَ يُعطيكَ ربُّكَ فتَرْضَى﴾.
[3] البيتان في ديوان البحتري ٤/٢٠٦٥.
[4] البيت في ديوان البحتري ٣/ ١٦٥١.
[5] البيت في ديوان البحتري ٢/٦٩٦.
[6] البيتان في ديوان أبي فراس ٢/١٨٩.

وقالَ ابنُ المُعْتَزِّ: [من الطويل]

١- نَعِمْتَ بما تَهْوَى ونِلْتَ الّذي تَرْضَى ... وَلُقِّيتَ ما تَرْجُو ووُقِّيتَ ما تَخْشَى

٢- ويَعْلَمُ عَلاَّمُ الخفيَّاتِ أنَّني ... أُعِدُّكَ ذُخْراً للمماتِ وللمَحْيا(١)

وقال آخَرُ: [من مجزوء الكامل]

١- كَمْ دعوةٍ أسْرَرْتُها ... واللَّيْلُ مُرْتكِبُ الغياهِبْ

٢- فجعلْتُها سوراً عَلَيْـ ... ـكَ مِنَ الحوادِثِ والنوائِبْ

٣- نِلْتَ السَّلامةَ والسَّلاَمَ ... مِنَ المخاوِفِ والمعاطِبْ

وقال عليُّ بنُ حَسَنِ الكاتِب: [من المتقارب]

١- لِشانِئِكَ الطائِرُ الأَشْأَمُ ... ودامَ لَهُ مِنْكَ ما يُرْغِمُ

٢- ولا ابْتزَّ مِنْكَ العُلَى بَهْجَةً ... إذا ما رآها الأعادي عَمُوا

٣- ألا اسْلَمْ لِتَبْني العُلَى دائِماً ... وَعِشْ وابْقَ ما لاحَتِ الأَنْجُمُ

وقال أبو إسحق الصابي: [من السريع]

١- أعملْتُ فكري في دُعاءٍ لَهُ ... يَجْمَعُ ما جاؤوا بِهِ طُرًّا

[١٠٣/ب] ٢- فقُلْتُ بَيْتاً واحداً كافياً ... لَمْ يَعْدُ في مقدارِهِ سطْرا

٣- لا زالتِ الدُّنْيا لَهُ مَنْزِلاً ... يأْوِيهِ، والدَّهْرُ لَهُ عُمْرا(٢)

ولَه(٣): [من الخفيف]

١- لَمْ أُطَوِّلْ في دَعْوتي للمليكِ ... طَوَّلَ اللهُ في السلامةِ عُمْرَهْ

٢- بلْ تَلَطَّفْتُ في اختِصارٍ مُحيطٍ ... بالمعالي لِمَنْ تأمَّلَ أمْرَهْ

---

(١) البيتان ليسا في ديوان ابن المعتز، (ط دار المعارف).

(٢) الأبيات الثلاثة مع أربعة قبلها في يتيمة الدهر ٢/٣٣٣-٣٣٤ للصابي كتب بها إلى صمصام الدولة.

(٣) الأبيات لأبي إسحق الصابي، مع بيت سادس في يتيمة الدهر ٢/٣٢٧. وقد توجّه بها إلى عضد الدولة يهنئه بعيد الفطر.

٣- جَمَعَ اللهُ دَعْوَةَ كُلِّ داعٍ مُستجابٍ دُعاؤهُ فيهِ صَبْرَهْ

٤- وأعادَ العيدَ الذي زارَهُ الـ ـعامَ بيُمْنٍ يحوزُهُ ومَسَرَّهْ

٥- وأراهُ الآمالَ فيهِ ولقَّا هُ سعاداتِهِ، ووفَّاهُ أجْرَهْ

وله أيضاً في مثْلِ هذا العيد[1]: [من البسيط]

١- إذا دعا النَّاسُ في ذا العيدِ بَعْضُهُمُ لِبَعْضِ هَمٍّ وتمادَى القَوْلُ واتَّسَعا

٢- فَصَيَّرَ اللهُ ما مِنْ فَضْلِهِ سألوا فيها لسيِّدنا الأستاذِ مُجْتَمِعا

٣- حتَّى يكونَ دُعائي قدْ أحاطَ لَهُ بكلِّ ذلكَ مَرفُوعاً ومُستَمَعا

- فَصْلٌ في الدُّعاءِ لأبي مَنْصورٍ الثعالبي-
كَتَبَهُ إلى الأمير قابوسَ

بلَّغَهُ اللهُ أقْصَى نهاياتِ العُمْرِ، كما بلَّغَهُ أبْعَدَ غاياتِ الفَخْرِ، وملَّكهُ أزمَّةَ الأرْضِ، كما ملَّكَهُ أعنَّةَ الفَضْلِ، وأدامَ حُسْنَ النَّظَرِ للعِبادِ والبلادِ، بإدامةِ [١٠٤/أ] أيَّامِهِ التي هي أعيادُ الدَّهْرِ، ومواسمُ الأمْنِ واليُمْنِ، ومطالعُ الخيرِ والسَّعْدِ. وزادَ دوْلتَهُ شباباً ونمواً، كلَّما زادَهُ في السِّنِّ عُلُوًّا، حتَّى تكونَ السعاداتُ وَفْدَ بابِهِ، والبشائرُ قوى سمعِهِ، والمسارُّ غذاءَ نفسِهِ، ويترامى به الإقْبالُ إلى حَيْثُ لا يَبْلُغُهُ أَمَلٌ، ولا يقطعُهُ أجَلٌ. وأنا أسْأَلُ اللهَ تعالى مسألةَ المُبْتَهِلِ لديهِ أنْ يديمَ أساسَ الدُّنْيا باتّصال أيامِهِ، ولا يُعطِّلَها عَنِ التحلِّي بنضارةِ زمانِهِ، وأنْ يجمعَ جميعَ آثارِ الدعواتِ الصالحةِ الصاعدةِ المُسْتجابةِ لَهُ، ولا يعْدمَ المعالي والمكارمَ ظلَّهُ بمَنِّهِ وقُدْرتِهِ وسعةِ رَحْمتِهِ.

---

[1] الأبيات الثلاثة في يتيمة الدهر ٣٢٨/٢ للصابي.

تمَّ الكتابُ والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين
وصلواتُهُ على سيِّدِنا ومولانا خاتمِ النبيِّين
مُحَمَّدٍ النبيِّ، وآلِهِ وعترتِهِ الطاهرين، وحَسْبُنا
اللهُ، وحدَهُ، ونِعْمَ المُعِين.

[١٠٤/ب] كَتَبه مُحبُّ اللهِ عَزَّ وجلَّ وعاشقُهُ إبراهيمُ غُلامُ اللهِ
عزَّ وجلَّ بن السنجاري المارديني




درة الغواص

- الفهارس-



١- فهرس موضوعات الكتاب التفصيلية*

* لم يفعل المؤلّف ذلك، فقُمْنا نحن بصناعة هذا الفهرس.

٢- فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	رقم السورة والآية	الصفحة
- البقرة	٢/٤٥	١٣٠
- البقرة	٢/١٣٨	٨٥
- البقرة	٢/١٥٥، ١٥٦	١٣٠
- البقرة	٢/١٥٦	١٢٨
- البقرة	٢/٢٢٩	٦٥
- آل عمران	٣/٩٧	٥٤
- النساء	٤/٦٤	٥٧
- النساء	٤/٨٤	٦٥
- النساء	٤/٨٥	١٤٢
- النساء	٤/١٣٠	٦٩
- الأنعام	٦/٥٤	١٣٣
- الأنعام	٦/٨٤	٧٢
- الأنعام	٦/١٥١	٨٣
- الأنفال	٨/٣٠	٣٤
- التوبة	٩/١٠٥	١٣٣
- يوسف	١٢/٨٤	٤٧
- إبراهيم	١٤/٧	١٣٢- ١٣٣
- النحل	١٦/٥٣	١٣٤
- النحل	١٦/٥٨	٧٨
- الكهف	١٨/٤٦	٧٣
- الأنبياء	٢١/٩٠	٧٢
- الحج	٢٢/٢٩	٨٧



٣- فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث الشريف	الصفحة
أبشر إن الله يقول	٩٤
اتقوا الله في النساء	٦٥
إذا أصيب أحدكم	١٢٩
إذا دخلتم على مريض	٩٨
إذا مرض العبد ثلاثة أيام	٩٣- ٩٥
إذا نظر الوالد إلى ولده	٨١
إذا كنت تلقى الله ولا ذنب لك	١٠٥
اذهب الباس رب الناس	٩٦
أربع من كن فيه	١٢٩
استودع الله دينك	٣٩
اشفعوا فلتؤجروا	٦٥
اللهم لا تمتني حتى	٤٠
إليك انتهت الأماني	١٠٦
أما سرك أن يكون	١٢٩
إن العبد المسلم إذا	٩٤
إن منبري على ترعة من	٥٧
إن من يمن المرأة	٧٨
إنكم لتبخلون وتجبنون	٧٢
أيما رجل دخل على مريض	٩٦
بني الإسلام على خمس	٥٤
ثلاثة من سعادة الرجل	١١٨
الحمد لله رأس الشكر	١٣٤
الدعاء سلاح المؤمن	١٦١
دفن البنات من المكرمات	١٣١
ريح الولد من ريح الجنة	٧٢
سبحان الله ما تستقبلون	٨٨
صدق الله إنما أموالكم	٨١
عجب للمؤمن إن أصابته	١٢٩
عجبت من المؤمن	٩٤
العمرتان تكفران	٥٤



٤- فهرس الأشعار

(ت)					
رجحتم	والعشراتُ	الطويل	ابن الرومي	١	١٥٩
ودعت	تمسّكْتُ	مجزوء البسيط	ابن المعتز	٢	٤٢
هتكك	أمة	الطويل		١	١٠٦
وما وجْدُ	ظنَّت	الطويل	ابن الدمينة أو المجنون	٥	٤٨
زهتْ	بالبيت	البسيط	الجرجاني	١	١١٤
وهوَّن	ممات	الوافر		١	٤٦
(ح)					
إذا ما	ينجحُ	الطويل		١	١٤٧
لو تخطب	نكحا	البسيط	ابن الرومي	١	٦٧
وهل زادَ	مادح	الطويل	علي الجرجاني	١	١٦٠
(د)					
إذا	واحدُ	الطويل		١	٧٧
قالت	ولدُ	البسيط	محمد بن أبي زرعة	٢	٦٩
مولاي	مطّردُ	البسيط	عاصم بن يحيى	٢	١٠٢
إذا اعتللتُ	رغدُ	البسيط	الصاحب بن عباد	٢	١٠٢
إفخرْ	عَمَدُ	البسيط		٢	١٦٢
عيدٌ إليك	ويزيدُ	الكامل	الصابي	٥	٩١
نشوان	معبدُ	الكامل	البحتري	١	١٥٨
سُكْرُ	شديدُ	مجزوء الكامل		٢	١١٦
فدع	زنادُه	الكامل		١	٤٨
ما للمعيل	الفاردُ	الكامل		٢	٦٩
ما حال	الواحدُ	السريع		١	٥٣
وحمّامنا	الواردُ	مجزوءالمتقارب	ابن المعتز	٢	١٢٢
بشرى	صَعدا	البسيط	أبو محمد الخازن	٤	٨٠
ترجو	إيقادا	البسيط	البحتري	١	٤٨
الآن	مورودا	الكامل	منصور الهروي	١٠	٣٨
قدم	محمودا	الخفيف	ابن الرومي	٣	٩١
كما قلتَ	عَبْدا	الخفيف		١	١٤١
اسعد	العددا	البسيط	إبراهيم بن هلال	٣	٩١
هنّئتَ	أعيادا	السريع	الثعالبي	٢	٩١
لصقت	كبدا	البسيط		٢	٨١
إنْ تبقَ	منفردا	البسيط		١	١٣١
قدمت	كصعوده	الطويل	ابن الرومي	٢	٣٦

عفا الله	العهد	الطويل		٣	٦٠
له حركات	الفراقد	الطويل	البحتري	٢	٨٥
مصائبُ	بالولد	الطويل		١	١٣١
لا زال	غده	البسيط		١	٦٤
إني	الجسَد	البسيط		٢	١٠٦
وسروري	ميعاد	الخفيف	المُفجّع البصري	٤	٥١
من كان	تخليد	البسيط	ابن الرومي	٢	١١٤
لا زال	تأييد	البسيط		٣	١١٤
وعاشقين	الأسود	السريع	أبو نواس	٢	٥٨
شيّدت	ومسعود	السريع	الخليل بن أحمد	٢	١١٩
كن المعزي	الواحد	السريع	أبو فراس الحمداني	١	١٣٢
افترّ	النادي	الكامل	أبو العلاء بن حسول	٧	٨٠
يهنئك	ورشاده	الكامل	البحتري	٤	٨٢
شخص	واحد	الكامل	السري الرفاء	١	١٥٩
والله	تأييده	الكامل	البحتري	١	١٦٦
أنت	أحدْ	الرمل		١	١٦٠
(ر)					
أقلّبُ	كثيرُ	الطويل		١	٥٤
إذا الشافعُ	الشكرُ	الطويل		١	١٤٧
يا مَنْ	وأحجارُ	البسيط	أبو بكر العبري	٣	٥٩
لا يقبل	مهجورُ	البسيط		٢	٥٩
الصوم	والقمرُ	البسيط	المتنبي	١	٩٢
شوقي	البصرُ	البسيط		٢	٤٧
ألبسه	تقصرُ	البسيط		١	١٦١
سُكْرٌ	المقدارُ	الكامل	المتنبي	٤	٤١
ولما لم	عسيرُ	الوافر		٢	٥٨
أقول	البدرا	الطويل	ابن الحجاج	٣	٩٦
ولا أصافح	القمرا	البسيط	أبو الفتح البستي	٢	٥٢
أعملتُ	طرّا	السريع	أبو إسحق الصابي	٣	١٦٧
جاء	سرورا	الكامل	أبو الفضل الميكالي	٤	٣٩
حتى نرى	ناضرا	الكامل		٢	١٠٧
متقبّل	مبشرا	الكامل	البحتري	٢	١٦٠
أراني	سارا	الوافر	أبو فراس الحمداني	٢	١٦٦

كتبتُ	يورَى	الوافر	الثعالبي	٤	٥٢
أيها	مغفوره	الخفيف		٢	٤٧
لم أطول	عمرَه	الخفيف	أبو إسحق الصابي	٥	١٦٧
ماذا	قَمَرَه	المنسرح	علي بن العباس	٢	١٥٩
أيها	الأوطارا	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	٢	٥٨
لئنْ	الغبارا	المتقارب	الهزيمي	٣	١٤٠
وتمّت	الظهرِ	الطويل		٢	١٦٤
في كنف	ذكره	السريع		١	٤٦
نظرت	وزيرِ	الوافر	الثعالبي	٤	١٥٨
ولي	بإخبارِ	مجزوء الوافر		٢	١١٩
		(س)			
زُفّتْ	نحسُ	السريع	ابن الرومي	٢	٦٧
المرءِ	رمسه	الكامل	أبو فراس الحمداني	٢	١٣٢
أقول	مبلسِ	المتقارب	عبد الصمد بن المعذل	٢	٤١
		(ض)			
إنا رأينا	العرضا	البسيط	ابن زريق	٤	١١٦
ينضون	غضُّ	الطويل	إبراهيم بن العباس الصولي	٢	١٦٠
		(ع)			
مراعِ	شرائعُ	الطويل		١	١٣٨
إذا عرضتْ	مشفعُ	الطويل	المتنبي	١	١٤٦
لئن	تشفعُ	الطويل		١	١٤٧
يا سادني	الجزعُ	البسيط	أبو الفرج بن هندو	٣	٤٤
محلك	أوسعُ	السريع	أبو فراس الحمداني	٣	١٥٧
قلبي	ودّعوا	الكامل		٥	٤٦
دنوتَ	وارتفاعُ	الوافر	البحتري	٢	١٥٩
لو كنت	التوديعا	الكامل		٢	٤٣
إذا دعا	واتّسعا	البسيط	أبو إسحق الصابي	٣	١٦٩
ونغمة	السماعِ	الوافر	أبو تمام	١	١٥٨
فلو صوّرتْ	الطباعِ	الوافر	أبو تمام	١	١٥٩
سأودع	التوديعِ	الكامل	البحتري	٢	٤١
ومفارق	توديعه	الكامل	أبو المطواع بن ناصر الدولة	٢	٤٣
صدَّني	التوديعِ	الخفيف		٢	٤٥

(ف)					
وما سرّ	متصوّفُ	الطويل	ابن معروف القاضي	٢	٥١
ولئن كبرت	تتشرفُ	الكامل	ابن الرستمي	٢	١١٤
إني	ضعفا	السريع	أبو فراس الحمداني	٢	١٤٠
بنيتُ	الشّرفا	مجزوء الوافر	أبو بكر الخوارزمي	٢	١١٩
إنما	جيفه	مجزوء الرمل		٣	١٢٠
لا تعتبنّ	بالأطراف	الكامل		١	١٣١
ومن دولة	طرفْ	الطويل		٣	١٦٥
(ق)					
كل الخلال	الخلقُ	البسيط	ابن الرومي	٢	١٥٨
فلو أن	حقّه	الطويل	المأموني	١	١٤١
لاعيبَ	شفيقا	الكامل		١	١٤٩
نثرت	أشْرقا	الكامل	أبو منصور الصوري	٢	٥٣
ولما	تلاق	الطويل		٣	٤٣
إن كنتَ	فراق	الكامل	شعبة بن محمد البُسْتي	٢	٤٤
لا تطفئنّ	الإحراق	الكامل		١	٤٨
قدم	طرقه	الكامل	الصاحب بن عباد	٤	٣٧
الله	عراقك	مجزوء الكامل	البحتري	٦	٤٤
لنا	تلاقي	الوافر	المتنبي	١	٥٠
سكرتَ	صديقك	الوافر		٢	١١٦
قال	لشهيقي	الخفيف	المهلبي الوزير	٢	٥١
إنا	نلتق	الرجز	ابن المعتز	٢	٥٠
(ك)					
نثرت	الأملاكُ	الكامل	الثعالبي	٣	١١٤
عقبى	عداكا	الكامل	السري الرفاء	٩	١٠٥
لازلت	فيكا	السريع		١	١٢٦
(ل)					
ويلزمني	راحلُ	الطويل		١	١٣٥
فإن لم	أهلُ	الطويل		١	١٣٦
وما بلغت	أطولُ	الطويل	أمية بن أبي الصلت	٢	١٥٧
ولئن تصادف	مأكولُ	البسيط		١	٧٠
وما وجْهُ	والتمويلُ	الكامل	علي بن العباس	٢	١٥٩

فغزوانُ	شبْرمَه	المتقارب	ابن نوفل	٢	٩٩
بلادٌ	تمائمي	الطويل		١	٣٤
ذم المنازل	الأقوامِ	الكامل		١	٥٣
قالوا	بالنعمِ	مجزوء الكامل	الصاحب بن عباد	٤	٣٧
صحَّت	الإسلامِ	الكامل	الثعالبي	٢	١٠٣
وحمَّام	النسيمِ	الوافر	الثعالبي	٢	١٢١
كان له	نعَمه	المنسرح	البحتري	٢	١٦٦
		(ن)			
أحبابك	جثمانُ	البسيط	كشاجم	١	١٥٩
وقل منْ	عنوانُ	البسيط	ابن الرومي	١	١٦٠
ليس الشفيعُ	عريانا	البسيط	الفرزدق	١	١٤٧
قد قلْتُ	إنسانا	البسيط		١	١٦٠
ذو منظر	المعنِ	السريع	المستهام الحلبي	٢	١٥٧
وإذا الدرٌّ	زينا	الخفيف		٢	١١٣
أبطحاء	أنا	المتقارب	أبو علي الفلجردي	١	٥٩
إذا	يلدان	الطويل		١	٦٧
على كلٍّ	والحدثان	الطويل		١	١٢٤
ولو كان	مكان	الطويل	محمود الوراق	٢	١٤٠
جسمُكَ	وطنِ	البسيط		٢	٤٠
إنا نعزيك	الدينِ	البسيط	الشافعي	٢	١٣١
نالتك	الثقلانِ	الكامل	مسلم بن الوليد	٢	١٠١
إني	كأنني	الرجز	رؤْبة	٢	٥٠
		(هـ)			
دارٌ	مغناها	البسيط		٤	١١٨
إن المهالبةَ	المكروه	الكامل	الفرزدق	٢	١٥٩
نلتَ	تتقيه	الخفيف	أبو علي التنوخي	٢	٨٩
		(ي)			
فلستَ	ليا	الطويل	ابن عائشة	١	٩٨
عليَّ إذا	حافيا	الطويل	مجنون ليلى	١	٩٩

٥ – فهرس الأعلام

– ب –

– ت –

– ث –

– ج –

– ق –

– ك –

– ل –

– م –



٦- فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والجماعات

٧- فهرس الأماكن والبلدان والمواضع

٨- فهرس المصادر والمراجع

١ -القرآن الكريم.
٢-آداب الملوك للثعالبي، تحقيق جليل العطية، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠.
٣-الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر ٢٠٠١.
٤-الأعلام، للزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، طـ٥، ١٩٨٠.
٥-الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، بيروت، مصوّرة دار إحياء التراث العربي.
٦-إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٨٦.
٧-إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، للبغدادي، بيروت، دار الفكر ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.
٨-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥/١٣٨٤.
٩-بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، مصر ١٩٦٢.
١٠-البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، مصورة دار الجيل ١٩٩٠/١٤١٠.
١١-تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ترجمة محمد عوني عبد الرؤوف وصحبه، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣ (ق ٤ ج ٧ و ٨).
١٢-تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، ترجمة عرفة مصطفى، الرياض ١٩٩١/١٤١١ (مج٢).
١٣-تاريخ حكماء الإسلام، للبيهقي، تحقيق محمد كردعلي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ط٢، ١٩٨٨/١٤٠٩.
١٤-تاريخ دنيسر، لابن اللمش، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٨٦.
١٥-تاريخ نيسابور، المنتخب من السياق لأبي الحسن بن الفاخر بن إسماعيل، انتخاب أبي اسحق إبراهيم بن محمد الصريفيني، إعداد محمد كاظم المحمودي، قم ١٤٠٣هـ.
١٦-تتمة اليتيمة، للثعالبي، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت ١٩٨٣/١٤٠٣.

١٧-التحف والهدايا، لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف بمصر ١٩٥٦.
١٨-تحفة الوزراء، للثعالبي، تحقيق حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار، بغداد ١٩٧٧.
١٩-التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٩٦.
٢٠-التمثيل والمحاضرة ، للثعالبي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة ١٩٦١.
٢١-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، تحقيق إبراهيم صالح، دمشق دار البشائر ١٤١٤/١٩٩٤.
٢٢-حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، للزوزني، تحقيق محمد بهي الدين ابن محمد سالم، القاهرة وبيروت، دار الكاتب المصري ١٤٢٤/٢٠٠٣.
٢٣-الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ، ط البابي الحلبي ١٩٥٦.
٢٤-خاص الخاص، للثعالبي، تحقيق صادق النقوي، حيدر آباد - الهند ١٩٨٤.
٢٥-خريدة القصر وجريدة العصر في ذكر فضلاء أهل خراسان وهراة، للعماد الأصفهاني، تحقيق عدنان محمد آل طعمة، طهران ١٩٩٩.
٢٦-درج الغرر ودرج الدرر، للمطوّعي، تحقيق جليل العطية، بيروت، عالم الكتب ١٤٠٦/١٩٨٦.
٢٧-دمية القصر وعصرة أهل العصر، للباخرزي، تحقيق سامي مكي العاني، الكويت، دار العروبة، ط٢، ١٤٠٥/١٩٨٥، وتحقيق محمد التونجي ١٩٧١.
٢٨-ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٧٧/١٩٨١.
٢٩-ديوان ابن المعتز، تحقيق محمد بديع شريف، القاهرة ١٩٧٨.
٣٠-ديوان ابن نباتة السعدي، تحقيق عبد الأمير المهدي، بغداد ١٩٧٧.
٣١-ديوان أبي تمام (بشرح التبريزي) تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥.
٣٢-ديوان أبي فراس الحمداني، تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٤٤.
٣٣-ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق لطفي الصقال ودريّة الخطيب، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٨٩.
٣٤-ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة ١٣٧٢/١٩٥٣.
٣٥- ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢.
٣٦-ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة ١٩٥٠-١٩٦٦.
٣٧-ديوان الثعالبي، تحقيق محمود الجادر، بيروت ١٩٨٨.
٣٨-ديوان جرير، تحقيق نعمان محمد أمين طه، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩-١٩٧١.

٣٩-ديوان الخنساء، بيروت ط صادر، ط٣، ٢٠٠٣.
٤٠-ديوان السري الرفاء، تحقيق حبيب الحسيني، بغداد ١٩٨١.
٤١-ديوان الشافعي، تحقيق يوسف علي بديوي، دمشق ١٤٢١/٢٠٠٠.
٤٢-ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٦٥.
٤٣-ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد)، تحقيق سامي الدهان، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٥.
٤٤-ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصّار، القاهرة ١٩٥٧.
٤٥-ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.
٤٦-ديوان الفرزدق، بيروت، ط صادر، ١٩٦٠.
٤٧-ديوان كشاجم، تحقيق خيرية محمد محفوظ، بغداد ١٩٧٠.
٤٨-ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، الكويت، ط٢، ١٩٨٤.
٤٩-ديوان المتنبي، بشرح البرقوقي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٨٦.
٥٠-ديوان المتنبي، بشرح العكبري، تحقيق كمال طالب، بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٨/١٩٩٧.
٥١-ديوان مجنون ليلى، تحقيق يوسف فرحات، بيروت ١٤٠٣/٢٠٠٣.
٥٢-ديوان محمود الوراق، تحقيق وليد قصّاب، دُبي ١٩٩١.
٥٣-ديوان الميكالي (أبي الفضل)، صنعة جليل العطية، بيروت ١٩٨٥.
٥٤-ربيع الأبرار ومسامرة الأخيار، تحقيق سليم النعيمي، منشورات قم بإيران ١٤١٠هـ.
٥٥-روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم البستي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد وصحبه، القاهرة ١٩٤٩.
٥٦-زهر الآداب وثمرات الألباب، للحصري، تحقيق صلاح الدين الهواري، بيروت ٢٠٠١.
٥٧-سحر البلاغة وسر البراعة، المنسوب إلى الثعالبي، تحقيق عبد السلام الحوفي، بيروت ١٩٨٤.
٥٨-سنن أبي داود، بيروت دار ابن حزم ١٤١٩/١٩٩٨.
٥٩-سنن الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، بيروت دار الكتب العلمية.
٦٠-سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وصحبه، بيروت ١٤٠٥/١٩٨٤.
٦١-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دمشق، دار ابن كثير ١٤١٠/١٩٨٩.

٦٢-شعر ابن طباطبا العلوي، تحقيق جابر الخاقاني، بغداد ١٩٧٥.
٦٣-الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦.
٦٤-شعر عبد الصمد بن المعذَّل، جمع وتحقيق زهير غازي زاهد، النجف الأشرف ١٩٧٠.
٦٥-الشكوى والعتاب، المنسوب إلى الثعالبي، تحقيق إلهام المفتي، الكويت ١٤٢١/٢٠٠٠.
٦٦-الشوق والفراق، لابن المرزبان، تحقيق جليل العطية، بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨.
٦٧-صحيح مسلم، تحقيق محمد ذهني وغيره، ط المكتبة الإسلامية، استنبول، ومصوّرة بيروت.
٦٨-طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، تحقيق عبد العليم خان، بيروت دار الندوة ١٤٠٧/١٩٨٧.
٦٩-الطرائف الأدبية، لعبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧.
٧٠-الظرف والظرفاء، لأبي الطيّب الوشاء، تحقيق فهمي سعد، بيروت، عالم الكتب ١٤٠٥/١٩٨٥.
٧١-العبَر في خبر من خبر، للذهبي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية.
٧٢-العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وصحبه، مصورة بيروت ١٩٨٢.
٧٣-عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية ،القاهرة.
٧٤-غرر الخصائص الواضحة، للوطواط، مصوّرة دار صعب، بيروت.
٧٥-فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (المجاميع)، لياسين سوّاس، دمشق ١٤٠٤/١٩٨٤.
٧٦-الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدّد، بيروت ١٩٧١.
٧٧-في المخطوطات العربية، لإسماعيل إسماعيل مروة، دمشق، دار الفكر ١٩٩٧.
٧٨-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، بيروت ١٩٨٢.
٧٩-كنز العمال، للمتقي الهندي، ط التراث الإسلامي.
٨٠-لباب الآداب، لأسامة بن منقذ، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٣٥.
٨١-لسان العرب، لابن منظور المصري، بيروت، ط دار صادر.
٨٢-المجتنى، لابن دريد، تحقيق محمد الدالي، قبرص -الجفان والجابي للطباعة ١٤١٨/١٩٩٩.
٨٣-مجلة مجمع اللغة العربية (ترجمة الثعالبي، للدكتور شاكر الفحام)، دمشق ١٩٨٦ (مج ٦١ ج٣).

٨٤-محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، بيروت ، دار الأرقم ١٩٩٩/١٤٢٠.
٨٥-المحبَّر، لابن حبيب، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، بيروت ،المكتب التجاري للطباعة.
٨٦-المحمدون من الشعراء، للقفطي، تحقيق رياض مراد، دمشق، منشورات مجمع اللغة العربية ١٩٧٥.
٨٧-مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي، تحقيق خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٧/١٤١٧.
٨٨-المُستَطْرَف في كل فن مُستَظْرَف، للأبشيهي، تحقيق إبراهيم صالح، بيروت، دار صادر ١٩٩٩.
٨٩-مسند الإمام أحمد، دمشق، المكتب الإسلامي ١٩٩٣/١٤١٣، والطبعة الميمنية.
٩٠-مع المخطوطات العربية، لكراتشكوفسكي، ترجمة محمد منير مرسي، القاهرة، دار النهضة العربية ط١٩٦٩/٢.
٩١-معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣.
٩٢-معجم البلدان، لياقوت الحموي، بيروت، دار صادر ١٩٨٤/١٤٠٤.
٩٣-معجم الشعراء، للمرزباني، تحقيق عبد الستار فراج، مصورة مكتبة النوري بدمشق.
٩٤-المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، ط العراق.
٩٥-معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٩٦-مقامات بديع الزمان الهمداني، شرحها وعلّق عليها محمد عبده المصري، بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ط٢، ١٣٠٦هـ.
٩٧-المنتخب في محاسن أشعار العرب، صنعة مؤلف مجهول (من القرن الرابع الهجري)، تحقيق عادل سليمان جمال، القاهرة ١٩٩٤.
٩٨-موسوعة أطراف الحديث النبوي، لمحمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية.
٩٩-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تَغْري بردي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٢/١٤١٣.
١٠٠-نثر الدر، للآبي، تحقيق محمد علي قرنه وصحبه، القاهرة ١٩٨٤.
١٠١-هدية العارفين، للبغدادي، بيروت، دار الفكر ١٩٨٢/١٤٠٢.
١٠٢-الوافي بالوفيات، للصفدي، نشر المعهد الألماني، بيروت.
١٠٣-الوسيط في الأمثال، للواحدي، تحقيق عفيف عبد الرحمن، الكويت، دار الكتب الثقافية ١٩٧٥/١٣٩٥.

١٠٤-الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وصحبه، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٤/١٤١٥.
١٠٥-وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ١٩٧٢.
١٠٦-يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٣/١٩٨٣.



٩- فهرس الفهارس





المحقق في سطور

- ولد في خبب بمحافظة درعا (سورية) في العام ١٩٤٩
- مدرس بجامعة دمشق، وعضو في اتحاد الكتاب العرب.
- ناقد أدبي، وباحث في التراث العربي.
- له ثلاثة عشر كتاباً مطبوعاً، واثنان مخطوطان.
- نشر أكثر من أربعمائة دراسة علمية ومقالة في الصحف والدوريات السورية والعربية.
- شارك في العديد من المؤتمرات الأدبية والفكرية في سوريا والوطن العربي.

